

اشتباك عربي

العدد الثالث

شخصية العدد: علي القادري

يوجد في هذا العدد:

الراهن العالمي والراهن العربي

ملف العدد: القرن الأفريقي

شخصية العدد: حوار مع علي القادري

ترجمات:

جون تشي: ايدلوجية الإمبريالية المتأخرة- عودة الجغرافيا السياسية للأمم المتحدة الثانية

الحرب كحالة مستدامة

مقالات:

الخبز والمدفع

بريطانيا في عهد إليزابيث الثانية: وهم بهم بالأفول

فنون وأدب:

الأيدولوجيا كحلقة مركزية في المقاربة العلمية للسينما

في ذكرى الحدث المر

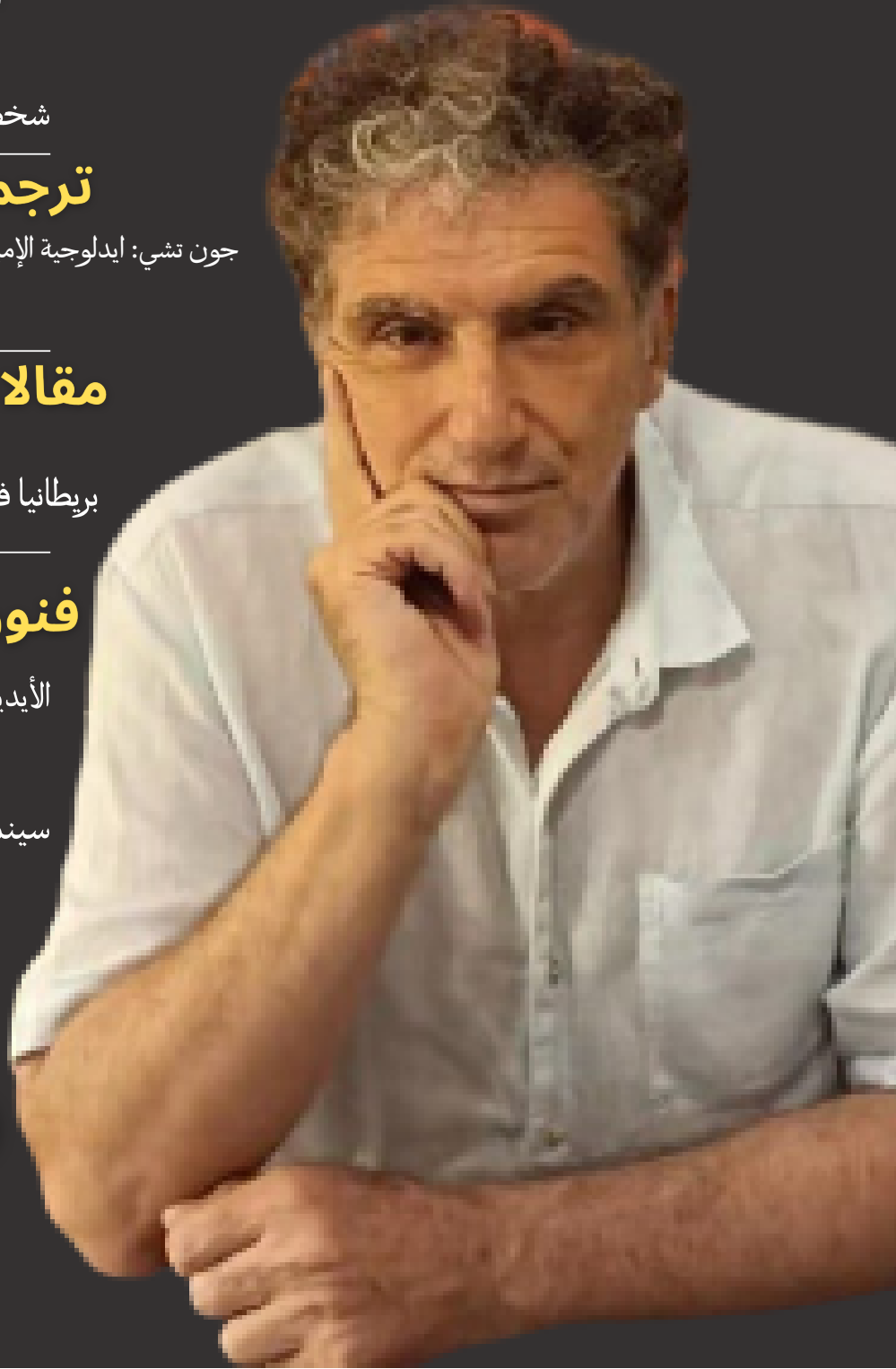
سينما داوود عبد السيد: العجز والواقع والسلطة

نص قصصي: أنها تحلم

ملف: شهداء الأرض المحتلة

9

يوليو ٢٠٢٢



اشتباك عربي

العدد الثالث

محتويات العدد:

1	الراهن العالمي
9	الراهن العربي
23	ملف العدد: القرن الأفريقي
28	شخصية العدد: المفكر الدكتور علي القادري
55	مقال بريطانيا في عهد اليزابيث الثانية: وهم استثناء يهم بالأفول
60	مقال الخبر والمدفع
84	ملف شهداء الأرض المحتلة
136	علوم وتكنولوجيا

فنون وأدب	
108	الأيدولوجيا كحلقة مركزية في المقاربة العلمية للسينما
123	سينما داوود عبد السيد: العجز والواقع والسلطة
126	نص قصصي: إنها تحلم!
133	في ذكرى الحدث المر
135	كاريكاتير محمد نور

ترجمات اشتباك	
71	الحرب كحالة مستدامة
39	أيدولوجية الإمبريالية المتأخرة- عودة الجغرافيا السياسية للأمم المتحدة الثانية

المشهد العالمي

تستند رؤية وقراءة اشتباك السياسية عموماً وتحليل المشهد الدولي خصوصاً لمنظومة مفاهيمية وتقليد نظري يرى العالم من خندقنا العربي الجنوبي ومؤسس على:

أولاً: رؤية المنظومة الدولية كوحدة تحليلية واحدة يتوجب التفكير بأحداثها بشكل مترابط ومتبادل التأثير، وبالتالي فكل حدث محلي هو بالضرورة إقليمي ودولي، والعكس صحيح. لهذا نبني في اشتباك موقفنا من كل القضايا المحلية والإقليمية والدولية وفق ترابطها وتبعاتها على حال أمتنا العربية ومجتمعات الجنوب في آسيا، إفريقيا، وأميركا اللاتينية.

ثانياً: التناقض الأساسي في العالم كان ولا يزال هو تناقض الجنوب-الشمال، وبالتالي فالأولوية في أي قراءة سياسية يتوجب أن تكون دائماً للحظة الإمبريالية وتبعات أي حدث على مشروع الهيمنة الإمبريالية. هذا لا يعني أننا نرى الجنوب والشمال كتل متجانسة، بل، ولأن جوهر الصراع القائم على مستوى العالم والأقاليم والدول هو صراع طبقي أساساً قائم على الاستغلال والنهب والحروب والخراب، فإننا نرى شمالاً في الجنوب وجنوباً في الشمال، أو امتداداً نسيجياً للشمال الرأسمالي الإمبريالي في الجنوب وامتداداً نسيجياً للجنوب في الشمال. فبعض الشرائح الاجتماعية في دول الجنوب ووطننا العربي هي امتداد للإمبريالية الغربية في بلادنا وفي مجتمعات الجنوب وتتشارك معه في الأمن المصلحي والطبقي المشترك، فيما تشكل الأقليات المضطهدة والفقراء في الشمال امتداداً نسيجياً وحليف موضوعي لحركات التحرر الوطني في الوطن العربي ودول الجنوب.



العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا:

لا تزال العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا تحتل صدارة المشهد الدولي لما لها من تبعات هائلة محتملة على بنية المنظومة الدولية ومسار إعادة تشكيل التنظيم الإستراتيجي العالمي الجاري، والذي يصطدم بمصالح كونية هائلة.

العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، والتي بدأت كعملية دفاعية بسبب إقدام حلف شمال الأطلسي على حصار روسيا وضم دول شرق أوروبا وبعض الجمهوريات السوفياتية السابقة (آخرها أوكرانيا)، شكلت نهاية للمرحلة الانتقالية التي كان يمر بها النظام الدولي وأسست لتنظيم إستراتيجي عالمي جديد تتميز بداياته الراهنة باشتداد حاد للاستقطاب على المستوى الدولي، كما يفيد مشهد اجتماع الناتو في مدريد ومشاريع توسعه وضم فنلندا والسويد من جهة، واستمرار الدعم الصيني لروسيا والاصطفافات الجديدة لبعض دول العالم في كلا المحورين من جهة أخرى، وتحمل في طياتها خطورة احتمال اشتداد وتوسع المواجهة لما بعد أوكرانيا.

التنظيم الإستراتيجي للمنظومة الدولية والهيمنة الأميركية على العالم هما اللذان أسسا لقدرة الغرب على نهب الكوكب والاستمرار في تمويل رفاهية الغرب، التي تتجاوز بكثير قدرات وإمكانيات الغرب (والغرب منذ قرون ينفق فوق إمكاناته ويستثمر أعلى من قدراته)، وهذا ما يفسر بعضا من شراسة الهجمة الغربية على روسيا ومحاولة التأثير في المسارات الميدانية وتبعاتها السياسية المتوقعة. بالتالي، فإن إعادة ترتيب المنظومة الدولية وفق موازين القوى الجديدة حيث الصين تشكل القوة الاقتصادية الأكبر وفق مؤشرات تعادل القوة الشرائية، فيما تشكل روسيا قوة عسكرية عالمية يحمل في طياته خسارة تاريخية للغرب الامبريالي.

لكن، بعد دخول العملية العسكرية الروسية شهرها الخامس، يمكن التقدير بثقة أن التحولات في مراحل الحرب تشير الى أن الزمن لا يسير لصالح الناتو والولايات المتحدة لأسباب عدة:

أولا: برغم البداية الروسية التي شابها بعض التعثر، والحملة الإعلامية والدعائية الشرسة وغير المسبوقة من قبل الولايات المتحدة وحلفاءها والتي مثلت جزءا مهما من المجهود العسكري الأطلسي (كما هي حال كل الحروب الحديثة)، وبرغم الدعم العسكري والسياسي والمالي الهائل، إلا أن القوات الأوكرانية لم تستطع تحقيق أي انجاز عسكري خارج نطاق ما يمكن حسابه في إطار الإنجازات التكتيكية القليلة والمتفرقة (اغتيال بعض الجنرالات الروس). على العكس، قادت الحملة الروسية حتى الآن الى استنزاف القوات الأوكرانية، واستعداد الجيش الروسي المبادرة العسكرية في الميدان، وهو ما توج في أوائل تموز بسيطرة القوات الروسية على كامل أراضي جمهورية لوغانسك الشعبية، هذا عدى عن تراجع ملحوظ للزخم والدور الإعلامي الغربي في الحرب.

ثانيا: كان واضحا منذ البداية أن القوات الروسية تمتعت بامتياز هائل من ناحية القوة العسكرية، سواء من ناحية المعدات والسلاح (تحديدا القوة النارية والقوة المدفعية) أو من ناحية قوات المشاة. هذا التفوق الروسي يبدو أنه سيستمر وسيتصاعد محدثا المزيد من التراجع الأوكراني خصوصا أن القوة الروسية هي وطنية البنية والتجهيز ولا يمكن المس بها عبر أي نظام عقوبات، وفيما تعتمد أوكرانيا كليا الدعم الغربي لا يمكن في الجانب الآخر تخيل أي تغيير سوى باتجاه زيادة الدعم الصيني لروسيا وزيادة التنسيق الاقتصادي والعسكري.

الدولية، والذي يضمن مصالح الغرب ويمول إمكانية العيش فوق قدراتهم الذاتية بكثير يتغير، بل السيناريوهات المحتملة لهذا التغيير وطبيعة الترتيبات الدولية المحتملة. فما نشهده ليس مجرد انتقال تقليدي للقوة المهيمنة في النظام العالمي إلى قوة صاعدة جديدة، كما حدث سابقا في أعقاب الحروب العالمية، بل معنى تراجع الهيمنة الأميركية والغربية على الأيديولوجيا الدولية ومنظومة الأفكار والمفاهيم السائدة عالميا أيضا والتي أسس لها الغرب بالقوة أساسا. تقديرنا في اشتباك أن التحولات الجارية ارتباطا بالعملية العسكرية الروسية والصعود الصيني من جهة هي نتاج لتحولات تاريخية أولا وبنوية ثانيا، وبالتالي فإن استمرار الحالة التي سادت منذ الحرب العالمية الأولى غير ممكنة وغير قابلة للعودة للخلف (ستناقشه اشتباك في العدد القادم بالتفصيل).

ثالثا: ازدياد الرهان الروسي على عامل الزمن، والاستعداد لمواجهة طويلة الأمد، يتضح من التقدم البطيء، رغم الإمكانيات العسكرية الروسية الهائلة، الذي يرافقه تعزيز وتحسين الوقائع الجديدة والانجازات الميدانية الجديدة، وبالتالي ضمان إفشال أي حملة محتملة لأي هجوم مضاد بسبب عدم انكشاف خطوط الدعم والاسناد الروسية. لهذا، ومنذ نيسان/ أبريل كانت مصادر وقوات الاوكرانيين هي التي تتراجع وتضعف برغم الإسناد الأميركي والغربي الهائل. ففي المرحلة الأخيرة من الحرب، استطاعت القوة النارية الروسية الهائلة من الحيلولة دون قدرة الغرب حتى على تعويض الخسائر الأوكرانية.

رابعا: مرحلة ما بعد نيسان/ أبريل تميزت ببداية ظهور ضعف الدور الأوروبي وهو ما سيؤثر في طبيعة التسوية الممكنة مستقبلا، إن حصلت (مع أنها مستبعدة في الظرف الراهن)، أو قدرة أوروبا على الاستمرار في لعب الدور المنوط بها غربيا بنفس الزخم. لكن، بغض النظر عن مسارات الأحداث الممكنة، ينبئ بداية تداعي الرأي العام الأوروبي (خصوصا غرب أوروبا) بتبعات المواجهة على القارة الأوروبية التي سيتزايد تأثيرها على شكل أزمت اقتصادية وسياسية واجتماعية.

خامسا: الصورة الكبرى لتبعات المواجهة بالمعنى الاستراتيجي حتى الآن، وتربطها بمسارات الأحداث الأخرى على المستوى العالمي، تشير إلى اهتزاز وحتى تراجع ملموس للهيمنة الأميركية بسبب التحديات الروسي والصيني عسكريا واقتصاديا وإعادة الاصطفاف دوليا من جهة، وخلق جعبة الخيارات الأميركية من أي إستراتيجية ممكنة لإعادة عقارب الساعة للوراء. السؤال الذي ينبغي التفكير به في سياق هذا الحدث، ليس إن كان التنظيم الإستراتيجي للمنظومة



اجتماع حلف شمال الأطلسي:

تبنيتها في ٢٠١٠، وتشكل الاستراتيجية الجديدة حتى عام ٢٠٣٠، أحد أهم بنود الوثيقة تضمن ما سمي "المفهوم الاستراتيجي المحدث" لحلف شمال الأطلسي، وكان لروسيا منه الحظ الأكبر بتوصيفها بـ"التهديد الأهم والمباشر"، في استبدال لتوصيف "الشريك" في الوثيقة السابقة، والإصرار على توسع الناتو شرقا، وهو ما يندرج بامتداد الصراع الدائر لما بعد أوكرانيا.



رغم ذلك، فإن حدود تصاعد تدخل الناتو في الأزمة الأوكرانية لن يتجاوز احتمال التصعيد الكمي، بسبب قوة الردع النووية الروسية التي ستجعل من أي تحول نوعي للمواجهة على شكل اشتباك مباشر كارثي على الجميع. أما في الجانب الإستراتيجي، أو غير المباشر كما هي حال روسيا، فاعتمدت وثيقة الناتو الجديدة توصيف الصين بـ"التحدي الإستراتيجي". صعود الصين سيظل القضية الأهم التي توترق صانع القرار الغربي ليس فقط لأنها تهدد جديا الهيمنة الغربية على المنظومة الدولية، بل لأنه لا يبدو أن هناك حلولا حقيقية لدى القوى الغربية لمواجهة هذا الصعود بعد الفشل الذريع لاستراتيجية الاحتواء السابقة.

استنادا لما جرى حتى اللحظة، خصوصا في الحدث الأوكراني، يتضح أن الأولوية في صنع القرار هي للعامل السياسي، وليس الاقتصادي البحت أو المباشر، كون السياسة هي الوحيدة الكفيلة، أو التي يمكن الرهان عليها، لإعادة إنتاج منظومة العولمة من جديد وفق

في اجتماعه في مدريد في نهاية حزيران، أقر حلف شمال الأطلسي (الناتو) سلسلة من المواقف تضمنت إقرار زيادة هائلة في الإنفاق العسكري الأطلسي وزيادة عديد "القوات الضاربة" للناتو بأكثر من ستة أضعاف، من ٤٠ ألفا إلى ٣٠٠ ألف. هذا الميول نحو العسكرية على المستوى الهائل وإن كان جديدا من ناحية الكم والعديد هو ذات الإستراتيجية

الأميركية التي تم تبنيتها منذ بداية القرن لإبطاء تراجع الهيمنة الغربية. فمع عهد جورج بوش الصغير تم استبدال ما كان يعرف بـ"الازدواجية الناعمة" التي تزوج الأدوات الناعمة والخشنة لإبطاء أو حتى وقف التراجع الأميركي في مجالات عديدة، والتي تم تبنيتها منذ عهد نيكسون، باستراتيجية "أحادية" تعتمد القوة. ليست "عسكرة العالم" التي أسس لها اجتماع الناتو، كما وصف الخبراء هذه القرارات، معزولة عن تحولات أخرى تجري في أوروبا وأميركا، خصوصا صعود قوى اليمين الفاشي بشكل لافت ومؤثر وهو ما يجعل من هذه القرارات أكثر خطورة مما تبدو. وبرغم أنه لا يمكن لهذه الميول لعسكرة العالم أن توفر آلية لاستعادة الهيمنة الغربية على العالم كما كانت أو إعادة عقارب الساعة، فإن ضررها المحتمل على البشرية لا يمكن تجاهله.

الجانب الآخر من مخرجات اجتماع مدريد تمثل بإصدار وثيقة الحلف الجديدة التي استبدلت الوثيقة السابقة، وشكلت إعادة صياغة تاريخية لإستراتيجية الحلف الراهنة والتي تم

أوروبا:

على وقع المواجهة الدائرة في أوكرانيا تشهد أوروبا أعلى مستوى تضخم منذ عقود، وصل لحد قياسي غير مسبوق منذ الحرب العالمية الثانية في حزيران ٢٠٢٢ وقارب الـ ٩٪ بعد أن قارب الـ ٨٪ في الشهرين السابقين (أيار ونيسان)، وتجلى بصعود حاد في أسعار المواد الغذائية والطاقة. لكن ارتدادات المواجهة العسكرية في أوكرانيا حتى الآن ليست محصورة في ارتفاع الأسعار واستنزاف ميزانيات الدول الأوروبية من خلال العسكرة ودعم أوكرانيا، بل بزخم إضافي وفرته ظروف المواجهة لأزمات سياسية واجتماعية متوقعة أحد مميزاتها صعود قوى اليمين الفاشي في أوروبا، وهو ما انعكس على الأقل في الانتخابات الفرنسية وهامش النجاة الصغير في التصويت على الثقة لرئيس الحكومة البريطانية.

الانتخابات الفرنسية التي كانت نتيجتها الأساسية "فوز لا أحد"، بسبب تراجع يمين الوسط الفرنسي لصالح اليمين الفاشي وتحالف اليسار تشكل مأزقا للهيمنة السياسية التقليدية ما يخلق تحديات لصانع القرار الفرنسي، خصوصا في القضايا المحلية، لكنها أيضا مؤشر على تصاعد أزمات اجتماعية وسياسية عميقة تحدث في فرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، كبريطانيا، نتيجة تراكم تبعات تطبيق السياسات النيو ليبرالية. احتمالات صعود اليمين الفاشي أكثر تتزايد بسبب انسداد أفق السياسات المهيمنة في أوروبا وهو ما قد يكون أحد خيارات قوى رأس المال الغربي لخروج مؤقت من الأزمة العميقة والاستجابة لأزمة الهيمنة السياسية الراهنة. ليس لدى أوروبا ما تقدمه.

متطلبات المصالح الغربية وتحجيم الدور الصيني. هذا كان واضحا من الاستعدادات الغربية لتحمل خسائر اقتصادية باهظة في أسعار المواد الغذائية والطاقة، والاستمرار في الصراع ولو على حساب رفاهية الشعوب الغربية. تقدير العديد من الخبراء الغربيين بأن القطار قد غادر المحطة فعلا وأن القوى الغربية، بقيادة الولايات المتحدة، أضعف من أن تعيد عقارب الساعة للخلف، لا يبدو أنها ستردع السياسات العدوانية للناتو والغرب، فالطبيعة البنيوية لقوى رأس المال العالمي مؤسسه على المنافسة، لا المشاركة، وهو ما سبب مقدمات كل الحروب العالمية التي منعتها هذه الطبيعة البنيوية من الاتفاق على تقسيم العالم.

الوثيقة ترسم خارطة اصطافات القوى العالمية في الصراعات الدائرة، كما يراها الناتو. لكن لأن طبيعة التحولات الجارية، كما أشرنا سابقا، تاريخية وبنيوية، فإن استراتيجيات الناتو يمكن أن تجعل من المرحلة الانتقالية التي يمر بها النظام الدولي والآلام والمخاطر التي سيعانيها ويواجهها العالم واليمن الذي سيدفعه، بما فيه أوروبا وأميركا أيضا، كبيرا، لكنها لن تستطيع وقف هذه التحولات. فتشابك الاقتصاد الصيني مثلا مع اقتصاديات أوروبا، أميركا، وباقي دول العالم يصعب فكها بدون ثمن هائل ربما لا تستطيع هذه التكتلات دفعه في المدى البعيد. الأهم أن هذه الوثيقة تشير الى حالة الانقسام الجدي والحاد التي تميز المشهد الدولي الراهن، وهو بحد ذاته تحول كبير عن حال العالم قبل سنين فقط حيث كانت الهيمنة الغربية شبه مطلقة وغير قابلة للتشكيك.

الولايات المتحدة:

في باب الولايات المتحدة سنجمل قضيتين مترابطتين لهما علاقة مباشرة بالوطن العربي، هما زيارة الرئيس الأميركي للمنطقة وتراجع احتمالات العودة للاتفاق النووي بعد حالة التفاؤل التي سادت أثناء مفاوضات الدوحة، وعودة أجواء تشاؤم ما بعد فشل مباحثات فيينا.

زيارة الرئيس الأميركي المرتقبة للمنطقة تستهدف أساسا التأسيس لحلف أميركي-صهيوني-عربي جوهره أمنى-وعسكري لمواجهة إيران وقوى ودول المقاومة العربية، وهي آخر محاولات الإدارة الأميركية لإعادة ترتيب الإقليم بما يسمح لها الحفاظ على مصالحها ومصالح الكيان الصهيوني من جهة، وإعادة ترتيب أولوياتها بما يتناسب والتحديات العالمية الأخرى المتمثلة أساسا بمواجهة روسية في أوكرانيا وتحدي الصعود الصيني في آسيا.

ورغم أن جهود بايدن تتضمن أيضا التركيز على عامل الطاقة والدفع باتجاه زيادة الإنتاج السعودي والإماراتي والغاز القطري لمواجهة بعض تبعات الحرب في أوكرانيا والحصار الغربي لروسيا على سوق الطاقة، فإنها ستتضمن محاولة استخدام البيادق الخليجية (السعودية، الامارات، قطر) للتأثير في الدور الروسي في مجموعة "أوبك زائد" في مسعى لضرب إحدى الأدوات الروسية في الصراع وفي الصراع على الطاقة.

لكن القضية الأساسية من الزيارة متعلقة بالترتيبات الإقليمية التي تستهدف مواجهة توسع نفوذ قوى محور المقاومة من إيران وسورية واليمن الى العراق وقوى المقاومة في لبنان وفي فلسطين، عبر حلف إقليمي عسكري-أمني يضم إضافة إلى الكيان الصهيوني بعض الدول العربية الخليجية وغير الخليجية المنضوية في المحور الأميركي. وبرغم أن هذا الحلف موجود بحكم الأمر الواقع عبر الخضوع شبه المطلق لهذه

الأنظمة للسياسات الأميركية، واتفاقيات التطبيع العلنية والتفاهات شبه العلنية (السعودية)، إلا أن الولايات المتحدة معنية برفع مستوى التنسيق بين أطرافه الى مستويات جديدة، خصوصا بعد خضوع المنطقة عسكريا لمسؤوليات القيادة المركزية العسكرية الأميركية، وفق التقسيم الأميركي العسكري للعالم.

وفيما لا يبدو أن السعودية، أو بعض الدول العربية الأخرى، ستكون قادرة على الخروج إلى العلن عن مشاركة رسمية في تحالف من هذا النوع، أو حتى إخراج العلاقة والتنسيق العالي القائم مع الكيان الصهيوني إلى العلن (في حالة السعودية)، إلا أن هذا لا ينفي إمكانية تشكل الحلف ورفع مستوى التنسيق مع الكيان الصهيوني ضد إيران ودول وقوى محور المقاومة العربية.

يترافق ذلك مع الفشل في إحياء الاتفاق النووي الإيراني، خصوصا بعد فشل مفاوضات الدوحة مؤخرا رغم المنسوب العالي للتفاوض الذي رافقها خصوصا بعد فشل مباحثات فيينا. وفيما يبدو أن السبب الرئيسي للفشل حتى الآن هو ضعف إدارة بايدن وعدم قدرتها على تسويق خطوة كبيرة من هذا النوع، خصوصا



على أعتاب الانتخابات النصفية التي من المتوقع (وشبه المؤكد) أن يتعرض فيها حزب الرئيس بايدن الديمقراطي لخسارة أغلبيته الضعيفة في غرفتي الكونغرس (الشيوخ والنواب)، إلا أن أولوية الصراع مع روسيا في أوكرانيا من جهة والتحدي الصيني من جهة أخرى تجعل من الخيار العسكري ضد إيران

لكن تبقى الانتخابات مهمة كونها جزءا من ميول قاري في أميركا اللاتينية نحو اليسار، وفي حالة كولومبيا تحديدا إن لم ينجح صعود غوستافو بيترو للرئاسة في نقل كولومبيا الى محور فنزويلا، كوبا، بوليفيا، ونيكاراغوا، فإنه على الأقل قد ينجح في التقليل من شرور "إسرائيل" أميركا اللاتينية ولو مؤقتا.

نتائج التوجه يسارا في أميركا اللاتينية قد تتضح أكثر في المدى المتوسط والبعيد، خصوصا بالترافق مع ما يحدث من تحولات عالمية. لهذا لا ينبغي تحميلها أكثر مما تستطيع في المدى القصير خصوصا في ظل السياسات الأميركية العدوانية تجاه هذه التجارب والحصار والقيود التي يتم فرضها على خيارات شعوب أميركا اللاتينية بالتححر والانعتاق من حالة الاستعباد التي تفرضه الشركات والمصالح الأميركية عليها. لكن المسار الذي اختاره الشعب الكولومبي، وقبله كوبا وفنزويلا وبوليفيا ونيكاراغوا هو المسار الأفضل لهذه الشعوب وللعالم، لكن فرصته في النجاح في عالم غير أميركي وغير غربي في طور التشكل ستكون أكبر بالتأكيد.

كبدل للاتفاق أصعب مما سبق. الرهان على الحلف العربي الصهيوني هو محاولة لسد ثغرة العجز الأميركي التي لا يبدو أنها ستكون فرصها أفضل من سابقاتها برغم أضرارها المتوقعة على الحالة العربية.

أميركا اللاتينية:

التطور اللافت الأخير في أميركا اللاتينية هو انتصار المرشح اليساري غوستافو بيترو في انتخابات الرئاسة الكولومبية على المرشحين الأميركي الهوى في نهاية حزيران من هذا العام. أهمية نتيجة هذه الانتخابات لا تتجلى فقط في استمرار الموجة اليسارية في القارة الأميركية اللاتينية (التي تصفها الوقاحة الأميركية كحديقة خلفية لها)، بل وأيضا لأنها حدثت بالذات في كولومبيا التي توصف بـ "إسرائيل" أميركا اللاتينية. كانت كولومبيا ونظامها الفاشي أداة أساسية للسياسات الأميركية في أميركا اللاتينية خصوصا ضد الدول المجاورة كفنزويلا على مدى السنوات السابقة وكانت أساسية في مؤامرات الانقلابات التي رعتها الحكومة الأميركية في المنطقة.

وبرغم أن ما حصل في كولومبيا يشي بميول التحولات باتجاه اليسار في أميركا اللاتينية واتساع جبهة الدول المناهضة لسياسات الولايات المتحدة، والصديقة للعرب والقضايا العربية أيضا، إلا أن تبعات هذه الانتخابات تستوجب الانتظار لأسباب عديدة. لا تزال أميركا اللاتينية أحد أهم مناطق النفوذ الأميركي، والمصالح الأميركية في القارة هائلة لن تستطيع انتخابات واحدة في بلد واحد من مواجهتها، خصوصا أن القوى اليمينية والفاشية التابعة للولايات المتحدة في كولومبيا خصوصا، وباقي أقطار القارة لا تزال قوية.

خلاصة

ليست هذه المرة الأولى التي تواجه فيها روسيا هجمة إمبريالية غربية شرسة تستهدف إخضاعها وحتى تقسيمها ونهب ثرواتها، لكنها المرة الأولى التي تجري وروسيا في حالة من القوة النسبية التي تسمح لها بالتصدي للعدوان وحتى الانتصار عليه دون الاضطرار لتقديم تنازلات كبرى. فعدى عن الحرب الباردة، تعرضت روسيا البلشفية مباشرة في أعقاب الثورة لحملة إمبريالية غربية تدخلت فيها القوى الغربية (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، الخ) عسكريا لصالح قوى الثورة المضادة البيضاء وساندتهم بآلاف الجنود الغربيين والدعم العسكري والمالي من أجل إفشال التجربة الإشتراكية. وفيما يصف مؤرخو تلك المرحلة الحدث بأنه "حرب أهلية" روسية بين الجيش الأحمر وقوى الثورة المضادة، إلا أنه كان فعلا عدوانا غربيا على روسيا بهدف إفشال الثورة البلشفية ولم تكن الثورة المضادة والجيش الأبيض أكثر من أدوات في هذا الصراع للإمبريالية الغربية وللقوى الاجتماعية التي مثلها النظام البائد في روسيا حينها. اللافت حينها أن العدوان بدأ برغم انشغال هذه الدول في الحرب العالمية الأولى التي كانت على أبواب خواتيمها، ما يؤكد أولوية السياسة دائما على عوامل أخرى (كالإقتصاد أو الأرباح) في صراعات كبرى من هذا النوع.

لاحقا، وحتى قبل أن تستقر الثورة البلشفية ساد ما يعرف بـ"زعب الحرب" الذي اجتاحت الاتحاد السوفيتي في أواخر عام ١٩٣٦ بسبب مجهود القوى الامبريالية الغربية على إحداث تغييرات إقليمية نوعية في شرق أوروبا، تستهدف الحكم البلشفي في روسيا عبر مسعى تشكيل كتل مناهض لروسيا في أوروبا الشرقية.

ما جرى في الحالتين يشبه سيناريو العدوان الراهن على روسيا، ويمكن أحيانا حتى تخيل هذه الأحداث كمرجعية لما يحصل هذه الأيام. لكن الفارق الكبير والذي سيكون له دور حاسم في نتائج المواجهة الراهنة أن حالة العالم، وحال القوى الغربية، وحال روسيا لم تكن في صالح روسيا حينها. وإذا كان الزمن التاريخي منذ الثورة البلشفية عموما يسير لصالح تمكين الهيمنة الأميركية والغربية على العالم، فإن المواجهة الراهنة تحدث فيما هيمنة القوى الغربية تتراجع وروسيا استعادت عافيتها بعد هزة سقوط الاتحاد السوفيتي، وعامل تحدي صعود الصين للهيمنة أصبح الرقم الأصعب في السياسة الدولية.

العالم يشهد ولادة ستكون مؤلمة (وربما مؤلمة جدا) لنظام دولي جديد سيكون لنتائج الصراع الدائر في أوكرانيا وشرق أوروبا، حيث سقط النظام الدولي السابق، دور أساسي في تحديد معالمه. لكن لأن العالم، كما نراه في اشتباك، وحدة واحدة تؤثر وتتأثر أجزاءه ببعضها فإن كل صراع دائر الآن هو صراع على العالم، ودور العرب في عالم المستقبل سيتحدد بمدى مساهمتهم في الصراعات الدائرة وخصوصا في فلسطين، قلب وطننا العربي الحبيب.

كُتب حتى 22 حزيران 2022

المشهد العربي

إن أخطر مغامرة تقع فيها حركة التحرر العربية هي إعادة تنويع البرجوازية التابعة وخاصة حيث راکمت هذه البرجوازية، سواء البيروقراطية والكمبرادورية والتجارية الكلاسيكية، خبرات التبعية لعقود طويلة وبنيت مصالحها على أن تصبح، وقد أصبحت، وكيلة تعمل في خدمة الإمبريالية نفسها.

من هنا وجوب أن يبقى المشهد العربي تحت دقيق المتابعة لما يحصل وعدم تضخيم بعض السياسات الجزئية والمؤقتة من هذا النظام أو ذاك، خاصة وأنها مبعثرة مفككة وليست ضمن خطة تنموية وطنية شاملة.

المشرق العربي:

تتصدر المقاومة في الأرض المحتلة المشهد العربي في هذه الفترة الأمر الذي يزيد الأنظمة، بما فيها سلطة أوسلو، حرجاً وانكشافاً مما يدفعها أكثر لاحتواء الموقف، كما حصل خاصة في انتفاضتي 1987 و2000، كي لا يمتد الأمر إلى حراك شعبي عربي.

من هنا، يصبح التركيز على تصعيد الحراك الشعبي العربي وتجزيره ميدانياً وعملياً على المستويين اللحظي المباشر والتأسيسي في المقاطعة والتدريب على الوعي بالاستهلاك كمقاومة ومداخل للتنمية في الوقت نفسه، أو لنقل استعادة الشارع العربي من أيدي قوى الدين السياسي والاتجاهات الليبرالية... الخ. فقد اتضح أنه كلما تصاعدت وتيرة المقاومة في الأرض المحتلة كلما استعادت القضية الفلسطينية تألقها عربياً على الصعيد الشعبي وتؤكد أنها قضية العرب المركزية، وخاصة من باب أن الكيان الصهيوني وُجد في فلسطين لاستهداف الوطن العربي بأكمله.

في الحالة الفلسطينية الحياة مقاومة، وهي، أي المقاومة، كالحدث الموضوعي لا تخضع غالباً لخطة محددة وتاريخ محدد بل هي متولدة عن الحياة اليومية للناس التي تقاوم طبقاً لإمكاناتها وليس طبقاً لجهاز إعلامي يستخدمها لتعبئة وقت برامجه.



إن الجدل الإعلامي للشعب أمر خطير لا سيما وهو يشحن الشعب لانتفاضة شاملة متواصلة بينما يرد الشعب بانتفاضة متواصلة ولكن موضعية وموقعية هنا وهناك. وهذا نظراً لأن طاقة الشعب ليست ماكينه تعطيها وقوداً

أكثر فتسرع أكثر، وربما يعود هذا كذلك إلى تجربة الانتفاضة الكبرى 1987 حيث تم توظيفها لإنتاج اتفاق إعلان المبادئ (أوسلو)، وبالتالي نقل معظم فصائل المقاومة من التحرير إلى الاستدوال!

إن التكتيك والأداء النضاليّ الأفضل، هو عمليات مسلحة بين حين وآخر، ومقاطعة منتجات العدو، أي الوعي بالاستهلاك، والتركيز

على التنمية بالحماية الشعبية كي يتوفر مناخٌ لأوسع فصلٍ ممكن عن اقتصاد الكيان.

لكنّ هذا التعدد في أشكال النضال يتعرض على يد السلطة لعسف هائل، سواء بالتنسيق الأمني أو اعتقال المناضلين/ات وإهلاك الناس بالضرائب¹ وذلك في سياسة ممنهجة لشل النضال الشعبي.

إن فلسطينة النضال من قبل الإعلام العربي خطير حيث يواصل فك القضية عن عمقها العروبي وخاصة بالتهويل الإعلامي للنضال الفلسطيني الذي هو فذ بالفعل.

وبغض النظر إن كانت العمليات الجارية فردية أو منظمة أو مشتركة، فإن المطلوب تكثيف الضغط الشعبي من أجل تشكيل جبهة وطنية موحدة تجاوزاً لتفكك الفصائل ومن ثم اتخاذ ما يحصل في جنين كقاعدة للسير عليها. وهذا لا شك يقود إلى رفض ولو سري من قبل السلطة/فتح وحماس، حيث تُصر قيادات الطرفين على مواصلة ارتباط كل منهما بطرف خارجي.

وإذا كانت السلطة عارية من حيث ارتباطاتها، فإن مضايقات تركيا ضد حماس وموقف أروغان ضد المقاومة يضع حماس في مأزق لا بد منه شعبياً. هذا وإن كانت دعوة روسيا لحماس لزيارة موسكو تعطيها بعض المصداقية.

ولا يقلّ خطورة ارتباط فتح وحماس بمعلم إقليمي أو خارجي عن خطورة تمسك كليهما بالانقسام الذي جوهره أن كلا الطرفين سعيد بما حصل عليه ويطمع في إقصاء الآخر، مما يُكلف الشعب كثيراً من زخمه المقاوم ويدفع باتجاه القلق واليأس النضاليين.

إن الهجمة الأخيرة من سلطة فتح ضد حماس بحجة أن حماس تخطط لانقلاب في الضفة الغربية أمر يدعو للتساؤل:

إذا كانت حماس بصدد انتزاع السلطة في الضفة الغربية، فهي لا تختلف عن فتح في ما يخص التصالح مع الكيان. وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا لا يتقاسمان السلطة في كل من الضفة وغزة بدل أن ينقسما!

يعتقد "اشتباك" أن أفضل مساهمة في توسيع أثر المقاومة في الأرض المحتلة هي الدفع باتجاه تحريك الوضع في القطر الملاصق، أي الأردن، للتأسيس لحركة تحرر وطني عربية.

أي الإصرار على تعريب الصراع بعد أن أُفقد عرويته بشكل مخطط ومنهجي.

لقد أدت اقتحامات العدو للأقصى إلى إخراج النظام الأردني وهروب الملك لعدة أيام إلى ألمانيا بحجة العلاج كي لا يتخذ موقفاً ثم التغطية عليه بمنحه جائزة "طريق السلام" في الأمم المتحدة في الوقت الذي تشتعل الأرض المحتلة بوحشية الكيان. وفي الوقت نفسه صرح رئيس وزراء الكيان بأنه لا دور للأردن في القدس وبأن الأمور كلها في يد الكيان نفسه بما في ذلك القدس! السيد لا يحترم عبيده.

صار واضحاً أن الشارع في الأردن تجاوز مخادعات النظام وأعوانه في التفريق بين الشعبين وهذا يبشر بتفاعل وثيق وإن ببطء.

لقد غدت فضائح بيع الأصول والفساد من رأس النظام أمورا مكشوفة كحديث واحتجاج في الشارع الأردني، هذا إلى جانب تراكم الديون وخصوصاً منذ بدء جائحة كورونا واليوم الحرب في أوكرانيا. وطبقاً لموقع بزنس ريبورت، فإن الديون في الأردن تتعمق حيث أن 150 ألفاً مطلوبون للحبس، وهذا غير من لم يُبِت في قضاياهم.

لقد ربط الاستعمار البريطاني بين فلسطين والأردن بأن جعل النظام الأردني سوراً شرقياً لحماية الكيان، وهو النظام الذي واصل دوره الوظيفي، وآخر وظائفه التحضير لعدوان ضد سوريا بحجة التهريب. يركز النظام في دوره

¹ إن السياسة الضريبية المؤلمة التي تطبق حالياً في الأرض المحتلة هي التي طبقها سلام فياض أحد "خبراء" البنك الدولي سيء الصيت.

تماماً كإدخال أوروبا في لون من الحرب ضد روسيا. وهذا يترتب عليه اختيار جاهزية وتماسك محور المقاومة.

وفي حين حققت المقاومة في الانتخابات قدرتها على منع مشروع تصفية سلاحها، فقد استغلت مشكلة النفط والغاز للجم الجناح والقوى العميلة بأن أعلنت المقاومة أنها جاهزة لمنع العدو من سرقة ثروة لبنان بشرط أن تعلن الدولة موقفها من العدوان الصهيوني وضمن ذلك تحديد حصة لبنان من هذه الثروة، الأمر الذي شجع الرئيس اللبناني على أخذ مبادرة إعلان ما هو حق لبنان والطلب من "الوسيط" الأمريكي القدوم إلى المنطقة، وهو كما يبدو صهيوني من أصل يهودي، ومثل هذا الاختيار ليس عفويًا.

لقد تمكنت المقاومة من إجبار العملاء على عدم إعلان الخيانة في العن هذه المرة.

لكن خطورة الثورة المضادة في لبنان لا تتوقف على هذه المعركة فهناك في الأساس استخدام لبنان ضد سوريا سواء في:

- إسقاط النظام المصرفي اللبناني بما اشتمل ذلك على مليارات الدولارات السورية ومنع دخول الدولارات لسوريا

- تدمير مرفأ بيروت

- وتشديد قانون قيصر

- استكمالاً لدفع مئات آلاف إرهابيي الدين السياسي وقتل الرجال وسبي النساء

- احتلال مناطق القمح من قبل الكر/صهاينة

- واحتلال النفط من قبل العدو الأمريكي

بدوره، فإن الاحتكار الطائفي/المصرفي للسلطة في لبنان يغطي نهبه للبلد وتهريب مدخرات الشعب عبر السرية المصرفية

الحالي على القوات الأمريكية في الأردن، والإنزال الأمريكي في الجنوب، ومنع محاسبة القوات الأمريكية كما يحصل منذ عقود في اليابان وكوريا الجنوبية وغيرهما وهذا يزيد من الاحتقان لدى الشارع.

لبنان وسوريا:

كل ما يحصل في لبنان هو لضرب سوريا.

فلبنان قبل عصر المقاومة كان في عين الرضى.

على صغره، يمثل لبنان نموذجاً عن مجمل الوطن العربي من حيث المقاومة والثورة المضادة والتدخل الإمبريالي والصهيوني. وبعد شبه انكفاء خليجي عن الساحة اللبنانية، عادت الإمبريالية لإرغام السعودية والإمارات على التدخل في الانتخابات اللبنانية في محاولات لتقليص دور محور المقاومة وتطهير محور العملاء. وهذا ما يتضح من الحراك العلني للسفراء الغربيين والخليجية، وخاصة السفير السعودي، ويتوافق مع ذلك المال الانتخابي إلى درجة شراء الصوت الواحد بـ 500 دولار كما يقول البعض.

حملت الانتخابات في لبنان مؤشرات جديدة بالطبع حيث كان الهدف تصغير حصة المقاومة للوصول إلى تشريع يطالب الأمم المتحدة بسحب سلاح المقاومة. لكن نتائج الانتخابات لم تأت بما يكفي لتحقيق المؤامرة، هذا وإن أفرزت كتلة أمريكية من 14 عضواً في البرلمان باسم "ثورة 17 تشرين".

في المقابل، تقوم أمريكا بتحريك الكيان لفتح ملف النفط والغاز في اضطرار منها لتوفير هذه المواد لأوروبا تعويضا على اضطرار بعض دول أوروبا ورغبة البعض الآخر لمقاطعة الطاقة الروسية. لذا جاء التحريك الصهيوني في حقول النفط والغاز البحرين لاختبار جاهزية لبنان للرد. وإذا ما حصل صدام إثر ذلك فلن يكون خارجاً عن الأمر الأمريكي

وبتواطؤ صندوق النقد الدولي في ذلك الذي يزعم الضغط لتعديل السرية المصرفية لتسهيل إقراض لبنان بملياري دولار خشية أن ينجح الضغط الوطني في دفع السلطة لأي مستوى من التوجه شرقاً.

وطبقاً لحديث أكثر من اقتصادي وطني لبناني، فإنه في وسع لبنان الخروج من المأزق المالي إذا ما تمت إزاحة حاكم مصرف لبنان واستخدام الموجودات وهي قرابة 13 مليار دولار في شراء الضروري وقبول العرض الروسي بإقامة مصفاة نفطية في فترة وجيزة وتشغيل مصانع الأدوية المتوقفة واستقبال النفط الإيراني... الخ.

لا شك أن الهدف الرئيس للثورة المضادة في الوطن العربي في هذه اللحظة هو إسقاط سوريا وتحويلها إلى دولة فاشلة من خلال تبادلية الحروب ضدها، وليست حرباً واحدة ولا من عدو واحد، حيث تمظهرت الحرب في المقاطعة الاقتصادية والحصار التام وهي حرب لا تكلف العدو شيئاً. إنها حالة الحرب المتحورة أو المتنقلة التي يقوم بها عملاء أمريكا، ولكنها مع ذلك تشتمل على استخدام كافة ألوان الحرب تبادلياً وأحياناً مع بعضها البعض.

لقد أثار العدوان الصهيوني المتكرر ضد سوريا أسئلة عديدة عن دور الصديق الروسي وقاد ذلك إلى صدور أصوات تتهم روسيا.

يتناسى كثيرون أن طبيعة العلاقة الروسية - السورية ليست من نمط علاقة الكيان بالإمبريالية. فروسيا لم تبرأ من الدور اليهودي/صهيوني في داخل نظامها، كما أنها ليست من القوة بمكان بحيث تواجه الغرب مباشرة فهي ربما تتبع مبدأ إرهابك الدب لا مواجهته مباشرة ناهيك عن حاجتها لعلاقة قوية مع العدو التركي. لذا، تأخذ روسيا موقفاً يبدو مساوماً ولكنه هو المستطاع.

ومع ذلك، فالاعتراض الروسي الخجول ضد العدوان الصهيوني وتسيير دوريات طيران مشتركة من الجيشين السوري والروسي وقيام

الطيران الروسي بضرب مواقع لداعش في منطقة قريبة من قاعدة التنف العدوانية الأمريكية تبين بقاء الدعم الروسي وتشير إلى أن روسيا مرتاحة نوعاً ما في حربها في أوكرانيا.

لعل ما يجب علينا التركيز عليه هو طبيعة ودور الأنظمة العربية تجاه سوريا، بل حتى اصطفاك كثير منها ضد روسيا لصالح الناتو كما تفعل مصر مع الكيان فيما يخص النفط ناهيك عن قطر ومناورات السعودية التي تبحث عن مجرد هاتف من بايدن لبن سلمان! لماذا التركيز على الأنظمة العربية؟

لأننا لسنا مجرد محللين محايدين، وللسنا وكالة نقل أنباء، بل نحن بهدف مشروع عربي لاجتثاث هذه الأنظمة، وهذا يعني وضعها دوماً تحت النقد لإذكاء النضال والصراع الطبقي ضدها. فتدمير العراق وليبيا، واليوم سوريا، كان ممكناً بتواطؤ ومشاركة الأنظمة العربية ذات الدور والعلاقة والجوار وقيام الجامعة العربية بدعوة مجلس الأمن لضرب هذه الجمهوريات!

ولا ينحصر العدوان المتحرك والمتعدد ضد سوريا في الأمريكي من حيث الخارج فإن الموقف الفرنسي لافق في هذا الإطار، إذ ركزت باريس على المساعي الروسية لإعادة سوريا إلى الجامعة العربية بهدف تجميد هذه العودة واستبعاد دمشق من قمة الجزائر المقبلة، في ظل اقتراب دعوتها، وهو ما يشكّل ربطاً مباشراً بين هذا الملف والمساعدات المالية المنتظر تقديمها إلى دول جوار سوريا التي تستضيف لاجئين.

وفيما يتعززّ الصدام الروسي - الأوروبي حول سوريا، تُثار شكوك عديدة حول الموقف الأوروبي من تركيا، في ظلّ مساعي هذه الأخيرة للاستفادة من الظروف السياسية الدولية، وتسريع وتيرة مشروعها في المناطق الحدودية السورية، حيث تعمل على إعادة تشكيل واقع ديموغرافي جديد عبر مشاريع

إن أشد ما يدعم تركيا هو الموقف الرسمي للأنظمة العربية التي:

- تعتبر العدوان الصهيوني على سوريا أمراً عادياً

- وتتصالح مع تركيا، وخاصة السعودية ومصر، مما يطلق يدها ضد سوريا في حين لا تستطيع سوريا فتح معارك جانبية في هذه الظروف

سكنية هدفها الظاهري إعادة اللاجئين السوريين.

جاء ذلك في وقت تشهد فيه تركيا صراعاً انتخابياً يتصدّره ملف اللاجئين السوريين، إذ يحاول رجب طيب إردوغان الاستفادة من هذا الملفّ قدر الإمكان لتحقيق مجموعة من المكاسب، أبرزها:

التخلّص من عبء اللاجئين، وتالياً ضمان رفع شعبيته داخلياً، وإبعاد الأكراد لخلق بيئة مواتية لأنقرة على طول الشريط الحدودي، الأمر الذي يتعارض، جزئياً، مع مشروع تحاول الولايات المتحدة تمريره عبر دمج الأكراد (الإدارة الذاتية التي تقودها «قسد») مع "المعارضة" السورية العميلة، وتشكيل جسم معارض وازن. ووفق مصادر متقاطعة، أبلغ مسؤولون أميركيون، معارضين في «الائتلاف السوري»، أن تنفيذ هذا المشروع من شأنه إنعاش مناطق المعارضة اقتصادياً، بعد تمرير استثناءات من العقوبات الأميركية (قيصر) لمناطق في الشمال والشمال الشرقي من سوريا من جهة، و«زيادة الضغط على سوريا الدولة»، من جهة أخرى، ما سينتج منه، وفق هؤلاء، تسريع وتيرة التغيير السياسي في سوريا.

أما الهدف الاستراتيجي للنظام التركي بأكمله فهو استغلال لحظة التهافت العربي لاقتطاع أراض سورية وعراقية وضمها إلى ما جرى اقتطاعه عام 1934.

يفتح كل هذا في النهاية على ضرورة تماسك محور المقاومة بما هو الضمانة الوحيدة في هذه الفترة لتحديد الأعداء والحفاظ على صمود سوريا.

وبالطبع، يثير البعض نقاشاً أو نقداً لطبيعة النظام السوري، وهو الأمر الذي نراه في "اشتباك" بأنه في نطاق النظام الوطني وليس الثوري.

العراق:

تغيرات لافتة

لقد انتقل الصراع داخل العراق إلى العظم، بمعنى الصراع داخل الطائفة الحاكمة نفسها وبالإنابة عن أعداء عرب ودوليين وهذا استمرار لاحتجاز توازن الدولة العراقية بأسرها.

مضت أشهر عديدة على الصراع على المناصب بين القيادات الطائفية الشيعية، المعيّنة أميركياً، والتي يمكن وصف تنصيبها على السلطة في العراق بأنه "اتفاق محو البلد". وبدورها، تشارك القيادات الطائفية السنية وقيادات الكرد في مشروع التقويض نفسه، حيث يدرك هؤلاء جميعاً أن مصطلحهم هي في مواصلة الفساد والنهب

وهنا نؤكد أن أية انتخابات وسلطة محلية في ظل الاحتلال هو نسخ عن تجربة "ديمقراطية أوسلو-ستان" في الأرض المحتلة.

وحتى كتابة هذه السطور، ليس معروفا أين تتجه الأمور الداخلية في العراق.

ويخشى أن هذا الصراع الطائفي داخل الطائفة الواحدة سوف يُوظف ضد قوى المقاومة العراقية وخاصة الحشد الشعبي، ما يؤكد أن أمريكا والسعودية والإمارات وراء تحركات الصدر التي هي أيضا موجهة ضد إيران لكسر مسار محور المقاومة جغرافياً، بغض النظر عن مدى قبولنا بطبيعة وحدود الدور الإيراني في العراق.

المغارب العربية:

يتصدر دور أو موقف الجزائر المشهد في المغارب العربية خاصة، بعيداً عن مؤتمر القمة المتوقع هناك. فالغرب في حالة ضغط كبير على الجزائر بما هي ثالث مصدر للطاقة لأوروبا بعد روسيا والنرويج كي تزيد الضخ النفطي لإسعاد أوروبا أو المساهمة في ذلك. وبدورها تضغط الدبلوماسية الروسية للجم الضغط الأوربي مستخدمة العلاقة الاستراتيجية مع الجزائر وخاصة مسألة السلاح.

من جهة، تقول بعض المصادر: تؤسس الجزائر الآن بعدها الاستراتيجية الدولي مع موسكو عبر شراكة استراتيجية جديدة سيتم توقيعها قريباً تحت مسمى «الشراكة الاستراتيجية المعمقة».

وهذه الشراكة هي عبارة عن وثيقة تحدد بدقة أهداف ومجالات التعاون بين البلدين في قطاعات عديدة، مع تحديد آجال زمنية لتنفيذها تمتد غالباً بين 4 و5 سنوات، وقد تمخض عنها وهو لا يزال كمشروع، قرارات وصفقات نفذها الجانبان، خاصة في مسألة الديون المستحقة لموسكو لدى الجزائر، وشراء كميات من الأسلحة الحربية المتطورة على

رغم وقوع البلد تحت احتلال أمريكي أساساً واحتلال تركي واحتلال الكر/صهاينة. وتتم تغطية ذلك بأكذوبة اللعبة الديمقراطية على النهج الطائفي اللبناني بينما ترتبط السلطات والقوى العراقية إقليمياً ودولياً بنفس الأطراف وإن اختلفت التفسيرات.

وللتغطية على كل هذا، أقر مجلس البرلمان العراقي بالقراءة الأولى مشروع قانون حظر وتجريم التطبيع، هروباً إلى الأمام، مع كيان الاحتلال الصهيوني. ومشروع القرار من اقتراح التيار الصدري الذي يرتبط بالسعودية والولايات المتحدة منذ احتلال العراق مما يجعل لعبته هذه فراراً إلى الأمام ليس أكثر.

إن رفض التطبيع هو عملياً إلقاء القبض على المطبوعين ومحاكمتهم وليس إصدار قرار برلماني يأخذ الأمر إلى تفسيرات وقراءات مختلفة لتمميحه كما يحصل في تونس. هذا ناهيك عن أن التطبيع الحقيقي هو في علاقة مختلف قوى الحكم العراقية بالعدو الأمريكي ما يجعل التطبيع مع الكيان الصهيوني ملحقاً وتحصيل حاصل. فما هو معنى تجريم التطبيع مقروناً مع اعتبار العراق دولة إسلامية لا عربية، وتبرير الزيارات الدينية للأقصى؟ إن اعتبار العراق مجرد دولة إسلامية هو مدخل إلى درجة من التطبيع بمعنى أن الدول الإسلامية ليس من واجبه تحرير فلسطين، بل الحصول على تأشيرة صهيونية للدخول إلى الأقصى، أي أن تحرير فلسطين هو واجب العرب فقط.

إن ما يحتاجه العراق هو نظام يتصدى لمختلف أشكال الاحتلال للبلد وهدر الثروات وتجويع الشعب.

وللتغطية على ارتباطاته بالسعودية والإمارات وصولاً إلى واشنطن، فإن زعيم التيار الصدري الذي لم يقاتل الاحتلال قد وضع البلد في حالة فراغ برلماني باستقالة جميع أعضاء تياره في البرلمان (74 نائباً).

الجزائر؟! إن كان هدف الجزائر بهذا المستوى، أي استثمار ما يحدث لتقويض قوة نظام المغرب الرجعي والتابع والعدو للشعب نفسه على الأقل، فذلك جيد. وإن حصل، فهل ذلك بتنسيق بين الحركة الوطنية في البلدين أم في نطاق مباحثات بين الأنظمة، أي خدوش قشرة على السطح.

على سبيل المقارنة، واصل النظام العراقي/صدام تزويد الأردن بالنفط مجاناً رغم موافق النظام، وفي عام 1993 عرض العراق تزويد المناطق المحتلة بالنفط مجاناً فاعترض ياسر عبد ربه!

من غير الواضح أين تتجه الأمور بين الاستعمار الإسباني والجزائر على ضوء تعدي إسبانيا على جزيرة تابعة للجزائر بعد.

<https://cutt.ly/kKnnSj5>

داخليا، تعمل الحكومة الجزائرية على إعداد الخطط اللازمة لتخفيض فاتورة الواردات، بتقييدها وفرض جملة من الإجراءات الجديدة على الاستيراد لمواجهة الأزمة المالية والتآكل السريع لاحتياطي البلاد من العملة الصعبة. لاحظوا أن هذا يتوافق مع ارتفاع سعر النفط، وتشدد الحكومة ضد محاولات إخراج العملة الصعبة، ومحاولة الاستعاضة عن الاستيراد وهذا أمر جيد، إن كان حقيقياً. بما يمكن محليا **تهدف** الحكومة الجزائرية من وراء تقييد عمليات الاستيراد، إلى تقليص فاتورة الواردات وتشجيع الصناعة المحلية والمنتج المحلي.

وبالرغم من التأكيد المتواصل من طرف الحكومة، إلا أن بعض الخبراء والمتتبعين للاقتصاد الجزائري يجدون صعوبة في الاقتناع بالرهان الذي رفعتة الحكومة، بالنظر إلى طبيعة الاقتصاد الجزائري الريعي.

لكنّ هذه الحجة قد تصمد أمام وجود نظام لم يستخدم فائض الريع للتنمية؟ هل هذا النظام بقدر هذه المهمة؟

رأسها سرب مقاتلات «سوخوي 28» الروسية، وهذا يوضح لنا مستقبل العلاقات الجزائرية - الروسية التي تتأسس من رحم الحرب على أوكرانيا.

بدورها، تحاول الجزائر التفلت النسبي من كلا الضغطين، فمن جهة يغريها ارتفاع الأسعار وطلب السوق، أي برجوازية النظام ومن جهة تلجمها علاقتها بروسيا. ولعل المشكلة أن النظام ليس جذريا ليحسم علانية كما هو حال فنزويلا، كوريا الشمالية وحتى إيران. ولذا، فالسلطة الجزائرية تلتف نسبيا على الموقف الروسي عبر زيادة الضخ لإيطاليا بناء على اتفاقات سابقة بين البلدين. وفي المقابل تلوّح بالخلاف مع إسبانيا كي لا تتبع الأخيرة النفط للمغرب. وهنا يحضر السؤال التالي:

هل الحصار النفطي ضد النظام المغربي هو عامل تأثير سلبي على الشعب؟ هذا ما تحسم به الحركة الوطنية في المغرب. بالمفهوم العام، فإن أية علاقة اقتصادية بين قطرين عربيين هي في صالح تطوير تكامل اقتصاديّ مستقبلاً على أن يكون، أو يصبح، التكامل قاعدياً في خدمة الشعب؛ أي كجزء من سوق عربية واحدة بحيث لا يمكن للنظام اجتنائه بناء على إشكال سياسي كما كان يحصل في المشرق العربي في الخمسينيات والستينيات. ولكن، هل يسمح النظام المغربي بترسيخ علاقة تكاملية؟ الحقيقة، لا. يبقى التلاعب الإسباني بين النظامين أمر ينم عن تفاهتيهما ويبقى على الحركة الوطنية في البلدين، وكل المغارب، النضال قاعدياً لتحقيق أية درجة من التكامل.

هل الضغط النفطي من قبل الجزائر مقصود به تأزيم الوضع الاقتصادي في المغرب الذي عصفت به موجة الجفاف التي ضربت المغرب مؤخراً في محصول الزراعة وخصوصاً في الأرياف، وهو ما أدى لفقدان آلاف العاملين لعملهم؟ وهل يمكن توظيف هذا في إسقاط النظام أو فض بعض حلفائه، واستثمار الأزمة في كشف عداة النظام للشعب حيث يحاول تمرير الأزمة الاقتصادية باصطناع حرب مع

الآخر في التحرك وتوسيع استقطاباته وصولاً إلى حياض- وربما انحياز - اتحاد الشغل ضد الرئيس.

من جهة ثانية، يحتج كثير من القوى التقدمية على غموض موقف الرئيس من التطبيع وخاصة على ضوء زيارات صهاينة لجزيرة جربة.

ليس النظام البرلماني بالمفهوم الغربي هو خشية الخلاص وخاصة في بلدان المحيط، ولكن الذهاب إلى نظام رئاسي بالمعنى الفردي وبدون حزب جماهيري ثوري يبرر تجاوز الديمقراطية البرجوازية نحو الديكتاتورية الثورية وحتى العمالية يضع علامة قلق كبيرة.

رفع الرئيس قيس شعار مناهضة مطلقة للتطبيع، لكن لم يُحاكم أحد على ذلك كما لم يتم إصدار أمر رئاسي رسمي ضد التطبيع ناهيك عن حديث عن الفساد دون فتح ملفات ومحاكمات!

ومؤخراً، شاركت تونس في اجتماع الأربيعين ضد روسيا، وهذا لافت تماماً ليس فقط من حيث رجعية الموقف ولكن كذلك من حيث حجم تونس وإمكاناتها، وإذا كانت النهضة قد شاركت في غزو سوريا بالإرهابيين/ات، فهل ستفعل تونس ذلك ضد روسيا؟

هذا الموقف يفتح على وجود علاقة تحتية مع الغرب تتم تغطيتها بالتقعر باللغة الفخمة.

وحيث يزداد الوضع ضبابية وانقساماً في تونس، فهل المشكلة ضخامة الملفات؟ أم عدم وجود حزب للرئيس أو ضعف الأحزاب المؤيدة له أو عدم جذرية الرئيس نفسه؟

إلى جانب هذه الأمور السياسية المعقدة، يستحوذ الدين العام لتونس، بحسب قانون الموازنة، على 82.57% من إجمالي الناتج المحلي في عام 2022 ويبلغ الدين الخارجي

لا تزال الصحراء مشكلة وأزمة يفرضها النظام العميل في المغرب كما دوره التطبيعي. وقد يقرر الغرب تحريك المغرب لحرب ضد الجزائر وهذا سيكون لإسبانيا دور فيه.

لقد مثّل النظام المغربي القاعدة الرابعة المحيطة بالوطن العربي كلاسيكياً فهو من الغرب والكيان في الوسط وتركيا في الشمال والسعودية في الجنوب.

على المستوى السياسي العربي، تحاول الجزائر موازنة علاقتها بمختلف الأنظمة العربية لإنجاح مؤتمر القمة هناك. وهذا أمر لا يمكن الجزم به لأن ارتباطات معظم الأنظمة هي خارجية، علماً أن مسألة القمة هي مواصلة ترقيع في السياسة الرسمية العربية والتي تصب في النهاية لصالح بقاء هذه الأنظمة والتطبيع وضد المشترك العروبي.

من اللافت زيارة الرئيس الجزائري لتركييا من جهة ودعوته سوريا للقمة من جهة ثانية، وهو يعلم أن تركيا في صدد تدمير سوريا واغتصاب أراضيها. إن مساواة العلاقة بين أية دولة عربية وأخرى عربية بالعلاقة مع دولة غير عربية هو مؤشر واضح على غياب البعد العروبي لأنظمة كهذه، بل إن قرارها هو طمس لهذا البعد، وهذا خطير جداً على ما تصبو إليه الطبقات الشعبية العربية في الوحدة والتحرير والتحرر والاشتراكية. وهو تغيب لحقيقة أساسية هي أن دولة عربية بمفردها لن تكون قادرة على مواجهة تحديات عالم اليوم.

تونس:

منذ وصول الرئيس التونسي للسلطة والحدث السياسي يتصاعد على مستوى التناقضات الداخلية، وخاصة محاصرة قوى الدين السياسي وعزلها سلطويًا وبرلمانياً، وحتى قضائياً، وصولاً إلى انتخابات جديدة في تموز 2022. لكنّ عدم قيام الرئيس بإجراء انتخابات برلمانية، ربما لتخوفه من الفشل، منح فرصة للطرف

المجالات ما يضع هذا النظام ضمن أدوات اقتلاع الصين من إفريقيا أو منع دخولها.

ليبيا:

تتعدد الرؤوس في ليبيا، ولكن يبقى القرار بيد من احتل ليبيا ودمرها ليعيد بناء الدولة! وهذه حالة شبيهة بحال العراق. يدل على ذلك فشل الأطراف الليبيين في التوافق على بنود الدستور، وتحديد إطار زمني للعملية السياسية في البلاد التي تعيش أزمات متعاقبة منذ تعثر إجراء الانتخابات في 24 كانون الثاني الماضي، والتي يُعتقد أن أحد أهم أسباب تأجيلها تقدّم سيف الإسلام القذافي مما يؤكد تناغم المتنافسين مع موقف مستشارة الأمين العام للأمم المتحدة لشؤون ليبيا، ستيفاني وليامز وهي في الحقيقة مستشارة الغرب.

وحيث أخفقت الجولة الثالثة لمحادثات الأطراف الليبية التي عقدت في مصر، يتم التحضير لجولة أخرى في المغرب تجمع بين رئاسة مجلسي النواب والأعلى للدولة، للتشاور حول عدد من الموضوعات التي تخصّ المرحلة الانتقالية، و«بحث النقاط الخلافية العالقة»، مؤكدة أن اللجنة المشتركة أحرزت توافقاً حول العديد من المواد الخلافية في مسودة الدستور. والطريف أن من يصوغ مواد الدستور هم الفرقاء المختلفون فيما بينهم والمقودون من مبعوثة الغرب الذي دمر الدولة!

واللافت أن المشكلة بين الأطراف مرتبطة برغبة الأطراف المشاركين في الحصول على امتيازات وحصانات خلال المرحلة الانتقالية، وهو الأمر الذي يواجه اعتراضات متبادلة من الأطراف المختلفين.

وفي هذا السياق، أعلن رئيس المجلس الأعلى للدولة، خالد المشري، استعدادة للقاء رئيس مجلس النواب، عقيلة صالح، مجدّداً، لـ«مناقشة النقاط العالقة في المسار الدستوري، والسعي إلى حلّها»، بناءً على دعوة المستشار الأممية

نحو 72.9 مليار دينار (24.8 مليار دولار)، بينما يبلغ الدين الداخلي 41 مليار دينار. كذلك، تُبرز النشرة الخاصة بالدين العمومي التي تصدرها وزارة المالية أن خدمة الدين زادت بنسبة 55 بالمئة مقارنة بعام 2019، كما زادت بنسبة 33 بالمئة مقارنة بعام 2020

وتأمل تونس في التوصل إلى اتفاق مع صندوق النقد مقابل تنفيذ إصلاحات لا تحظى بشعبية، بما في ذلك خفض الدعم وتجميد الأجور، لتجنب انهيار ماليها العامة

وهذا يطرح السؤال التالي: إذا كان الانهيار المالي في تونس سابقاً على مجيء الرئيس قيس إسماعيل للسلطة، فهل وضع حلّ هذه المشكلة في الحسبان بدل أن يرثها وتُنسب لنظامه؟

أوردت تقارير أن الاستثمارات الأجنبية حققت في تونس قفزات كبيرة في الربع الأول من العام الجاري 2022، وفق بيان صادر عن وكالة النهوض بالاستثمار الخارجي وقالت الوكالة إن الاستثمار الأجنبي صعد في الربع الأول بنسبة 73% على أساس سنوي

وبغض النظر عن الأرقام والنسب، فالاستثمار الأجنبي أمر محفوف بالمخاطر ما لم يكن تم ضبطه بخطة تنموية حقيقية وإلا يضع مقدرات البلاد قيد النهب، بمعنى حصر هذا الاستثمار في الخدمات والريع لتكون أمواله ساخنة سرعان ما تهرب، وبالطبع كسب أصحاب هذه الأموال فوائد وأرباحاً تُسلخ من البلد "وليتك يا بو زيد ما غزيت".

تجدر الإشارة إلى أن الاقتصاد التونسي يعتمد كثيراً على ريع السياحة، وهو مصدر متذبذب وخاصة بسبب أزمة كورونا، ومن جهة ثانية هل الاصطفاف مع الأربعة يُغري السواح الأوروبيين بالتوجه أكثر لتونس، علماً بأن الحرب خلقت أزمة معيشية في أوروبا!

إن اللغة العالية وطنياً للنظام الحالي لا تخفي قراره البقاء في حظيرة الارتباط بالغرب، علماً أن تسهيلات الصين واضحة في مختلف

تزعم المؤسسات المالية الدولية أن الاقتصاد المصري، سيتحسن خلال الفترة المقبلة بسبب الدعم الخليجي السريع. لذا رفع المركزي سعر الفائدة مما سمح بتراجع سعر صرف الجنيه مقابل الدولار. لكن نقطة التناقض هنا كامنة في مدى قدرة الاقتصاد المصري على البيع، بيع ماذا؟ ففوة أي اقتصاد هي بمقدار الطلب الأجنبي عليه وهذا ما يحدد فاعلية تخفيض سعر صرف العملة المحلية. وغياب إغراء المشتري الأجنبي لا يساهم في إغلاق العجز الكبير في الحساب الجاري. أما بيع الخدمات السياحية فإن الإرهاب قد أفقد مصر نسبة عالية من قدوم السواح.

كما يعاني الاقتصاد المصري من معدل تضخم يصل 12% مما يضطر البنك المركزي المصري إلى رفع أسعار الفائدة بشكل إضافي للمحافظة على جاذبية الأصول المحلية.

السؤال الصعب هو: أين ذهبت فلوس الاستدانة الخارجية للبلد، حيث ارتفع الدين الخارجي من 38.8 مليار دولار عام 2012 ليصل إلى 145.5 مليار دولار في عام 2021 وبلغ متوسط الزيادة السنوية للدين الخارجي لمصر في السنوات الثلاث الأخيرة 16 مليار دولار

هل المشاريع العمرانية هي المجال الطبيعي للصرف؟ لا سيما أن ما تحققه من وظائف هو عالٍ خلال الإنشاء إلى أن يتلاشى تقريباً بعد ذلك. فبناية يشغل في إنشائها خمسون عاملاً تنتهي لتشغيل حاجب.

وإذا كان الإنفاق على التسليح واقتصاد الجيش، فإن النظام يُحيط موقفه من سد النهضة العدوانية بتكتم شديد! وحتى حينما كان التيجري على مشارف الانتصار على نظام أبي أحمد لم ينتهز الحاكم المصري الفرصة، بينما دعمت الإمارات نظام أبي أحمد! (لاحظوا طبعاً تناقض مواقف الأنظمة العربية بل وقوف أحدها مع العدو ضد قطر عربي آخر).

اجتماعات اللجنة العسكرية «5+5» التي انعقدت في القاهرة، خرجت بعدة توافقات مهمة، في مقدمتها تسهيل التنسيق العسكري وعودته إلى ما كان عليه قبيل أزمة تشكيل الحكومتين، والاتفاق بشكل مبدئي على بحث مقترحات من شأنها توحيد الحكومة عبر اختيار اسم جديد يكون له حق تشكيل الحكومة الجديدة التي تكلف بتسيير الأعمال وإجراء الانتخابات، مع الإبقاء على الوضع العسكري على ما هو عليه من دون تغيير، في إشارة إلى وضع خليفة حفره باعتباره قائداً للجيش مع أحقية كل من عبد الحميد الدببية وفتحي باشاغا بالترشح إلى الانتخابات الرئاسية إذا رغبا في ذلك

وبهذا يضمن الساسة والعسكر، كلٌّ لنفسه، ضمانات في المرحلة المقبلة ما يعني بقاء ألغام المنافسة على حالها.

هذا إضافة إلى الزعم بتفكيك الميليشيات وإبعاد بعضها وضم بعضها للجيش، وهذا أمر لن يكون بتلك السهولة لأن الميليشيات نفسها محسوبة على هذا أو ذاك من متقاسمي/متخاصمي السلطة.

يبقى السؤال المخفي، ما هو الاتفاق الذي حصل بين حاكم مصر وأردوغان بشأن ليبيا؟ ما نقصده أن قيام دولة عربية بتقاسم وضع ما في دولة عربية أخرى هو حال في منتهى انحطاط الوضع العربي تعميقاً للتجزئة وتقويضاً للمشترك العربي.

وادي النيل:

قلماً تقرأ عن أي تحسن في اقتصاد بلد عربي غير نفطي ما لم يكن ذلك بناء على زيادة الدعم الخليجي. والدعم الخليجي لم يكن أبداً خارج تعليمات الإمبريالية للطرفين العربيين، النفطي وغير النفطي، أو بلدان الفائض والعجز. فهو بالتحديد لصالح بقاء النظام وتسمين الفساد وليس للتنمية.

السودان:

يبدو أن الصراع السياسي على قمة السلطة، والذي يتصف بعدم حسم أيّ من الفريقين للموقف، ومن ثم وصول حالة الهدوء الناجم عن تقارب قوة الطرفين وتلاعب الخارج بهما أيضاً، هي حالة لا تبشر سوى ببقاء المأزق.

كلا الخصمين في سباق على نيل الرضى الأمريكي وتنفيذ أجندته وذلك على حساب الشعب سواء بتضحياته أو بأوجاعه المعيشية وانغلاق المستقبل. وكلا الطرفين يمارس التطبيع كما لو كان أمراً طبيعياً!

هل ستقود هذه الحالة إلى تفجير غضب الشارع الغاضب؟ وإن حصل، فما هي النتائج على ضوء غياب قوة قيادية منظمة وجذرية غير تكرار التضحيات وعدم تمييزها!

بل سوف تلحق المزيد من الانقسامات بين القوى المدنية. وإن كان انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر قد قسّم تحالف "الحرية والتغيير" إلى كتلتين، فإن مشروع التسوية الحالي سوف يقسّم ما تبقى. وهذه المرة لن تتوقف الانقسامات داخل التحالف الواحد بل ستمتد إلى داخل الأحزاب التي يُظهر بعضها الآن مواقف متناقضة.

أما إعلان البرهان عن تخفيف الأحكام العرفية فلا يختلف عن حوارات النظام المصري وغالباً ستكون هذه بإرشادات الأمريكي.

لا يختلف وضع السودان الاقتصادي، من حيث الاستباحة وليس فقط الانفتاح الاقتصادي، عن مختلف الأنظمة العربية وهو ما يتضح من التقارير بأن مصانع السودان تعاني من انخفاض كبير في ظل إغراق كبير في المنتجات المستوردة، وهو ما يخلق فجوة كبيرة في الاقتصاد وعمق تذبذب سعر صرف الجنيه مقابل الدولار. وبالطبع طالما السوق مُغرَق بالمنتجات الأجنبية فإن تخفيض سعر صرف الجنيه لن يُعري المستوردين حيث لا يجدون منتجات محلية قادرة على المنافسة إلا إذا كانوا سيشترون/يستوردون المستوردات!

إن مصر التي كانت متفوقة في الستينيات على كوريا الجنوبية تصطف اليوم إلى جانب السودان في غرق السوق بالمنتجات المستوردة! هذا الإهلاك الاقتصادي حاصر مصر في مأزقين قاتلين:

الأول: إبقاء النظام في تطبيع مع الكيان رغم نزيف الجيش في سيناء التي لا يسمح الكيان بقوة عسكرية حقيقية لمصر هناك، أي أن الكيان يستنزف الجيش المصري! وطبقاً لـ محمد سيد أحمد، بلغ عدد شهداء الجيش المصري ما يزيد عن 3000 شهيد منذ عام 2013 فقط، وفقاً للتصريحات الرسمية، وهذا بخلاف الذين استشهدوا هناك عامي 2011 و2012 وما قبلهما

والثاني: تبعية النظام لأنظمة الخليج والجميع في تبعية للإمبريالية الأمريكية. (لكم أن تتخيلوا أن تصبح مصر تابعة لكيان خليجي ضئيل وعميل وحتى معظم ساكنيه ليسوا عرباً).

وكما يبدو، فإن النظام هناك لم يقف إلى جانب روسيا وقد يصطف ضدها، وخاصة مع قرار الإمبريالية توسيع الحرب وإطالة أمدها. وهذا ما يتضح اليوم من قرار واتفاق مصر والكيان وقبرص على تصدير الطاقة إلى أوروبا لتعويضها عن الطاقة الروسية، ما يؤكد أن النظام المصري يشتغل طبقاً للمخططات الأمريكية وخاصة في تسييل الغاز الصهيوني المسروق من فلسطين ليتم تصديره إلى أوروبا للمساهمة في تخفيف أزمته الحالية مما يقوي عدوانها ضد روسيا.

إن الزيارة الأخيرة للقائد بن سلمان لمصر وعلاقة النظام مع تركيا يشي بأن هذا الثلاثي يلعب دوراً خطيراً لصالح الثورة المضادة ضد كامل الوطن العربي، وهذا يصب مباشرة في خدمة العدوين التركي والصهيوني.

وللتغطية على خطوة ديكتاتور مصر، فالرئيس السيسي يطرح الحوار الوطني بعد أن أهلك القوى الوطنية التي يمكن أن يتم الحوار معها! وكأنه يقول سأحاور نفسي.

مقصود به امتصاص ثرثرة ولي عهد السعودية الذي يرهن موقفه وحاجة البلاد على مكالمة هاتفية من بايدن. لكن أمريكا في الوقت الحالي غير قادرة على معاقبة أوبك لأنها قلقة من عدم استقرار السوق النفطية عالمياً والحاجة الأوروبية الملحة للطاقة ما يجعل العقوبات أمراً مؤجلاً.

لعلها المرة الأولى التي تصر السعودية على عدم ممارسة دور المنتج المرّجح، بمعنى أن تزيد ضخ النفط كي لا ترتفع أسعاره نظراً لحاجة السوق وأن تزيد الضخ حينما تعطش السوق. وهذا الدور تبدو معه السعودية كما لو كانت شريكا ذا قيمة في الاقتصاد الدولي، وهذا غير صحيح، فهي شريك قوي في أوبك بينما في علاقتها بالسوق العالمية ليست سوى مجرد تابع.

ومن الطرافة بمكان أن تمنّعات بن سلمان مرهونة بكرامته الشخصية وليست بمصالح البلد. وهذا يندرج، أو تتم تغطيته، في مطلب الخليج بأن تقدم أمريكا لهم ضمانات من "الموت"، بمعنى حماية بحيث تمنع أي عدوان إيراني. هذا دون وجود تأكيدات على عدوان محتم كهذا.

ما يهمنا في "اشتباك" هو الأمر الاستراتيجي: أي لماذا ليست هذه الدول قادرة على حماية نفسها؟ وهي طبعا لا قادرة ولا مؤهلة لبلوغ هذا المستوى، نظراً لأن الأنظمة نفسها تعيش على الربيع والتبعية وإنفاق الربيع على الاستهلاك وعلى تخريب الوطن العربي. ومن هنا وجوب إظهار عمالة هذه الأنظمة وكونها عدواً للأمة.

في المقابل، تقف قطر في مقدمة أعداء روسيا في مجال تصدير الطاقة، فقد شهدت صادرات قطر من الغاز لمنطقة شمال غرب أوروبا ارتفاعاً ملحوظاً خلال الشهر الماضي، حيث بلغ عدد الشحنات القطرية لشمال غرب أوروبا حوالي 11 ناقلة غاز.

ووفقاً للصحيفة، فإنه تم رصد 8 سفن غاز قطرية عبرت قناة السويس متجهة نحو القارة

تتضح سوداوية المشهد على ضوء ما قاله عضو اللجنة الاقتصادية للحرية والتغيير عادل خلف الله:

إن السودان معرضة للتخلف عن سداد الديون الخارجية، ولاضطرابات اقتصادية وتخلف عن سداد الديون السيادية بسبب الحرب الروسية وتراكمات كورونا المؤجلة وتضرر المقرضين منها ومضاعفتهم الفوائد المطلوبة مقابل تأجيل السداد أو المطالبة بسرعة استرداد الديون. هذا قول خبيث في الوقت نفسه لأنه يوحي بحتمية توسيع الاستدانة!

ولفت تقرير منظمة الأغذية والزراعة الدولية إلى أن السودان مهدد بخطر المجاعة لـ 8 ملايين سوداني بسبب كورونا واعتماد السودان على أوكرانيا وروسيا في سد النقص في الحبوب الغذائية (القمح). وهذه بالطبع مشكلة لمعظم بلدان المحيط. لكن، في حالة السودان فالمشكلة تثير الدهشة حيث أنه بلد يُفترض أن يكون سلة غذاء محتملة لكل العرب ومع ذلك يجوع أهله!

الخليج العربي:

لم تظهر بعد خلفية "الخلاف" الأمريكي - السعودي المتكلف وخاصة التمتع السعودي عن إغراق السوق بالنفط ما يساهم في إسعاف نسبي وعاجل لأوروبا. وهل هناك تهريب نفطي غير معلن؟ وليست مقنعةً ثرثرات الإعلام الأمريكي ضد بن سلمان وبن زايد، كما ورد في "واشنطن بوست"، ناهيك عن تحرك مجلس الشيوخ الأمريكي وإقرار لجنته القضائية مشروع قانون (NOPEC)

الذي يمكن أن يتيح رفع دعاوى قضائية ضد مُنتجي النفط في منظمة الدول المُصدّرة للبترول (أوبك)، وهي دعوى تندرج في إصرار أمريكا على دور الشرطي، لكنها لن تضغط بهذا على السعودية نظراً لحاجة أوروبا لأية كمية من الطاقة كي تصمد ما أمكن في عدوانها ضد روسيا. فالتلويح بـ "نوبيك"

اليمن:

بعد الضربات الموجعة التي وجهها اليمن ضد مراكز حساسة لنظام العمالة السعودي، وبعد إزاحة هادي عن مركزه والاتفاق على هدنة مؤقتة وقيام السعودية بأكثر من خرق للهدنة؛ لا تزال الهدنة قائمة دون أن تحصل متغيرات هامة سوى تبادل بعض الأسرى.

لا ندري إن كانت هذه استراحة المحارب اليمني، أو نتيجة تهدئة يرغب فيها الإيراني لتمير الاتفاق النووي أم لأن اليمن في وضع صعب من حيث الإمكانيات مما يجعل الهدنة مطلباً مُراً.

لا شك في أن الحالة اليمنية قاسية ولا سيما على صعيدين:

الأول: الحيلولة دون تقسيم البلاد وهو المشروع الذي له مريدون في البلد نفسه

والثاني: إفقاد اليمن حقه في إدارة ميناء عدن ومضيق باب المندب الذي تحرص أمريكا على جعله في يد أدواتها وخاصة الإمارات.

ورغم الإمكانيات الضئيلة فإن اليمن محكوم بمواصلة القتال ولكن تقيده الإمكانيات.

عُمان

وفي الحالة العمانية، فإن مبدأ التوازن بين موسكو وواشنطن القائم على المصالح المتبادلة بما يخدم تحقيق رؤية 2040، هو المسار الذي يحقق لها تحقيق كل غاياتها المعاصرة، ويؤمن لها هواجسها التاريخية.

فحيادها خلال حقبتها السياسية الجديدة مرتبط بمبدأ التوازن في علاقاتها مع موسكو وواشنطن، خاصة في مرحلة ما بعد الحرب الروسية على أوكرانيا، وهذا التوازن سيمكّنها من التعامل مع بقية القوى العالمية الأخرى بمنطق استدامة المصالح مع استقرار العلاقات، وهذا ينسجم مع موقعها الجيو-

استراتيجي، ومع توجهاتها الاقتصادية الجديدة، ومع كل الاحتمالات التي ستنتج عن الحرب الروسية الأوكرانية.

العجز لتلبية الطلب المتزايد على الغاز المسال، في ظل التوترات في شرق القارة وتوقف إمدادات الغاز الروسي إلى بلغاريا وبولندا بسبب عدم السداد بالروبل الروسي

وفي حين تتعاون قطر مع تركيا في هذا المجال، ومع الكيان، فتركيا نفسها تتعاون مع الإمارات في مفاوضات رسمية لإبرام اتفاقية الشراكة الاقتصادية الشاملة بين البلدين. فهل يتم تسهيل الطاقة الإماراتية لأوروبا عبر قطر ومن ثم تركيا، كي تنافس تركيا بهذا مشروع مصر الكيان وأوروبا لتصرف الطاقة؟ هناك كثير من القُطب المخفية.

من الأهمية بمكان، أن يواصل "اشتباك" الكشف والتذكير بأن قطر هي مقدمة التطبيع مع الكيان ولكن بشكل خبيث بحيث تبدو كما لو أنها ليست من أنظمة التطبيع المباشر. فمنذ ثلاثين سنة ومكتب العلاقات التجارية الصهيوني متواجد في الدوحة. يجب أن نتذكر خطورة الثلاثي الإخواني: تركيا، قطر والقيادة السياسية لحماس.

واضح أن استغلال الخليج للأزمة التي تعاني منها الإمبريالية هو استغلال لإسعاف الإمبريالية وليس لاستغلال تراخي قبضتها عن الوطن العربي، بينما مطالب أنظمة الخليج من أمريكا هي الحماية بصيغة:

"احمونا، فنحن لن ندافع عن أنفسنا". وهذا ما يقدم للكيان الصهيوني فرصة استغلال تهافت هذه الأنظمة بزعم حمايتها مما يوفر له مصادر دخل هائلة، بينما يعاني الكيان نفسه من وضع هش رغم تجديد محاولته العريضة.

لا يمكن الثقة بأنظمة التبعية ومن هنا وجوب الحذر من التكلّف "الوطني" الشكلي تغطيةً للدور المعهود. وضمن هذا التلاعب تنشيط العلاقات أو المحادثات بين الخليج، وإن فرادى، وإيران وسوريا.

لكن معنى هذا بالنسبة لـ "اشتباك" هو تأكيد الانحصار والتحلُّق القطري على الذات مما يعزز التفكك العربي.

ملاحظة: لم يغطِّ التقرير كامل المشهد العربي حيث يتناول المحاور والأحداث الرئيسية. كما أننا نغطي هذا النقص باعتماد تقرير تفصيلي عن قطر بعد آخر في كل عدد من الأعداد.



دماء القرن الإفريقي:

تركة الحرب الإمبريالية ضد الاشتراكية

معمر نصار



فبينما تفكك الاتحاد السوفيتي إثر اجتماعات مطولة داخل الحزب الشيوعي السوفيتي وعبر خطابات هزيمة معتذرة للرأي العام عن الخيبة والفشل من خلال الأداء المتقن لقادته، قرر مانجستو هيلما مريام التخلي عن السلطة والخروج من البلاد على متن طائرة عسكرية نحو هراري في يوغندا، ليقضي بقية أيامه كلاجئ سياسي. كما أخرجت بقية أركان النظام اللذين أداروا مرحلة انتقالية عبر تشكيل مجلس حكم انتقالي عسكري، أشرفت عليها الولايات المتحدة وبريطانيا وصولا إلى تسليم السلطة إلى جبهة الجبهة الديمقراطية للشعوب الإثيوبية، والتي ضمت طيفا من التنظيمات المختلفة ومن بينها جبهة تحرير تيقراي وجبهة تحرير أرومو.

عندما ألقى مانجستو بيان استقالته عبر الراديو كانت قوات التمرد قد قطعت طريق العاصمة- عصب الميناء الإرتري تحت الإدارة الإثيوبية، فوضعت العاصمة تحت حصار شامل وانقطعت حتي جميع إمدادات الغذاء إلي المناطق المنكوبة بالمجاعة ومعسكرات اللاجئين من بقايا مجاعة 1983-1985 دون أدنى اعتراض أو نقد من مراقبة حقوق

مضى الآن أكثر من ثلاثين عاما على إسقاط نظامي كل من إثيوبيا والصومال عبر حرب أهلية دموية استمرت عقدا من الزمن، ابتدأت تزامنيا في البلدين بين عامي 1979 و1980 لتتوج الحربان تزامنيا أيضا عام 1991 بإسقاط أهم تجربتين في إفريقيا ارتبطتا بالفلسفة الماركسية وبالاتحاد السوفيتي بصلات وثيقة، وشاركته للعجب الانهيار في نفس السنة وخلال نفس الفصل. تعرض نظاما كل من مانجستو هيلامريام في إثيوبيا ومجد سياد بري في الصومال لعملية تفكيك مشابهة بشكل كبير لما حدث في الاتحاد السوفيتي فيمن جهة الانهيار غير الدموي للنظام، أي دون وصول القتال إلى ساحات العاصمة وخروج رأس النظام وأركانه من المشهد بطريقة مسرحية.

هذا التشابه والتطابق الزمني المذهل يفتح الذهن على تساؤلات حول ما إذا كانت تلك التغيرات العالمية الكبرى، قد خضعت لعملية منهجية من التخطيط والتنظيم إلى درجة الحرص على التوافق وإظهار المسألة كسقوط مدو لفلسفة عجزت عن إطعام الناس اللذين وعدت بإطعامهم وحل تناقضاتهم.

وفتح ملف اقتراض الصومال من صندوق النقد وربط اقتصادياته بالدولار.

تم الانتقام من الجزائر بتصعيد الإخوان المسلمين المسلح ضد الدولة والشعب أيضا ابتداء من عام 1991، ووضعت ليبيا تحت الحظر الجوي الشامل منذ 1991 في ذات السياق مع تأجيل القرار الحاسم بشأنهما، ولصعوبة المقاربة الإثنية المسلحة التي كانت في المتناول في القرن الإفريقي، كانت إثيوبيا والصومال أسهل منالا نسبيا فأنهيتا سريعا، ولكن بطريقة مهندسة ومنظمة. فقد ترجل سياد بري واستقال مانجستو ورحل كلاهما دون أن يقتلا، وتم تفكيك النظام وكل مفاصل التجربة وبقاياها وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه، فماذا جرى؟

يعيش في السودان اليوم قرابة مليوني إثيوبي يمرون عبر الحدود بالمئات يوميا متسللين، العديد منهم يمر عبر عمليات اتجار بالبشر وخصوصا الفتيات لينتهي بهن الحال كخدمات في بيوت الموسرين وأسر الطبقة الوسطى أو بائعات شاي على الأرصفة، وفي الكثير من الأحوال كبائعات هوى في شوارع الخرطوم. في كل مكان من السودان تعاطمت هذه العملية خلال السنوات العشر بين 2000 و2011 ثم تناقص معدل هذه الهجرات بسبب الأزمات الاقتصادية الخانقة في السودان، لكن عادت هذه الموجات للتفاقم مجددا رغم الانهيار الاقتصادي الكبير الحادث في السودان مؤخرا على خلفية الفوضى والحرب الأهلية وحالات الاغتصاب والقتل والتدمير التي تتعرض لها القرى والبلدات في كل أنحاء البلاد تقريبا، خصوصا الغرب المتاخم للسودان.

تكفلت مواقع فيسبوك وبعض المحطات الإخبارية الكبيرة بترويج صورة زائفة عن إثيوبيا الديمقراطية الحديثة ذات المطار الجميل والفنادق القريبة الجميلة والمناظر الخلابة على صفحة بحيرة تانا. لكن دائما ما تجنبت نقل صورة عما يدور هناك في الواقع داخل البيوت وفي الأحياء. ازدهرت اقتصاديات الدعارة والتهرب حتى أصبحت عبئا على دول

الإنسان أو الأمم المتحدة، التي كانت في وقت سابق قد حملت النظام زورا المسؤولية عن الجفاف الكبير الذي حل بإثيوبيا، معتبرين إن حرب الحكومة ضد المتمردين تقطع طرق المساعدات وتزيد أعداد المشردين والمتضررين من المجاعة.

أكثر من تعرض للدعايات الغربية والتشجيع في إفريقيا جنوب الصحراء، كان مانجستو، فقد اتهمت سياسات المزارع الحكومية بأنها من تسببت في نقصان الإنتاجية، وأن قرارات الدولة منع تجارة الحبوب بالجملة أدت إلي انقطاع إمدادات الحبوب إلي مناطق عديدة، لم تذكر التقارير أن سياسات توطين القرويين المبعدين من الجنوب ومشردي المدن اللذين نتجوا عن سياسات الامبراطور السابق شديدة الطبقة، بمصادرة أراضي صغار الملاك من سكان الهضبة الجنوبية والذين ملأوا مدن الشمال بمئات ألوف المهمشين والعمال غير المهرة، مشكلين مدن صفيح حول العاصمة وحوضر الأقاليم الشمالية، قد استفادوا من المزارع الجماعية بأن حصلوا على وظائف دائمة وطعام ومأوي لأسرهم.

ظلت الدعاية الغربية الأمريكية تصر على الترويج أن السكان غير راضين عن إعادة التوطين في المزارع الجماعية وأنهم يريدون العودة إلى قراهم (المهاجر التي سكنوها كمشردين من ذوي الوظائف الرثة إثر سياسات الإمبراطور في سرقة أراضي الفلاحين الأورومو وغيرهم). ظل الإعلام الغربي والتابع له يطبل لإسقاط دكتاتور أفريقيا الدموي المجرم الذي كرس 46% من الميزانية للتسليح من أجل صناعة جيش نظامي دائم، والذي يخطف المشردين ويسكنهم قسريا في قرى مزودة بالمياه النظيفة والكهرباء والرعاية الطبية. كان نصيب سياد بري من الدعاية السوداء أقل لكنه لم يختلف كهدف يجب تصفيته ضمن مشروع تصفية الإرث الاشتراكي في أفريقيا تزامنا مع تفكيك المركز السوفيتي، ولم تشفع له سنوات من الإذعان للسياسات الغربية وممالة الولايات المتحدة

مسؤولية إنسانية، فقد قضا من إثيوبيا وطهرهم ولتذهب بعد ذلك إلى الجحيم إن شاءت. إن القرن الإفريقي هو ضحية العدوانية الرأسمالية اللامحدودة والتي لم ولن تجد أدنى غضاضة في التضحية بمستقبل شعوب كاملة، وتدمير حياتهم أو تسميم عيشتهم فقط حتى لا ينتاب مخططاتها أدنى ارتباك. لقد قررنا تصفية الاشتراكية في أفريقيا ليس مهما ما سيحدث لهؤلاء الناس، ليس مهما أن إثيوبيا الإمبراطورية قد سقطت وإن الجمهورية قد قامت وإن على إثيوبيا وشعوبها فقط أن تقرر لنفسها المبدأ الذي ستتجمع حوله، ارتأت الإمبريالية أن إثيوبيا قد أخذت بالخيار الخاطئ ولا بد من إسقاط هذا الخيار أيا كانت التبعات، فعلت المثل بالصومال وقد تركته متخنا بالجراح لا يقوى حتى علي لعقها لتخفيف ألمه.

يجري على قدم وساق ترويج قصة مفادها إن المسألة هي حساسيات عرقية محضة لأن أبيي أحمد ينحاز للأمهر على حساب تيقراي، من يتابع الجزيرة ومثيلاتها قد يتعثر بهذه الرواية، أو إن تيقراي قد أزيحوا من مناصب قيادة الجبهة الديمقراطية للشعوب الأثيوبية أو ما أصبح حزب الازدهار بقيادة أبيي أحمد. لكن المشكل في قلبه هو هذا الانزياح البشع نحو مجتمع طبقي شديد البشاعة واقتصاد لا مكان فيه سوى للكلمات الرنانة، مثل الشفافية والحوكمة بينما الناس جائعون والمدارس بلا كتب وكل شيء أصبح أسوأ مما كان عليه زمن مانجستو بكثير جدا. لقد منعت تجارة الحبوب بالجملة لوقف الاحتكارات والسيطرة على سعر الرغيف الذي ظل متوافرا طيلة حكم مانجستو للفقراء في جميع الحواضر.

يمكن تلخيص المشروع الإمبريالي البديل لقرن إفريقي اشتراكي أو شبه اشتراكي الذي مثلته تجربتا إثيوبيا والصومال وإرتريا، بالديمقراطية الاقتراعية على الطريقة البرجوازية الغربية وإطلاق الحريات الفردية وخلق مناخ جاذب للشركات العالمية واعتبار

الجوار، من يلقي نظرة على حارات الخرطوم ويسأل عن مقاهي الحبش التي تنشط علنيا في الدعارة سيجد المئات وعبر كل المستويات الاجتماعية، من حارات للأحياء البسيطة إلى الشوارع الجانبية في الأحياء البرجوازية الشهيرة دون تسمية. نمت صادرات إثيوبيا من البن بعد أن استعادت المزارع الأمريكية مزاياها وتملكت المزيد من الأراضي، لكن ماذا عن حظ الشعب الإثيوبي من ذلك؟

كانت الأمم المتحدة مستعجلة جدا لتقول في تقاريرها إن مليوناً ومئتا ألف قد لقو حتفهم خلال مجاعة 1983-1985، حيث دشنت بريطانيا وأمريكا حملات مكثفة للترويج للمجاعة تحت اسم إنقاذ إثيوبيا، في وقت كان الشعب الكوبي قد انخفض متوسط وزن الفرد عن المعدل المتوسط في كل العالم بسبب الحصار الاقتصادي المشدد من قبل أمريكا.

وعندما أحكم الحصار على العراق لم تعلن الأمم المتحدة عن عدد من توفوا بسبب نقص الدواء ومواد الجراحة، لكنها كانت من الدقة بمكان في إثيوبيا الثمانينيات فأحصت حتى أعداد الأيتام اللذين نتجوا من المجاعة ومن إعادة التوطين القسري وأحصتهم بمئتي ألف طفل. فيما هي قد عجزت عن إدراك وجود وباء كوليرا اجتاح إثيوبيا عام 2011 قاتلا عشرات الألوف خلال أسابيع، ومتواطئة مع وزير صحتها الذي أطلق على المرض اسم الإسهال المائي، هذا الوزير الذي أصبح حالياً مدير منظمة الصحة العالمية السيد تيدروس أدهانم، عميل أمريكا الذي يسعى إلى مساعدة الانفصاليين في تايوان بمنحهم عضوية منظمة الصحة تحت علم غير العلم الصيني، والذي قرر وقف تقييم لقاح كوفيد أنتجته روسيا عقاباً لها بسبب اجتياح أوكرانيا وليذهب سكان العالم إلي الجحيم إذا نقصت إمدادات اللقاح، المهم هو إرضاء السيد.

اليوم تقف الأمم المتحدة والمؤسسات غربية الصنع خرساء بكما بينما الحرب تهتك جسد إثيوبيا، لا أرقام لا حملات إغاثة لا حديث عن

تلك الوصفة هي المخرج، والكفيل بخلق مسار سياسي اقتصادي مستقر وأمن يستوعب الاختلافات والحساسيات التاريخية داخل الكيان الفيدرالي الهش. وربما لا يزال صدى قرع الطبول الإعلامية المروجة للمعجزة الأثيوبية حاضرا ومؤثرا، فجميع وسائل الإعلام الغربية لا تزال تطيل الفتى الظاهرة أبيي أحمد ومشروعه المستند على قومية إثيوبية واحدة تستند إلى الحريات الفردية بدلا عن رؤية الفيدرالية الإثنية التي رعتها جبهة تحرير تيقراي، خلال السنوات التي سيطرت فيها على مواقع التأثير في الائتلاف الحاكم، وفيها ظل القطاع العام يلعب دور القاطرة المحركة لاقتصاد البلاد.

وفي سبيل الإجهاد الكامل على تركة مانجستو وخط اقتصاد الكفاية وسد الحاجات، قاد أبيي أحمد في سبيل ترسيخ هذا النموذج الضحل أكبر عملية خصخصة للقطاع العام جرت في أفريقيا بعد مصر، وقد استندت التقارير الملفقة للميديا الغربية على أرقام بيع الأصول العامة في الاتصالات والصناعة والمزارع الحكومية باعتبارها أرقام نمو سنوي لا تزال تطيل بأنه الأكبر في أفريقيا ملامسا حدود الخمسة بالمئة، إلا أن الواقع يشهد بأن دولة الجباية التي تفصل على باترونات صندوق النقد الدولي لا يمكنها تحمل ثقل التوزعات الإثنية.

لقد انفجرت يوغوسلافيا الصغيرة ولم تحتل تلك الفاتورة الباهظة فما بنا بنا بلد إفريقي لا يزال يحبو على طريق الدولة الحديثة بجغرافية أبحر بكثير وأكثر تعقيدا من يوغوسلافيا عشرات المرات، ولم يزل التعليم غير متاح لقطاع كبير من السكان ولا تزال الزراعة صاحبة النصيب الأكبر في ناتجه السنوي الإجمالي والمستوعب الأساسي لقوة العمل، في حالة إثيوبيا يشغل قطاع الزراعة 85% من السكان تقريبا.

إن الوصفة المهترئة التي لا يزال الفتى أبيي أحمد يجربها هو ونخبة الجبهة الديمقراطية للشعوب، لا تعجز فقط عن إيجاد مسار

اجتماعي وسياسي واقتصادي يمكنه تحويل التعددية الإثنية إلى مصدر قوة والتعداد البشري الكبير إلى محرك نمو ضخم، بل إنه يقوم باستمرار بفرم وهتك الخيوط القليلة التي تربط لحمة هذا البلد الكبير.

وهي ذات الفاتورة التي تسببت في تثبيت تفاصيل المشهد الصومالي عند دورات من الصراع الدموي، تعقبها فترات استقرار هش قصيرة برعاية أممية سرعان ما تنفجر من جديد مع تفاقم الضغط الناتج من تراكم الفقر في أطراف المجتمع، وتركيز الثروة في مركز الدولة الفاشلة في أيدي قلة قليلة سرعان ما تجد التفسيرات العنصرية الإثنية تفسيراً لها بسيطرة عرقية ما على مالية البلد، وتفضيل مصالحها القومية. وهذا هو الحال اليوم بين أوروغو وبني شنقول وتيقراي مع نخبة الأمهارا التي تتبنى نموذج الديمقراطية السطحي جدا مع خلطة حاملة عن العرقية المهيمنة ثقافيا والتي تمنح بلدا كاملا هويته ولسانه على غرار دول قومية معاصرة كفرنسا وإيران وإيطاليا، دون اعتبار للمسارات المفارقة لحالة إثيوبيا كبلد نشأ في جغرافيته الحالية وفق ترضيات وتسويات بين قوى الاستعمار التقليدي في مطلع القرن العشرين، وغياب عناصر عديدة ضامنة لهذا الانصهار الثقافي الذي يتصور أبيي أحمد ونخبته بإمكانية تكراره في إثيوبيا، مركبا على باترون صنعته توصيات النقد الدولي القاتلة لدولة لا تفعل شيئا سوى بناء المنتجعات للأثرياء وجذب شركات تغير 100% من عمالها كل عام حسب تقارير عديدة عن أوضاع الشركات العالمية في قطاع النسيج في إثيوبيا منذ 2018.

إن الخطر الرديف في هذا الأتون هو لجوء نخبة الليبرالية الإثيوبية المستنسخة إلى اختلاق الحروب والتناقضات مع الجار السوداني والارتقاء في مشاريع معادية لمصر والسودان على النيل، لاختلاق حروب خارجية لعلها تغطي على الصراع الداخلي المحتدم أو تؤجله، وبهذا فإن النموذج الموصوف لا يفجر القرن الإفريقي داخل حدود دوله السياسية

تقوم على نمط من الدولة لا يريد أحد أن يعترف بأنه الأفضل وأن النجاة من الانهيار الدموي المزمع في القرن، لن تكون إلا باستعادته وتطويره وعلاج أخطائه لا بالإجهاد عليه واستبداله بالباترون المشار إليه، والذي لم ينل الناس منه لحم ولا شحم وإنما عبارات رنانة وطنين ممل من العبارات المغلفة كفرص الاستثمار وأفق التنمية والدور المنتظر للقطاع الخاص. الشفافية الحوكمة... لقد ضجت الشعوب من الطنين ولا من نفير، ليقول للناس كفى لقد خضنا في الوحل وكلما أوغلنا أصبحت النجاة بعيدة ولا مفر من العودة عن هذا الطريق، طريق الموت.

فقط، وإنما بينها أيضا في صورة حروب كبيرة متوقعة حلت بعض تجلياتها خلال الأيام الماضية، بعد إقدام الجيش الإثيوبي على إعدام سبعة جنود سودانيين تم اختطافهم سابقا من داخل الأراضي السودانية في خضم النزاع على منطقة الفشقة، التي تنهبها إثيوبيا بالأصالة وبالوكالة عبر المشاريع الزراعية الغربية والخليجية.

إن وحدة الشعوب الإثيوبية وغير الإثيوبية في القرن الإفريقي تحتاج إلى مشروع أعمق بكثير من وصفة الحريات الفردية الساذجة، التي تروج بين النخب الليبرالية في المشرق العربي مثلا والتي يعاد استنساخها دون أدنى جهد لتعديلها قليلا ولو من أجل تكييفها على قياس إفريقيا. لقد استطاعت الاشتراكية بتطبيقاتها الجيدة والمعيبة وبالتجربة استيعاب التناقضات الإثنية وتخفيف توتراتها إلى أقصى حد عبر التنمية الشاملة وخلق اقتصاديات لإطعام الشعب، ورصف الطبقات الاجتماعية في مشروع حشد طاقات وتقاسم المنافع والأعباء لإحداث التطور، لا لتوفير الدولار لتمويل واردات الطبقات المترفة وحدها.

نقول هذا ونحن ننظر بحسرة وألم إلى السودان البلد الذي يترنج وتتطاير شظايا وحدته كلما تعمق نموذج الباترون المهلهل المكور، من يوغوسلافيا إلى العراق إلى إثيوبيا إلى الصومال ولا يبدو من أفق للخروج من هذا الأتون إلا بقول الحقيقة. إن تخريب مشروع الدولة الحديثة والتنمية بقيادة القطاع العام الذي كرس الزراعة لتشغيل سكان الريف وتوطين المشردين واللجئين في قطاع زراعة اجتماعي، وتطوير صناعة لتلبية حاجات المجتمع كما فعل منجستو وكما فعلت بدرجة أو بأخرى الجبهة الشعبية في إرتريا. إن تفكيك هذه التركة لم ينجم عنه سوى نزيف دم وإهلاك لفرص التنمية وتطوير البلاد، وربما لا يريد الناس الاعتراف بأن إرتريا الأكثر صمودا أمام المؤامرات الخارجية والأكثر التزاما بالوحدة الوطنية، والأقدر على استيعاب الاختلافات الإثنية من كل دول القرن. إنما

هيئة اشتباك عربي تحاور:

شخصية العدد: الدكتور علي القادري

هيئة اشتباك عربي

في حوار مع الأستاذ الجامعي والمفكر العربي د. علي القادري.

مثل هيئة اشتباك عربي في هذا الحوار المفكر والاكاديمي العربي د/ سيف دعنا

"يحدث الصراع الطبقي/الاجتماعي في مجال المفاهيم أيضا"، يقول الاقتصادي-السياسي الهندي "بروبات باتنيك"، للإشارة ليس فقط إلى مركزية الصراع الأيديولوجي، ولكن، أيضا، إلى ميول قوى اليمين الرأسمالي والمؤسسات والأحزاب اليمينية الرأسمالية لاستخدام مفاهيم يسارية الأصل بعد إعادة تغيير دلالاتها كتكتيك جديد في الصراع. هكذا تعطى المفاهيم الأصلية معاني جديدة مختلفة تماما بسبب الاستخدام الجديد. وفي النتيجة، حتى لو فشل اليمين في أن يوقف هذه المصطلحات على رأسها وتغيير معناها الأصلي تماما، فإنها تصبح، في أقل تقدير، غامضة وفضفاضة ومرنة، وبالتالي تصبح غير مجدية ليسار. في كلتا الحالتين يتم تحييد قوة هذه المفاهيم وبالتالي تجريد اليسار والقوى التقدمية من أدوات مهمة في الصراع النظري خصوصا والصراع الطبقي/الاجتماعي والسياسي عموما.

ربما يكون أحد أكثر المفاهيم شيوعا مؤخرا، مثلا، هو مفهوم "اللبلة" الذي أصبح بعد تسويقه مرادفا لبرامج الإصلاح الاقتصادي التي يسوّقها البنك الدولي وصندوق النقد، كما الحكومات الغربية المؤثرة. ورغم أن التبعات الموثقة في كل الحالات التي تم فيها تبني هذا الخيار، سواء في دول الجنوب أو الشمال، تؤكد أن النتيجة كانت دائما عكس الادعاء بالإصلاح، أو الفهم السائد لمفهوم الإصلاح، وقادت لإطلاق العنان للتراكم البدائي لرأس المال، وحدوث حرمان (وفقر) جماعي (تزايد اللامساواة)، وقمع حقوق صغار المنتجين، رغم أن كل ذلك من المفترض أن يكون مناهضا للديمقراطية الليبرالية وفق الدعاية السائدة، إلا أن رفضها يؤدي للاتهام بـ "السلطوية" و "معاداة الديمقراطية". هكذا نجد أنفسنا أمام الكثير من المفارقات حين نسمع تصريحات يمينية حدّ الفاشية، مثل الرئيس البرازيلي "جايير بولسونارو"، ينتهج سياسات ليبرالية، أو مشيخات ومحميات النفط العربية تروج للديمقراطية.

لكن القضية في الحقيقية هي أبعد كثيرا من مجرد الصراع على مفهوم بذاته وتوظيفه في الصراع الأيديولوجي الدائر. ففي

السياق الأكبر، وبرغم أن حوار هذا العدد يتخذ من الصراع على مفهوم الإمبريالية تحديداً وتوظيفه في الصراع الدائر عبر أدوات يسارية الرطانة إمبريالية الوظيفة، محوراً لنقاش هذه القضية، إلا أن المستهدف فعلاً وأساساً هو المنظومة الفكرية الماركسية وجوهرها الثوري والمعادي للإمبريالية ككل. فمن مفهوم الإمبريالية ذاته، إلى نظرية فائض القيمة، جوهر ثورية الفكر الماركسي، إلى احتواء وتدجين تيارات وأحزاب ماركسية عديدة ومفكرين ماركسيين كثر على مدى العالم، تُستهدف الماركسية، كنظرية ثورية معادية للإمبريالية ومناصرة لمقاومة شعوب الجنوب للاستعمار والإمبريالية في كينونتها الثورية.

في هذا العدد تحاور "اشتباك" الأستاذ الجامعي والمفكر العربي، الدكتور علي القادري، أحد أهم الاقتصاديين-السياسيين والأكاديميين العرب وصاحب دراسات وكتب استثنائية ومهمة في الاقتصاد السياسي وعن الوطن العربي من بينها "التنمية العربية الممنوعة: ديناميات التراكم بحروب الهيمنة"، "تفكيك الاشتراكية العربية"، "طريق الصين إلى التنمية: ضد النيو ليبرالية"، "الطوق الوقائي: قانون واحد يحكم التنمية في شرق آسيا والوطن العربي".

نرى في "اشتباك" أن مثل هذه التدخلات النظرية قد تساعدنا على إعادة التفكير في الأسئلة التي تواجه الفلسفة الماركسية بطريقة يمكن أن تشمل المادية التاريخية والجدلية جنباً إلى جنب مع الجوهر والصدفة الراديكالية، وبالتالي تجنب القيود المفروضة ذاتياً على جزء كبير من التنظير الراديكالي الحالي، دون الرجوع إلى المثالية. ومتابعو كتابات الدكتور علي القادري يدركون أنه يتمتع بقدرة استثنائية ونادرة على الدمج بين الفلسفة المادية التاريخية، وعلم الاجتماع، والاقتصاد السياسي الماركسي.

في هذا الحوار مع المفكر وأستاذ الاقتصاد السياسي الدكتور القادري، طرحت "اشتباك" سلسلة من الأسئلة المتعلقة بالإمبريالية كمفهوم يعتريه الكثير من اللغط وسوء الفهم، خصوصاً في سياق الصراع الكوني الدائر وصعود الصين. ليس السؤال فقط حول معنى وطبيعة هذه الظاهرة التاريخية، وإنما هو كذلك حول ما يجري من إعادة تعريف للمفهوم من قبل القوى المهيمنة وأدوات تدعي اليسارية أحياناً، كجزء من سطو قوى اليمين العالمي على مفاهيم يسارية وماركسية وإعادة تعريفها إما لتسخيرها لصالحها في الصراع الدائر أو لإفراغها من معناها، وبالتالي خسارة اليسار لإحدى الأدوات المهمة في الصراع.

القضية الثانية المرتبطة بمفهوم الإمبريالية التي طرحناها على الدكتور علي هي دور اليسار الغربي عموماً، والأوروبي تحديداً، في الصراع العالمي الدائر. هل خان اليسار الغربي قضية الثورة العالمية؟ هل يستطيع اليسار الغربي أصلاً أن يقود الثورة العالمية؟ هل يمكن له أن يشكل قوة تحريرية وأن يكون فاعلاً تاريخياً ينتج فكراً تحريراً بالرغم من بنية المجتمعات الغربية ذات العلاقة الوثيقة بالإمبريالية؟ ما علاقة أزمة اليسار العربي بالخلل الذي يشوب اليسار الغربي فكراً وبنية اجتماعية؟

أخيراً، يعمل الحوار على استعادة الجوهر الثوري للماركسية المتمثل بنظرية فائض القيمة وتجلياتها في العصر الإمبريالي. كيف يساعدنا في فهم ما نعتقد أنه التناقض الرئيسي في العالم، صراع الجنوب-الشمال، وعن قضيتنا العربية المركزية، قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني؟ عن هذه الأسئلة وغيرها، ماذا يقول البروفيسور علي القادري؟

اشتباك: سنبدأ بالسؤال عن مفهوم مركزي في الفكر اليساري وفكر حركات التحرر تميزت كتاباتك عنه بمقاربة لينينية، أو بمقاربة سوسيولوجية لهذه الظاهرة، مقارنة امتاز بها لينين عن مقاربات كاوتسكي وروزا لوكسمبورغ، مثلا، وعن كل تيار الأممية الثانية التي ناصرت برجوازية بلدانها في الحرب العالمية وخانت الثورة العالمية. ما هي الإمبريالية؟

القادري: الامبريالية هي علاقة اجتماعية، وبالتالي هي عملية تاريخية سياسية، كما هي علاقة قوة في ذات الوقت. يمكن القول باختصار أن الإمبريالية هي تكثيف لرأس المال في وجهه الوحشي - أي أنها أسوأ أشكال رأس المال. طبعا، الإمبريالية ليست ظاهرة حديثة، فالإمبراطوريات وجدت عبر التاريخ ومارست الإمبريالية. لكن، لأن علم الاجتماع هو علم تاريخي فهو يأخذ في تاريخية الظاهرة ويبحث في دلالاتها ومحدداتها وفق المرحلة التاريخية التي تمر بها. والتمزج التاريخي يحدد ويجدد الفئة النظرية التي تميز عَرْض البحث - أي بتمييزها عما مضى تاريخيا كمرحلة (لينين بالضبط تميز عن غيره باستخدام منهج سوسيولوجي في فهمه للظاهرة).

هذا يعني أن إمبريالية القرن العشرين فئة مختلفة لأن التطور التقني يتميز بالنهب والتدمير والهدر والإفراغ السكاني كجزء من عملية تكوين رأس المال كعلاقة اجتماعية. أيضا، تتميز الإمبريالية تاريخيا بكونها طفيلية، لكنها أيضا وفق المنهج السوسيولوجية تختلف من زمن لزمان. وفي الزمن الاحتكاري (القرن العشرين) هي أكثر طفيلية بما لا يقاس عما سبق، وهذه الطفيلية خلقت من المجتمعات الغربية مجتمعات تعيش على حساب القيم التي تنتجها شعوب الجنوب.

مهم أن نذكر هنا أن القيمة ليست السلعة في حد ذاتها، بل العلاقة الاجتماعية. فائس القيمة التاريخي هو علاقة، هو عملية، أو علاقة تاريخية اجتماعية وليس شيئا كميا فقط. كل شيء له جوهر، وجوهر أي سلعة هو العلاقة الاجتماعية التاريخية التي صنعت هذه السلعة وليس المادة ذاتها. غير ذلك هو تشبيهي، فكل إنتاج هو في المحصلة إنتاج اجتماعي - مثلا، أي مصنع في أوروبا يعتمد على سلسلة توريد عالمية، وبالتالي ليس أوروبيا بحتا كما قد يزعم البعض، الخ.

اشتباك: أظن أنه لهذا السبب كتبت عن مفهوم "الإمبريالية المخففة"، إذا أردنا أن نترجم المفهوم حرفيا، وهو المفهوم الذي يتبناه بالجوهر اليسار الغربي، من أمثال ديفيد هارفي (الذي سنعود له بعد قليل). سؤالنا: ما هي الإمبريالية المخففة؟ أو الإمبريالية كما يقدمها أدعياء مقاومة الإمبريالية من اليسار الغربي ومجندهم في الجنوب-ولو قدر لي ترجمتها بشكل آخر لقلت "الإمبريالية المائعة"، كأن تخفف الشيء بالماء، كما يوحي المفهوم الإنجليزي: (Diluted Imperialism)؟



القادري: القضية أساسا هي في كيف نفكر بالإمبريالية؟ وهذه أيضا قضية طبقية بامتياز رغم أنها قد تظهر كخلاف منهجي. المفاهيم التجريبية للإمبريالية التي يتم اعتمادها من قبل الماركسيين الغربيين تعمل حرفيا على تخفيف المفهوم إلى الحد الذي يجعل الرقم الإحصائي وعلاقته بالأرقام الأخرى تُجانس كل الفاعلين الاجتماعيين الذين يقفون وراء صناعة هذه الأرقام - هكذا يصبح السيد والمستعد والناهب والمنهوب متشابهين، إلخ. أيضا، بالتركيز على الكم فقط، يختفي النوع بالضرورة، أو يختفي الفرق النوعي الذي يجعل قوة معينة إمبريالية وأخرى غير ذلك. فجميع الموضوعات، المُستهلكون والمستهلكون، بالتالي، تتشابه من خلال وحدة القياس، سواء بالكيلوجرام أو بالدولار الأمريكي. وعلى الرغم من أن النقاط العقدية (أو نقاط التقاطع) في تطور القياس تشير إلى تغيير نوعي، إلا أن مقاييس رأس المال أحادية الجانب بدرجة كافية بحيث يختلف استنتاج التغييرات في النوع من التغييرات المقابلة في الكم حسب نزوة البحث الممول برأس المال.

لهذا، يتم تصنيف العديد من البلدان المصدرة أو المستوردة أو التي تُمركز أو تُركز بعض رأس المال العيني أو رأس المال المالي إلى حد ما على أنها دولة مهيمنة أو إمبريالية، فيما يتم تصنيف بعض البلدان الأخرى على أنها شبه إمبريالية أو إمبريالية صغيرة. ويتم أيضا تجميع مقاييس رأس المال بطريقة تخفي جوهره أو تخفي القوانين التي تتوسط تطوره. يمكن، بالتالي وفق هذه الرؤية، لأي من، أو حتى لكل، القوى الاجتماعية المنخرطة في الصراع الطبقي العالمي أن تصبح إمبريالية لأنها من الناحية الكمية تتشارك إلى حد ما في النهب الإمبريالي العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة. فهم جميعًا يشتركون في نظام الأجور وشكل القيمة بالدولار (القيمة المدولرة). إذن، كل الأمم هي بوتقة للاستغلال.

في هذا التصور، يتم بناء (تخيل) الأصول الرأسمالية في هياكل جامدة، أو ثابتة مكانيًا، تُصنّف رأس المال وتُستقبله. في هذه النزعة التجريبية الخالصة، التي يغيب فيها التصنيف دائما (الكلانية)، تتفوق الكمية على الذات الاجتماعية، وبالتالي فإن الفرق المحدد للنوع الاجتماعي الذي تحدده علاقته الاجتماعية يتلاشى ويختفي. لن تعيد الكمية أبدًا التأثير على النوع بالديالكتيك العكسي. يأتي المقياس كوحدة الكمية والنوعية معًا مسبقًا إلى حيز الوجود كوحدة للكمية مع الكمية. في اللغة الكانطية العامة، هذه النزعة التجريبية تفرغ إمكانية التقدير أو الحكم من معناها. إذا كان كل شيء من نفس النوع أو بدون موضوع، فإن الاختلافات في المقياس تُبنى بالتغيير البنيوي فقط عندما يقرر رأس المال ذلك. إن حذف أو إغفال تعريف العلاقات الاجتماعية، أو أكثر فئة المحتوى على نحو ملائم، والاعتماد على الكمية، مثل حجم الأصول الرأسمالية الثابتة في الفراغ، تدفقات رأس المال، وامتدادات السوق، وما إلى ذلك، يعني ضمناً أن الإمبريالية الأمريكية والصهيونية الإسرائيلية والتحالف السعودي مشابهة للتحالف الروسي والصيني والفرنزويلي.

اشتباك: هذه المنهجية، ككل منهجية، طبقية بامتياز كونها متخمة بالانحيازات الأيديولوجية. ألا تفسر كذلك السؤال السخيف الدائم التردد عن دول أكثر أو أقل إمبريالية، كما تفسر الزعم بأن الجميع إمبريالي بشكل ما لاشتراكهم في منظومة واحدة؟

القادري: إن افتراض أن كل رأس المال هو واحد ومتجانس ويمكن تقييمه بالدولار، يعني ببساطة إلغاء جوهر الموضوع وجوهر النقاش. فحين لا يكون مقياس رأس المال هو المتوسط في الفروق التلقائية للنوع عبر الزمن، يصبح كل شيء متشابهًا، لأنه بالتشابه لا يوجد فرق على الإطلاق. بكلمات أخرى، من أجل المقاربة الكمية لتعريف الإمبريالية على أنها إمبريالية (أو فارق بسيط من الإمبريالية)، كما هو الحال في السؤال الهزلي "من هو الأكثر إمبريالية؟"، يجب أن يكون وكيل هذه الإمبريالية أو تلك ذا صفات تاريخية واحدة. يجب أن تكون فريدة أيضًا من حيث وحدة القياس الخاصة بها. النوعية التي يتم تحديدها لحالة ما هي مضاعفة للكمية التي تحددها لنفس الحالة. أي أن الكمية والنوع قابلين للتبادل. على سبيل المثال، الأسعار تعادل الفائدة حسب مفهوم القيمة في النظرية الكلاسيكية الجديدة. فالفرد يستهلك ويحصل على المنفعة كلما استهلك أكثر، وإن كان بمعدل متناقص. يدفع المستهلك أسعارًا منخفضة طوال الوقت بشكل مفضل للسلع التي تعادل المنفعة أو القيمة المكتسبة. ما ينطبق على استهلاك الفرد المدفوع برفاهيته ينطبق على المجتمع. ومع ذلك، في المجتمع، البعض يستهلك أو يحصل على المنافع من القنابل التي تقضي على الآخرين. أن تستهلك وتكون سعيدًا (كسب المنافع) هو توصيف أحادي الجانب وعابر للتاريخ وللإستهلاك. موضوعها هو نفسه عبر التاريخ. ما يغيب عن هذه المحددات هو حقيقة أن أسباب تشكيل السعر هي في الرفض العنيف للإخضاع. السعر المنخفض الذي يشتري المزيد من الأشياء لإسعاد شخص ما هو أيضًا السعر المنخفض المدفوع مقابل العمالة والموارد التي يتم ابتزازها بالعنف. الاستهلاك هو استهلاك تلقائي، وفي ظل رأس المال، تكون العملية انتكاسية، والهدر له الأولوية.

اشتباك: كما تعلم، الكثير من الشباب العربي اليساري تابع شروحات ديفيد هارفي لرأس المال ويعتبره مرجعًا ماركسيا ثوريا فيما مفهومه للإمبريالية ليس كذلك. ألا يتضمن بعض هذا التشخيص الذي سردته أعلاه جوهر نقدك لديفيد هارفي؟

القادري: مثل التيار الرئيسي في الماركسية الغربية، هارفي يُدّرّس ويشرح ماركس كمحاسب (مثلا، يوم العمل يتضمن ٨ ساعات عمل تنقسم إلى أربع ساعات عمل ضروري وأربع ساعات إضافي، أو كفائض قيمة يحصل عليها الرأسمالي). الماركسية الغربية تحوّل ماركس لمحاسب أيضا عبر منظومة الأسعار متجاهلة تماما أن الذي يضع منظومة الأسعار ويقررها هو رأس المال نفسه (رأس المال هو الذي يقوم بتسعير السلع). لكن القيمة ليست السعر. القيمة هي العلاقة الاجتماعية التي تتضمن القتل والحروب والخراب للإنسان والمجتمعات والبيئة، وهو ما لا يدخل في حسابات الماركسية الغربية حين ينظرون للقيمة بهذه الطريقة. بالتالي تكميم القيمة بهذه الطريقة هو تعسف بالحد الأدنى. الحقيقة أبعد من ذلك بكثير، فماركس ليس بمحاسب، بل يجب أن يُدّرّس أساسا كمؤيّنس لفكر ثوري ومقاوم، لأن الهدف في رؤيته هو تغيير العلاقة الاجتماعية التي تشكل القيمة (ماركس الحقيقي يعلمنا كيف نقاوم)، أما في النظرة المحاسبية (من محاسب) فلا يمكن أن يصل بك الاستنتاج إلى أي فكر ثوري.

اشتباك: ماذا عن المنهج؟ فلا يمكن أن تكون ماركسيا حقا، أن تفهم رأس المال حقا (كل رأس المال وليس الجزء الأول كما اتفقنا قبل فترة) وتصل إلى تشخيص هارفي؟

القادري: مقارنة هارفي للإمبريالية تتبع الأيديولوجية المهيمنة المتمثلة بنظرية البنيوية الوظيفية القديمة، وهي رؤية وصفها أنور عبد الملك بأنها بالكاد ماركسية، ولكن في نهاية المطاف ليست ماركسية على الإطلاق. توسعاً وتأكيداً على موقف عبد الملك، سأشير إلى ما يلي: بالمعنى التجريبي الخالص (الخام)، الإمبريالية بلا مركز تصبح خليطاً من وحدات محددة جيداً، بمفردات معرفية أكثر تعقيداً، أو منهجية أكثر تشديداً، وبحماس عالٍ لعالمية تنتمي حقا إلى الرؤية الميسحانية للحقبة الكبرى لما سمي بـ "عبء الرجل الأبيض". علاوة على ذلك، فإن المفاهيم المكانية أو مفاهيم المركز التي تشير إلى مفاهيم جغرافية ثابتة خالية ومجردة من أي تعريف اجتماعي للإمبريالية تنتمي أيضا إلى التقليد الكوني الاختزالي، كما يشير عبد الملك. هذا يمكن رؤيته في نقد عبد الملك لثنائية المركز-المحيط دون إعطاء الأولوية للإمبريالية وكومبرادورها كطبقة، مما يحول انفصالهم إلى وحدة.

يدعي هارفي إن نظريته ليست "جامدة"، لكن تثبيت رأس المال في المكان كبداية لتعريف الإمبريالية هو جامد مثل جمود المكان. إنه تشييء لرأس المال - أي تشييء لرأس المال كعلاقة اجتماعية حية تتنفس. رأس المال ليس شيئاً، بل علاقة إنتاج اجتماعي محددة، ينتمي إلى تكوين تاريخي محدد للمجتمع، يتجلى في شيء ويضيف على هذا الشيء طابعاً اجتماعياً محدداً، كما يقول ماركس، ويصبح شيئاً مُدرّجاً في المكان المحدد. التحديد أو التثبيت المكاني، الذي يمكن أن يكون أيضاً هدرا، هو شكل من أشكال رأس المال، لكن قياس الشكل في رأس المال النقدي الذي تم إنشاؤه كسلاح أيديولوجي ومتماسك بالعملة البارزة أو بالدولار هو أيضاً شكل من أشكال رأس المال. لا يشير المقياس إلى التغيرات في جوهر رأس المال، إنه بالكاد يمس المظهر المعطى على شكل صنم السعر أو شكل النقود.

إن تصور الإمبريالية كنظام عالمي للتراكم الاقتصادي-المالي، بلا مركز وبدون هيكل له قمة، هو فهم لا يزعج المحافظين بتاتا ويمكن، على العكس، أن يرتاحوا له. هذا هو العالم الذي يفترض فيه المتظاهرون في وسط نيويورك، الذين يدفعون الضرائب لتمويل المغامرات العسكرية الأمريكية، أن تكوينهم الاجتماعي لا يكتسب بالضرورة فائض قيمة عن طريق التدمير. إنهم يفترضون أن نشاطهم الرمزي، غير المرتبط بشبكة القوة العالمية، يحرف رأس المال بعيداً عن تراكمه عن طريق الهدر. إذا حكمنا من خلال المسار الدموي لرأس المال، وبعيداً عن تحقيق النتائج المرجوة، فإن احتجاجاتهم أدت إلى أنسنة الإمبريالية ومنحتها قناعاً ديمقراطياً زائفاً. وفي إمبريالية بلا مركز تكدس الولايات المتحدة هروب رأس المال في العالم لأن البرابرة في الجنوب، الذين يطلق عليهم الآن اسم قوى مهيمنة أو إمبريالية صغيرة، غير قادرين على التعايش السلمي أو الحكم الذاتي. إن الزعم أن رأس المال هو نظام عالمي جذري غير هرمي بدون إمبريالية هو بحد ذاته رافد للأيديولوجية المهيمنة وشكل من أشكال رأس المال.

اشتباك: لنعد إلى الماركسية الغربية. أذكر أنك في مكان ما كتبت في نقد الأورو-مركزية ما يلي (والترجمة بتصرف):

"الأورو-مركزية ضارة جدا لأي عملية تحول ثوري، والأورو-مركزيون مستفيدون من الريع الامبريالي الذي هو فائض القيمة التاريخي، وإذا تكلمنا عن فائض القيمة التاريخي كقيمة اجتماعية فهو أيضا كل الخطاب المزين بالإنسانية مثل استخدام حقوق الانسان في خدمة الحرب، هو تلك الثقافة التي تعيد إنتاج كل ما هو موجود ولكن بلغة مزيفة تتغنى بالإنسانية ولكنها تفتقر إليها".

السؤال هنا، رفيق علي، أين تقع الماركسية الغربية في هذا السياق، خصوصا أنك ذكرت لي في حديث سابق أنك تراها كطابور خامس للرأسمالية في الغرب، أو لنقل حسان طروادة الإمبريالية؟

القادري: باختصار، فكرة إنَّ العلم والمتعلمين يتبعون ويخضعون للسلطة هي بديهية سوسيولوجية - السلطة الحاكمة لها علاقة اجتماعية مهيمنة فكريا وهي التي تحدد العلاقة العلمية. والماركسية الغربية هي سلاح من أسلحة الامبريالية - على الهامش، دَكر دالاس في اوج الحرب الباردة ما معناه أنه لا يهتم لأي وغد شيوعي طالما أنه يهاجم الاتحاد السوفييتي. هم أوغاد، لكنهم أوغادنا، كما يقول.

الماركسية في الغرب تعرضت لعملية تدجين واحتواء ممنهج حتى أصبحت فعلا طابورا خامسا. واستتباعا للديهية السوسيولوجية عن علاقة المثقف بالسلطة، أحد مظاهر هذا الاحتواء يمكن أن نراه في وجود عشرات آلاف الأكاديميين بالحد الأدنى الذين يصنفون أنفسهم كماركسيين، فيما عضوية الأحزاب الشيوعية الغربية (بمعنى التنظيم الذي يمكن أن يأتي بنتيجة في مقابل التوحش الرأسمالي) لا تتجاوز بضعة آلاف. طبعا هذه أرقام تقريبية، لكنها مؤشر مهم وتمظهر مهم للتدجين والاحتواء الذي حصل.

إن فرضية أن جميع الأمم في المرحلة التاريخية للرأسمالية هي أمم رأسمالية هي حقيقة بديهية. ومع ذلك، فإن كون البعض أكثر رأسمالية وأفضل من البعض الآخر أمر مشكوك فيه لأن رأس المال كموضوع هو علاقة اجتماعية أساسا. من الممكن بناء حجة من هذا النوع فقط عندما تكون اللبنة الأساسية للنظرية الاجتماعية هي الإنسان المجرد، كما هو في الميتافيزيقا، أو عبر تشييء الإنسان، أو اعتباره مجرد شيء، وليس الإنسان الاجتماعي، أو كونه (أي الإنسان الاجتماعي) يمثل الفئة الفرعية للطبقة أو الجماهير. بمجرد أن يتم نقاش الإمبريالية بالتداول في طبيعة الطبقة الإمبريالية من حقائق مختارة ومعطاة بشكل فوري بدلًا من تاريخ الحقائق أو الأحداث التي تتأثر بها الفاعلية التاريخية، فإنها تنحرف عن الإنسان الاجتماعي، كما تراه الماركسية. بالمناسبة، الماركسية لا ترد

ببغائية قول "الإنسان" يصنع التاريخ، لأن هذا التعبير يتم استغلاله من قبل الأيديولوجية البرجوازية التي تستخدمها لمحاربة تعبير حقيقي آخر، ومهم جدا للبروليتاريا، وهو أن "الجماهير" هي التي تصنع التاريخ.

لهذا تحتاج الإمبريالية إلى طابور خامس، وفي هذه الحالة هي الماركسية الغربية. مثلا، بدل أن يطالب الماركسيون الغربيون بدفع أجر للعامل في أفريقيا يماثل أجر العامل في نيويورك، توافق، على العكس، على الزعم بأن إنتاجية العامل الغربي أعلى وبالتالي تبرر الوضع القائم. السبب أنها تتخيل أو ترى الإنتاجية، والعملية الإنتاجية ككل، كشيء وليس كعلاقة اجتماعية. أن يكون لدى الغرب صناعات متقدمة ليس سببه مهارات استثنائية وخاصة في الغرب، ولكن لأنهم يشنون الحروب. هكذا تظهر الإنتاجية وكأنها خالصة للعامل الغربي. يتساءل أرغيري مانويل في "التبادل اللامتكافئ" مثلا، لماذا لا يحصل العامل في لبنان على نفس أجر العمال في نيويورك إذا تشابهت ظروف الإنتاج؟ لهذا السبب مثلا نرى أن مجلة الايكونوميست تتحدث باستمرار عن الأرباح وتتجاهل أن الرأسمالية هي علاقة تاريخية وان الثقل التاريخي لرأس المال هو في تثبيت رأس المال الذي يتضمن القتل والحروب.

لكن الماركسية الغربية، وبدل أن تركز على عملية الإنتاج والمساواة في عملية الإنتاج، تركز أساسا على عملية التداول. والتركيز على التداول، طبعاً، مفيد لرأس المال، فما يهم رأس المال هو ثباته وإعادة إنتاجه، أو أولوية السياسة-العلاقة الاقتصادية مهمة ولكن في اللحظة النهائية، كما يقول لوي ألتوسير.

عملية التواطؤ وشراء الماركسيين الغربيين وتمويلهم تعمل على احتواء العامل الرئيسي الذي يمكن أن يقوض سياسة رأس المال والعالم الثالث وهو درس يبدو أنهم تعلموه من فيتنام. واحتواء الماركسيين في الجنوب أيضا أصبح مهما ومكسبا سياسيا لرأس المال. باختصار، الماركسية الغربية أفسدت الماركسية فكريا وأجهضت مضمونها الثوري.

اشتباك: كما أفهم الموضوع، وكما فمهمت منك ومن كتاباتك، فإن الماركسية الأوروبية تعمل على تغييب، أو حتى تحريف، الجانب الأكثر ثورية في فكر كارل ماركس عبر قراءة غير سوسيولوجية للإمبريالية أولا وعبر شرح يقترب من التفكير المحاسبي (من محاسب) لنظرية القيمة. كيف نفهم نظرية القيمة بعلاقتها بصراعات أهل الجنوب المستمرة في مواجهة النهب والحروب والخراب؟ أو كيف نضيء على الجانب الحقيقي والثوري في نظرية القيمة لصالح فهم التناقض الأساسي في العالم بين الشمال والجنوب؟ هذا يفترض أو يتضمن، كما أظن، استعادة الطابع الثوري، وهو الطابع الحقيقي، لنظرية القيمة الماركسية؟

القادري: القيمة باختصار هي علاقة اجتماعية وليست السلعة ذاتها، وفائض القيمة ليس مجرد ساعات العمل المتضمنة في السلعة - أي أنك يجب أن تبحث في العلاقات التي أنتجت السلعة وليس السلعة نفسها التي هي حقيقة بين يديك. هي العلاقات التي تسمح للشمال بأن يأخذ كل شيء من الجنوب وأن لا يعطي شيئاً في المقابل. وعلاقة القيمة بالذات في الزمن الاحتكاري (الإمبريالي) هي في حرمان شعوب الجنوب من التقدم ومن التنمية، وهذا الحرمان يصل حد الإبادة أحياناً (السكان الأصليين في أميركا الشمالية، شعب تاسمانيا مثلاً). الأهم أن القضية لا تتوقف على ما حصل (أي لا تتوقف بالإبادة والحروب والخراب)؛ المهم أولاً، هو هذه العلاقة التي تجعل هذه الإبادة ممكنة ومربحة وتمنع العالم الثالث من التحكم بمصيره وتجد من قدرته على التوسع في الإنتاج. هذه العلاقة هي الفاعل التاريخي (هي القيمة) التي تجعل من الغرب ثرياً أو غنياً ومن الجنوب فقيراً، وتراكم هذه القيمة هو الثراء الذي نراه في الشمال. بمعنى أن شرط غنى الشمال ليس فقط في هذه العلاقة التي تنتج إبادات وحروب وخراب، بل في إعادة إنتاجها باستمرار أيضاً.

ثانياً، أن هذه العلاقة حقيقية، وليست مجرد حدث مضى وانقضى، فهناك دائماً حروب، وهناك دائماً سياسات بنك دولي وصندوق نقد، وهناك أيضاً الأيديولوجيا السائدة أو الفكر السائد، وهذه كلها، أي الحروب والسياسات والفكر تتبنى تطوير وتمكين هذه العلاقة وإعادة إنتاجها - علاقة استمرار حرمان الجنوب حتى يستمر الشمال بالحصول على كل شيء. فحين نقول إنه من أجل أن يراكموا الثروة يجب حرمان الجنوب، وحصول الحروب والإبادات والخراب، فنحن نتحدث عن قانون أساساً، وهو قانون القيمة الذي يعني بالضرورة أنه يجب أن تكون قيمة العمل الاجتماعي إلى الحد الأدنى من أجل أن تجعل أسعار السلع أعلى من أسعار الإنتاج كما هي عند ماركس مثلاً. فهكذا فقط يظل رأس المال يحصل باستمرار على أرباح أعلى وفوق متوسط الأرباح. هذه ضرورة وقانون، هو قانون فائض القيمة المطلق أو قانون التطور الرأسمالي المطلق. ببساطة حتى يصبح ويظل طرف ما غنياً، وعلى الطرف الآخر أن يصبح ويظل فقيراً.

أخيراً، هذه ظاهرة حقيقية أيضاً بمعنى أنها علاقة اجتماعية تتمظهر بحقائق، ولكنها كما قلت سابقاً ليست علاقة ثابتة، بل علاقة ديناميكية. ولأن هناك معدلات تراكم زمني ديناميكي، كما يمكن القول، فيجب على هذا المعدل أن يتطور باستمرار (مثلاً من ٤ إلى ٥ إلى ٦ الخ)، فعملية تدمير الآخر واستثنائه من التنمية يجب أيضاً أن تستمر ويجب أيضاً أن يتم إعادة إنتاجها باستمرار.

اشتباك: أليس في هذا السرد أيضاً نقد للمفهوم الماركسي الغربي للإمبريالية؟ لكن لو أردنا التوسع قليلاً، أين دور ما يمكن تسميته الوسيط الاجتماعي للإمبريالية أو لرأس المال الذي يؤسس للثقل التاريخي للإمبريالية؟

القادي: نحن ثبتنا أن الإمبريالية يجب أن تفهم كعلاقة. هي أيضا كرأسمالية مكثفة، علاقة بين الاشكال الاجتماعية لتنظيم العمل ورأس المال، علاقة بين العمال ورأس المال من خلال الوسيط الاجتماعي لرأس المال مثل الناتو، البنك الدولي، الجامعات، مراكز الأبحاث وأفكارهم. هؤلاء وكلاء رأس المال في الغرب يعملون على خلق الثراء عبر ممارستهم وأفكارهم، ويدفعون أو يفرضون أن تتحول كل الأموال والثروة إلى العملة غير المحفوفة بالمخاطر والتي تحفظ القيمة (الدولار). بالتالي، تصبح ثراء غريباً لأن الدولار أصبح هو الشكل الكوني للسلعة.

الإمبريالية تحديداً هي هذه العلاقة، ولهذا يحمل ويحتفظ الناس في كل مكان بالدولار. طبعاً هذا لا يجعل منهم إمبرياليين، وإلا لأصبحنا ن فكر مثل الماركسيين الغربيين، لأن المهم هو العلاقة الاجتماعية، وهذه (أي العلاقة الاجتماعية) أيضاً فكر وممارسة، وهنا بالضبط يأتي ما يمكن تسميته بالثقل التاريخي للإمبريالية، وهو أن تصبح منهج التفكير الذي يستدخله الناس في وعيهم ويمارسون وفقه حياتهم اليومية - استدخال الهزيمة هذا في التفكير وأسلوب الحياة هو الإمبريالية.

طبعاً الناس تولد وتجد هذه المنظومات سابقة لها وتحيط بها وتقرر لها طريقة العيش والتفكير وهو ما يتم تعزيزه باستمرار عبر تعرض هذه الشعوب للهجوم المستمر (وأكثر الشعوب التي تتعرض للهجوم هم الأفارقة والعرب، وهم طرف واحد في الحقيقة). هناك ما يسمى الانتقال من القوة إلى الأيديولوجيا، أو ببساطة استخدام القوة لهيمنة الأيديولوجيا - العدوان والعنف المستمر من أجل استدخال الهزيمة، وهي آلية فهمها حتى الحجاج بن يوسف في إفراطه في العنف. هذا هو الثقل التاريخي للإمبريالية، وهو أن الإمبريالية غير مضطرة أن تفرض على الناس دائماً ومباشرة ماذا يجب أن يفعلوا، ولكن بسبب هذه المنظومات واستدخال الهزيمة المستمر عبر الهجوم المستمر والعنف يتصرف الناس وفق متطلبات هذه المنظومات. الكارثة أن تصبح، وتترجم هذه القضية إلى مواقف طبقية، أي أن يصبح العمال والفقراء شكلاً من أشكال رأس المال وليس العمل، عبر استدخال الطائفية والمذهبية مثلاً.

اشتباك: لهذا إذن تحتاج الإمبريالية لطابور خامس، لأحصنة طروادة، أحد أقطابه في الشمال هم الماركسيون الغربيون، كما يحتاجون طابوراً خامساً في الجنوب نعرفه جيداً. لكن سنتحمل في اشتباك مسؤولية الاستنتاج التالي: أن إسالة الدم الجنوبي هو الفاعل التاريخي لثراء وحبوحة الرجل الأبيض في الغرب، وأن موت وقتل أهل الجنوب باستمرار، أو تقصير حياتهم عبر الحروب والخراب (بمعنى رؤية العمل الضروري كعمل مكثف) هو هو فائض القيمة على اعتبار أن فائض القيمة، كما قلت ليس مجرد ساعات العمل الضروري، بل يجب فهمها كنشاط اجتماعي أساساً، وأن الأرباح هي في تقصير حياة الجنوبيين عبر آليات متعددة منها الحرب والإبادة. سؤالنا، هل استنتاجنا دقيق إذن، إن جادلنا أيضاً أن الصراع العربي الصهيوني، في هذا السياق وبناء على كل ما تقدم، هو صراع وجودي؟ هل في استمرار قتل العرب وموتهم وشن الحروب عليهم شرط ضروري لاستمرار وجود وحتى رفاهية الصهيوني؟ أين القومية العربية في مواجهة الإمبريالية؟

القادري: كما قلت، ليست القضية عند ماركس هي مجرد عامل في مصنع يُفترض من أجل تخفيف تكاليف متطلباته (طعامه ولباسه الخ) وبالتالي تخفيض أجره وزيادة الأرباح تطوير نمط الإنتاج. فمن أجل تطوير نمط الإنتاج يتم نهب أفريقيا وباقي الجنوب ونهب مقدراتها (وطعام سكانها) لتصبح تكاليف حياة العمال في الشمال أقل باستمرار. الإمبريالية إذن هي في صناعة فائض القيمة النسبي، وهكذا يصبح الدم في مكان ما هو الثراء في مكان آخر، والوجود الصهيوني وثراؤه في فلسطين هو الدم العربي. الدم العربي والموت العربي هو الفاعل التاريخي الحقيقي لهذا الثراء، واستمرار وجودهم واستمرار ثرائهم هو في قتلنا، أي أن عملية وجودهم وثنائهم مشروطة باستمرار قتل العرب.

لهذا، إذا أردت أن تقاوم الإمبريالية فالقومية والقومية العربية خصوصا مهمة جدا. القومية العربية في الحقيقة هي محور الهجمة الإمبريالية، وهي أيضا محور الحرب الثقافية ضد الغرب وضد الإمبريالية. جوهر الحرب مع الإمبريالية هو جوهر ثقافي، وفي هذه الهجمة، تدمير الثقافة يتضمن بترًا للتاريخ، لتاريخنا، أو أن يصبح التاريخ مجرد وهم وكأنك لا تعيش في الحاضر. القومية هي بوتقة ثقافية، والحرب على الثقافة هي حرب على الأفكار وعلى رموز الطبقة العاملة المجوهرة في الفكرة.

انتهى

جون تشي:

إيديولوجية الإمبريالية المتأخرة

عودة الجغرافيا السياسية للأمم المتحدة الثانية

ترجمة: السيد البدري

مراجعة: سيف دعنا

بصعود الرأسمالية. وبدلاً من التركيز على أوروبا الغربية والولايات المتحدة فقط، كشفوا لنا كيف أن التقسيم العالمي للعمل والنظام العالمي عموماً، أو النظام الإمبريالي، نقل فائض القيمة من المحيط إلى المركز، وبالتالي خلق كل من التنمية في المركز والتخلف في المحيط في آن واحد.

بالنظر إلى هذا المد المرتفع للكتابات الماركسية عن الإمبريالية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، فإن اختفاء الإمبريالية من النقاش اليساري يعد أمر لافت للنظر الي جد كبير.

وفقاً لبيانات كتب: Google

(انظر الرسم البياني 1)، انخفض تكرار مصطلح الإمبريالية في عينة كبيرة من الكتب باللغة الإنجليزية بأكثر من 50 في المائة بين عامي 1974 و1990. وحتى قبل انهيار الاتحاد السوفيتي أو التحولات النيوليبرالية في كثير من الأحيان، كانت تحليلات الإمبريالية تختفي بالفعل في الولايات المتحدة وأماكن أخرى.

تواتر مصطلح الإمبريالية في الكتب المنشورة على جوجل باللغة الإنجليزية سواء عناوين أو محتوى في الفترة من 1870:2019



رسم بياني 1

Source: Google Books Ngram Viewer,
books.google.com/ngrams.

في عام 1990، عندما سأل الاقتصادي الماركسي الهندي الشهير برايهات باتنايك "ماذا حدث للإمبريالية؟"، كانت مدارس النظريات النابضة بالحياة والمؤثرة حول الإمبريالية في أدنى مستوياتها التاريخية بعد الحرب. وفي الوقت الذي غادر فيه الغرب للعودة إلى الهند في عام 1974، كان مفهوم "الإمبريالية" في قلب كل المناقشات الماركسية. وعندما عاد إلى الغرب بعد خمسة عشر عاماً فقط، بدت الإمبريالية بالفعل وكأنها عتيقة الطراز. بعد كل شيء، كانت نهاية الاتحاد السوفيتي وإعلان الليبراليين عن نهاية التاريخ.

بدأت تحقيقات الماركسيين في مسألة الإمبريالية في أوائل القرن العشرين. في زمن لينين وروزا لوكسمبورغ، ركز الماركسيون في حينه على سؤالين متصلين بالإمبريالية؛ الأول: المنافسة بين الرأسمالية والحرب [1]، والثاني: التراتبية داخل الرأسمالية العالمية والعلاقة بين الدول الإمبريالية والمستعمرات/ أشباه المستعمرات [2] منذ ذلك الحين، أدت الثورتان الروسية والصينية، والموجة المعادية للاستعمار بعد الحرب، والحرب الباردة لاحقاً، إلى تغيير عميق في سياق الإمبريالية، في أعقاب الحرب الأخيرة بين القوى والمراكز الإمبريالية في الأربعينيات، ومع حصول معظم المستعمرات على الاستقلال، أصبحت العلاقة -السياسية والاقتصادية بين الدول الإمبريالية وغير الإمبريالية هي المفتاح للتنظير حول الإمبريالية.

منذ الخمسينيات من القرن الماضي، عمّق العلماء الماركسيون فهمنا للإمبريالية إلى حد كبير من خلال استكشاف علاقة التخلف بمفهوم "المركز - المحيط"، أو بعبارة أخرى علاقات التبعية في الرأسمالية المعولمة.

يُعد كتاب بول باران "الاقتصاد السياسي للتنمية"، أحد أقدم التحليلات وأفضلها لكشف كيف ساهمت المصالح الإمبريالية، والإقطاعية، والكومبرادورية، في احتجاز شروط النمو للعالم الثالث. شأنها شأن الاستخدامات غير المنتجة لفائض القيمة الاقتصادي.

طور الكتاب اللاحقون مثل سمير أمين وأندريه جوندرو فرانك وإيمانويل والرشتاين نهجاً متميزاً ولكنه مرتبط

المحلي وممولة بشكل متزايد، وتشمل مجموعة واسعة من الصناعات وتلاشي التفوق التكنولوجي الغربي. وجادل وقال إنه في حقبة ما بعد الحرب، لا يعني استنزاف فائض القيمة من المحيط إلى المركز أي شيء، لأنه قد يكون ببساطة هو الثمن المدفوع لإنشاء مرافق إنتاجية. بعد كل شيء، "الاستغلال هو الجانب العكسي لتقدم القوى المنتجة".

كانت سياسات وارن المعادية لمناهضة الإمبريالية واضحة. لقد جادل بأن الاشتراكيين بحاجة إلى فحص طبيعة النضال ضد الإمبريالية عن كثب، ودعا إلى إيلاء المزيد من الاهتمام للنضالات الطبقة المحلية في العالم الثالث. إذا كانت العلاقة بين المركز والمحيط أصبحت شيئاً من الماضي بشكل متزايد، فإن معاداة الإمبريالية بطبيعة الحال أصبحت مجرد غطاء للمنازعات والمساومات بين الرأسمالية.

على عكس تفاؤل وارن الزائف، أدى تطور الرأسمالية إلى إحداث فجوة مستمرة، إن لم تكن متزايدة، بين المركز والأطراف. بعد فترة وجيزة، كتب راجيري إيمانويل رداً على وارن، أن الأخير تغاضى عن الاختلافات الشاسعة في التصنيع والميكنة الزراعية بين البلدان الغنية والعالم الثالث [5] جادل إيمانويل بأن الإمبريالية كانت تتكاثر ذاتياً وليست مدمرة للذات، كما افترض وارن، ولا يمكن مهاجمتها وتدميرها إلا من قبل الطبقة العاملة خارج بلدان الإمبريالية الأصلية. في رد آخر، لم يُنظر فيليب ما كمايكل، جيمس بيتراس، وروبرت رودس فقط أن هناك القليل من الأدلة على التصنيع المستقل في الجنوب العالمي، ولكن أيضاً (بشكل صحيح) حذروا من الأزمة القادمة في ميزان المدفوعات في العالم المتخلف. [6]، جادل المؤلفون الثلاثة بقوة بأن نمو العالم الثالث يعتمد على عدد صغير من البلدان، لصالح جزء صغير من سكانها، الأمر الذي لا يمكن فهمه إلا في سياق الإمبريالية. أشار ديفيد سلاتر لاحقاً إلى عدد من نقاط الضعف في أطروحة وارن، بما في ذلك المركزية الأوروبية لوارن، والقبول اللطيف للاستغلال الرأسمالي، والقراءات الانتقائية للغاية للنصوص الماركسية. [7]

التطور الفعلي حتى الآن لا يدعم أطروحة وارن بل ينفىها. يوضح الرسم البياني 2 الدخل القومي للفرد المقاس بالدولار الثابت لعام 2010 في عام 1960 مقابل القيم في عام 2015. ويشير النمط الواضح إلى أن التسلسل الهرمي والمراتب داخل العالم الرأسمالي ظلت كما هي إلى حد كبير خلال الخمس وخمسين عاماً من التنمية المزعومة. لم تبرح الدول الغنية في عام 1960 مكانها في القمة عام 2015، بينما بقيت الدول الفقيرة في ذلك الوقت في نفس القاع بعد نصف قرن. واستناداً إلى نفس البيانات، كان متوسط دخل الفرد في العشرين دولة الأكثر ثراءً

عزى باتنايك هذا التراجع إلى تعاضم قوة الإمبريالية بعد حرب فيتنام [3] كان هذا واضحاً من طغيان التقسيم العالمي للعمل وكذلك الدور التدميري لصندوق النقد والبنك الدوليين. بالإضافة لما سبق، كان هناك ميلاً متزايداً لدى كثير من المتقنين الليبراليين واليساريين الغربيين يهدف سياسياً إلى تقليص الكتابات المعادية للإمبريالية. وقد ساهم بداية كتاب يساريين مشهورين مثل بيل وارن وروبرت بريزر ومايكل هارت وأنطونيو نيغري وديفيد هارفي في هذا النوع من الثورة الفكرية المضادة.

وبغض النظر عن التغيير في الاهتمامات البحثية بين العلماء، فإن التراجع عن مسألة الإمبريالية قد مهد لظهور الأيديولوجية المحافظة التي تم تأطيرها على أنها خطاب يساري. لقد كان هناك عودة لما يمكن أن نسميه سياسة الدولية الثانية، والتي انفصلت بشكل أساسي عن التقاليد الماركسية التي جسدها لينين وماو تسي تونغ، والتي لا تعول كثيراً على الإمكانيات الثورية في النواة الإمبريالية.

وارن واختفاء تحليلات الإمبريالية:

جاءت أحد الانتقادات المبكرة للتقاليد الماركسية المناهضة للإمبريالية من (بيل) وارن، العضو السابق في الحزب الشيوعي البريطاني الذي انضم لاحقاً إلى المنظمة الشيوعية البريطانية والأيرلندية. في عام 1973، نشر وارن في: *New Left Review*

مقالاً طويلاً بعنوان: "الإمبريالية والتصنيع الرأسمالي" [4]، سعى وارن من خلاله إلى تحدي وجهة النظر الشائعة المناهضة للإمبريالية؛ القائلة بأن الإمبريالية، وبشكل أعم عملية توسع العلاقات الرأسمالية عالمياً، خلقت التبعية والتخلف في العالم الثالث. كان وارن حريصاً على إظهار أن توسع الرأسمالية والإمبريالية جلب التقدم (الصناعي وغير ذلك) إلى العالم الثالث. على حد تعبير وارن، "تشير الملاحظات التجريبية إلى أن آفاق التطور الاقتصادي الرأسمالي الناجح [مما يعني التصنيع] لعدد كبير من البلدان المتخلفة الرئيسية تعد جيدة جداً". على الرغم من اعتراف وارن بوجود الإمبريالية وادعاء أن أطروحته كانت مماثلة لنظرية لينين، إلا أنه جادل بأن "نظرية لينين العامة للإمبريالية كانت نظرية خاطئة وغير دقيقة تاريخياً".

كانت نتائج وارن التجريبية عاكسة من ناحية لطفرة ما بعد الحرب ومشاريع التصنيع الوطنية الواسعة النطاق التي قامت بها الدول المستقلة حديثاً، ومن ناحية أخرى؛ انعكاس لظهور عدد قليل من رعايا الإمبريالية مثل تايوان وكوريا الجنوبية. لكن وارن لم يكن راضياً عن ملاحظة ازدهار ما بعد الحرب. ومضي مجادلاً بأن العالم الثالث كان يمر بتصنيع مستقل، مع تنمية قائمة على الصعيد



بشكل ما أعتبر مقال بيرنر إعادة تقييم للجدل الشهير حول الانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية بين موريس دوب وبول سوزي وغيرهما من الباحثين الماركسيين في الخمسينيات من القرن الماضي في العلوم والمجتمع. من بين أمور أخرى، سوزي ودوب، اتفقا على أن كلا من القوى الداخلية (الصراعات الطبقة) والخارجية (التجارة والمدن) لعبت أدوارًا مهمة وتفاعلية في الانتقال إلى الرأسمالية، بينما اختلفا حول "التركيز الأساسي" (دوب) أو "المحرك الرئيسي" (سوزي). جادل سوزي بأن القوة الدافعة وراء التحول في أوروبا الغربية كانت خارجية، بينما أكد دوب أن القوى الداخلية تحدد شكل واتجاه تأثيرات التجارة والسوق.. [9].

سوزي في كلماته: "الآن، لدي فكرة جيدة عن طبيعة المحرك الرئيسي في الحالة الرأسمالية، ولماذا تؤدي عملية التنمية التي تولدها إلى أزمة، ولماذا الاشتراكية هي بالضرورة الشكل اللاحق للمجتمع. لكنني لم أكن واضحًا على الإطلاق بشأن أي من هذه العوامل في الحالة الإقطاعية عندما عكفت على كتاب دوب". [10] عموماً، ليس من الواضح أن النقاش الأصلي في حد ذاته كان مرتبطاً بصراحة بالسياسة اليسارية في فترة ما بعد الحرب. ومع ذلك، فإن الإلهام والمساحة الفكرية الناتجة عن النقاش ربما تكون قد سهلت المناقشات اللاحقة حول الإمبريالية، والتبعية، والأنظمة العالمية.

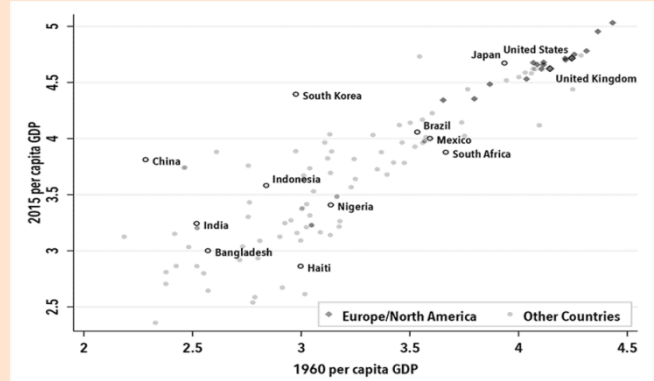
بغض النظر عن هذا النقاش، أولى مؤلفو

Monthly Review باران وسوزي اهتمامًا كبيرًا للنضالات والثورات في جنوب الكرة الأرضية. في أواخر السبعينيات، اعتبر بيرنر بوضوح أن فرانك و الرشتاين هما الهدفان الرئيسيان، لكن مقالته بدأت بنقد لموقف سوزي منذ الخمسينيات. ومع ذلك، على عكس أي شخص شارك في النقاش الأصلي، بما في ذلك دوب، رفض برينر تمامًا دور التجارة والمدن، وقبل فقط دور التغيير الزراعي في إحداث العلاقات الاجتماعية الرأسمالية. وجادل بأن التجارة في حد ذاتها لن تغير العلاقات الاجتماعية الإقطاعية أو نظام العبودية، وأن التغيير المستقل في العلاقات الطبقة في الريف فقط من شأنه أن يدفع التجارة نحو الرأسمالية. بعد ذلك، جادل برينر بأن سوزي وفرانك و الرشتاين افترضوا وجود الرأسمالية عند الحديث عن دور التجارة وتقسيم العمل و "المنافسة" و "تعظيم الفائض". حتى أن برينر أطلق على التركيز على التبادل (سوزي) وتقسيم العمل (فرانك و الرشتاين) السيمثية الجديدة

لكي نكون منصفين، لم يشر سوزي مرة واحدة إلى الحد الأقصى، وهو مصطلح نَسَبَهُ إليه برينر بالخطأ، بغرض تسليط الضوء على ما اعتبره الجانب غير التاريخي للحجة. في الواقع، كان المؤرخ الماركسي البريطاني

بشكل 32 ضعف متوسط الدخل لأفقر عشرين دولة في عام 1960؛ وبحلول عام 2015، ارتفعت النسبة إلى 123.

الرسم البياني 2. التسلسل الهرمي في الرأسمالية العالمية



المصدر: قاعدة بيانات البنك الدولي، يُقاس نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالقيمة اللوغاريتمية، على أساس الدولار الأمريكي الثابت لعام 2010.

بالطبع، مع "زوال الإمبريالية المزعومة"، سيبدو تطور المركز وتخلف الأطراف مستقلين تمامًا. وهكذا أنتجت أطروحة وارن نتيجتين سياسيتين رئيسيتين:

أولاً: الافتقار إلى التنمية أو التخلف هو مشكلة داخلية لكل بلد. ربما يأتي من رفض الانضمام إلى عولمة تقدم القوة المنتجة، أو من أنواع معينة من الفساد، أو من مؤسسات أو ثقافة سيئة، أو بشكل أدق من الفقر نفسه.

ثانياً: على الرغم من أن الجنوب العالمي أو العالم الثالث، منذ عهد لينين أو حتى قبله، كان مركزاً للثورة وتجارب الاشتراكية، بالنسبة لوارن، قد أصبح عبئاً على التنمية والمساعدات، وطالبا للمجتمعات الغربية. هذا النمط من النظرة التي تنمجر حول أوروبا أو الغرب والتي استمر وجودها في السوق الرأسمالية العالمية يتردد صداها بين اليسار الآن.

تدخل برينر في جدل الانتقال

إذا كانت أطروحة وارن تشير إلى التحول المحافظ لليساريين الغربيين بشأن المزيد من القضايا المعاصرة والعالمية، فإن روبرت برينر، المؤرخ المتدرب، قد أثرى الفصحة بشكل كبير من خلال إعادة التأكيد على المركزية الأوروبية والمحافظة في تاريخ الانتقال إلى الرأسمالية في أوروبا. كان هذا واضحاً من مقال برينر الجدلي الطويل، في نيو ليفت ريفيو في عام 1977 [8] "أصول التطور الرأسمالي: نقد ماركسية سيمثية جديدة"، (من آدم سميث).

الملكية كانت سابقة علي الزيادات الكبيرة في الصادرات. [15] ومن خلال توثيقه لتحسن شروط التبادل التجاري للزراعة في أوروبا الشرقية مقابل الصناعة الغربية، يقترح بريزر أن الفائض تدفق فعليًا من المركز إلى الأطراف في القرن السابع عشر. جادل دنمارك وتوماس بأن التغييرات في شروط التجارة لا يمكن أن تخرننا بأي شيء عن تحويل الفائض، لأنها قد تكون بسبب معدلات نمو الإنتاجية المختلفة. لقد وثقوا أن التغييرات في شروط التجارة يمكن فهمها بسهولة في سياق ارتفاع الإنتاجية الهولندية وركود أو انخفاض إنتاجية الحبوب البولندية في القرن السابع عشر.

ثالثًا: في نظريته الأوروبية المركزية للتاريخ، لم يول بريزر اهتمامًا كبيرًا للاستعمار والغزو العسكري وتأثيرهما على التكوين الطبقي في معظم أنحاء العالم. كما أغفل أن العديد من السمات المهمة للمناطق الريفية في العصور الوسطى في إنجلترا (الفلاحون غير المقيدون، والإيجار النقدي، ونضالات الفلاحين، وما إلى ذلك) كانت موجودة في نفس الفترة في أجزاء كثيرة من أوروبا وإفريقيا وآسيا. [16]

كينيث بوميرانز، مؤرخ اقتصادي غير ماركسي، جادل بأن إنجلترا ودلتا نهر اليانغتسي السفلي تشتركان في العديد من الخصائص الرئيسية حتى عام 1800، لكن التوسع الاستعماري والعبودية في الأميركتين جعل إنجلترا تمضي قدمًا في تطورها الرأسمالي للنهاية. [17]

علاوة على ذلك، على الرغم من أن مقال بريزر قد وضع الصراع الطبقي على ما يبدو في المرتبة الأولى بين العوامل التي أدت إلى صعود الرأسمالية، فإن كتاباته الأخرى تشير إلى أن نوعًا خاصًا من الصراع الطبقي (في إنجلترا) فقط من شأنه أن يؤدي إلى الرأسمالية. بالنسبة له، كان قدرًا من النضال ضروريًا لتجنب عبودية ثانية، لكن ليس كثيرًا من النضال للدرجة التي تجعل ملاك الأراضي يفقدوا ملكية الأرض [18]. وهكذا، فإن أطروحة بريزر "قلبت نظرية الصراع الطبقي رأسًا على عقب". [19] جادل تحليل بريزر بشكل أساسي في أنه من المؤكد وجود بعض الظواهر (نوع معين من الصراع الطبقي، على سبيل المثال) رافق صعود الرأسمالية في إنجلترا-لذلك يجب أن يكون صعود الرأسمالية راجعًا إلى هذه الأشياء نفسها- إنه نوع نموذجي من المركزية الأوروبية على أساس المنطق الدائري.

مثل وارن، رفض بريزر أهمية الإمبريالية واتهم الماركسيين المخالفين بتقليل "الدرجة التي يعتمد بها أي تطور وطني مهم لقوى الإنتاج على ارتباطه الوثيق مع التقسيم الدولي للعمل". هو لم يرفض فقط الاعتراف بنزح الفائض من العالم الثالث إلى المركز، بل اتهم أيضًا مناهضي الإمبريالية بالتشبث بـ "يوتوبيا الاشتراكية في بلد واحد"، رافضًا التأكيد الماركسي اللينيني على طابع

رودني هيلتون، في رده على سوزي، هو الذي اقترح أن تعظيم الفائض كان المحرك الرئيسي لديناميات الإقطاع [11] وبتعبير هيلتون، "الطبقة الحاكمة بطريقة أو بأخرى ... كانت تسعى جاهدة لتعظيم الربح الإقطاعي، أي الفائض الذي تم الاستيلاء عليه بالقوة من المنتج المباشر، طوال الوقت".

واصل هيلتون توضيح أن هذا التعظيم لم يكن لبيع في السوق، ولكن بشكل أساسي "للحفاظ على مواقعهم كحكام وتحسينها، ضد منافسيهم الذين لا حصر لهم وكذلك ضد أتباعهم المستغلين".

مقالة بريزر معيبة للغاية من ثلاث نواحٍ على الأقل:

أولاً: اتهم بريزر سوزي و الرشتاين بافتراض عملية الانتقال، عوضاً عن عدم وجود الانتقال. وعندما تحدث بريزر عن استحالة تعظيم الفائض في المجتمع الإقطاعي، كانت طريقته ميتافيزيقية الأمر الذي عكس تأثيره بالمدرسة التحليلية في ذلك الوقت. [12].

يفترض بريزر في تحليله أن اللوردات الإقطاعيين لا يمكن أن يكون لديهم دوافع رأسمالية - لأن الرأسماليين فقط لديهم دوافع رأسمالية - لكن هذا النموذج الثنائي الخام، مثل العديد من النظريات الاقتصادية البورجوازية الشعبية، يشير إلى أن الانتقال إلى الرأسمالية حدث على الفور. هذا لا يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة، كما أكد سوزي في رده على بريزر، كان هناك قرنان من الزمان بين نهاية القنانة وصعود الزراعة الرأسمالية، وهو أمر وافق عليه دوب أيضاً. [13]، ومن المفارقات أن هذا يعني أن بريزر نفسه كان عليه أن يفترض الانتقال الطويل بعيداً، كما علق جيمس بلوت لاحقاً، "يتمسك بريزر، مثل بعض الماركسيين الآخرين، بمفهوم صوفي جداً للرأسمالية. يُنظر إلى الرأسمالية على أنها كيان، شيء أساسي. عند وصوله، يكون مكتملاً وكاملاً، كما لو كان إليها ينحدر من جبال الأولمب ليحكم الشؤون البشرية". [14].

ثانياً: فسر بريزر خطأً بعض الأدلة التاريخية الرئيسية. وضح والرشتاين أن العبودية الثانية في بولندا وأوروبا الشرقية كانت نتيجة اندماجها في النظام العالمي لإنتاج الحبوب. في محاولته لرفض دور التجارة، اقترح بريزر أن تصدير الحبوب لم يلعب سوى دور ثانوي في تدهور أوضاع الفلاحين، حيث كانت تجارة الحبوب البولندية السابقة صغيرة نسبياً. وهذه الحجة فحصها كل من روبرت دنمارك وكينيث توماس بعناية، وبرهنا انه على الرغم من أن صادرات الحبوب بلغت ذروتها فقط بعد إعادة التأهيل، إلا أن الهجمات الرئيسية على الوضع القانوني للأقنان وقدرتهم على الاستئناف أمام المحاكم

البؤس الحالي للهنود، وتفصل الهندستان، التي تحكمها بريطانيا، عن كل تقاليدنا القديمة، وعن ماضيها العتيق بأكمله. [23] لكن ماركس في أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر كان لا يزال يأمل إلى حد ما في أن تصرفات بريطانيا قد تؤدي بشكل غير مباشر وغير مقصود إلى تقدم ما في الهند "مهما كانت جرائم إنجلترا، فإنها كانت أداة التاريخ اللاواعية في إحداث تلك الثورة".

ربما كان هذا التفاؤل، الذي تم تضخيمه في إعلان سياسي، مناسباً لوقته. كان الدور التقدمي للرأسمالية لا يزال قائماً قبل كمونة باريس. كما لخص لينين لاحقاً بإيجاز، "كانت الفترة ما بين 1789 و1871 فترة رأسمالية تقدمية عندما كان الإطاحة بالإقطاع والاستبداد، والتحرر من النير الأجنبي على أجندة التاريخ"، لكن العصر الإمبريالي الرأسمالي بعد عام 1871 كان "عصرًا ناضجًا، للرأسمالية الفاسدة". [24] وكما أشار العديد من المفكرين منذ أواخر الستينيات، وعلى الأخص من قبل كيفن أندرسون في ماركس في الهوامش، تطورت أفكار ماركس فيما يتعلق بالاستعمار بدايةً أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر، وخاصة بعد الثورة الهندية عام 1857. ودفعه صعود حركات المقاومة الكبيرة في كثير من أنحاء العالم المستعمر إلى التركيز أكثر على إمكانات الثورة خارج أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. [25]

في رسالته الشهيرة إلى فيرا زاسوليتش في عام 1881، أعرب ماركس عن أن المجتمع الريفي الروسي غير الرأسمالي يمكن أن يكون "نقطة ارتكاز للتجديد الاجتماعي في روسيا". [26]

هنا، من الواضح أن ماركس يختلف مع الماركسيين الأوروبيين مثل برينر ووارن. كما قدم فريدريك إنجلز، في رسالته إلى كارل كاوتسكي عام 1882 الادعاء التالي: "فيما يتعلق بالمراحل الاجتماعية والسياسية التي يتعين على هذه البلدان أن تمر بها قبل أن تصل بالمثل إلى المرحلة الاشتراكية، لا يمكننا اليوم سوى تقديم فرضيات عاطلة إلى حد ما، على ما أعتقد. هناك شيء واحد مؤكد فقط: لا تستطيع البروليتاريا المنتصرة أن تفرض أي بركات من أي نوع على أي دولة أجنبية دون أن تقوض انتصارها من خلال القيام بذلك. وهذا بالطبع لا يستثني الحروب الدفاعية بمختلف أنواعها". [27]

والأهم من ذلك، أن كلاً من ماركس وإنجلز، منذ أيام ثورات 1848، كانا بطوران بوعي رؤية دياكتيكية للتاريخ ويستكشفان العلاقة بين الإمكانات الثورية، والأرستقراطية العمالية، والروابط الضعيفة في أوروبا. يتضح هذا من عملهم مع الرابطة الشيوعية، التي كتب عنها البيان الشيوعي.

الأرستقراطية العمالية المحافظة في المركز والإمكانات الثورية في العالم الثالث.

وبشكل عام سيكون من قبيل المبالغة القول بأن وارن وبرينر، من بين آخرين، تسببوا في نقاش فكري كبير. بالتأكيد كانت هناك مناقشات، لكنها لم تكن كافية بالنظر إلى أهمية القضية. كما لاحظ دنمارك وتوماس، ان عدد قليل من المؤلفين تصدي للهجوم الكبير من برينر [20]. وعلل سلاتر بأن تأثير أطروحة وارن كان مرتبطاً في نهاية المطاف بحقيقة أنه منذ عام 1980، سهّل المناخ السياسي السائد وبشكل كبير رواج المواقف المؤيدة للرأسمالية. [21] في الواقع، وكتب كتابات وارن وبرينر - إن لم تكن جزءاً من- التحول الكبير للثورة المضادة الذي أبطل في النهاية المد الثوري الذي انطلق في أوائل القرن العشرين.

من البيان الشيوعي إلى الأممية الثانية

على الرغم من أن التحولات الفكرية الدراماتيكية التي حدثت عام 1980 بدت هائلة، إلا أنها كانت بمثابة عودة إلى التمرکز الأوروبي الذي لازم الاشتراكيين الغربيين لفترات طويلة سابقة، والذي مثله أولئك الموجودون في الأممية الثانية. باستثناء فترة الانقطاع القصيرة التي بدأت مع لينين وروزا لوكسمبورغ وانتهت بماو والثورة الثقافية. على سبيل المثال كان كل من وارن وبرينر، مهتمين بالانفصال عن "الأفكار الماركسية الحديثة" والعودة إلى الماركسية التي من المفترض أن لديها نظرة أكثر إيجابية لانتشار الرأسمالية.

ما الماركسية التي يتحدثون عنها؟ المقاطع الشهيرة المنتقاة من البيان الشيوعي، التي اقتبسها برينر، عبرت عن تفاؤل كبير بشأن الدور الثوري للرأسمالية:

"إن البرجوازية، بالتحسين السريع لجميع أدوات الإنتاج، وبواسطة وسائل الاتصال الميسرة للغاية، تستقطب الجميع، حتى أكثر الأمم همجية للحضارة. أسعار السلع الرخيصة هي المدفعية الثقيلة التي تقصف بها كل الأسوار الصينية، التي تجبر بها كراهية البرابرة الشديدة للأجانب على الاستسلام. إنه يلزم كل الأمم، تحت طائلة الانقراض، أن تتبنى نمط الإنتاج البرجوازي؛ يجبرهم على إدخال ما يسمى بالحضارة في أوساطهم، أي يتبرجزوا بأنفسهم، وبعبارة واحدة، خلق عالم على شاكلته. [22]

كما هو مقتبس في كثير من الأحيان، يعتقد كارل ماركس أن السيطرة الاستعمارية البريطانية تسببت في أضرار جسيمة للشعب الهندي: "لقد حطمت إنجلترا الإطار الكامل للمجتمع الهندي، دون ظهور أي أعراض لإعادة البناء حتى الآن. هذه الخسارة لعالمهم القديم، مع عدم وجود مكاسب لعالم جديد، تضيء نوعاً خاصاً من الكآبة على

عندما كتب إنجلز مقدمة طبعة عام 1892 من كتاب "حالة الطبقة العاملة في إنجلترا"، اعترف بالتغييرات في قسمين من الطبقة العاملة - عمال المصانع وأعضاء النقابات - حيث نشر الكتاب لأول مرة في عام 1845 [31]. شرح سياساتهم المحافظة على النحو التالي: "إنهم يشكلون أرستقراطية بين الطبقة العاملة؛ لقد نجحوا في فرض وضع مريح نسبياً لأنفسهم، وهم يقبلونه على أنه نهائي". كان هذا هو السبب تحديداً، في رسالته إلى أوجست بيبل عام 1883، رفض إنجلز بشدة إمكانات الحركة الثورية في بريطانيا. "لا تخدع نفسك بأي شكل من الأشكال؛ وتعتقد أن هناك حركة بروليتارية حقيقية تحدث هنا". وحذر بيبل: "لن تظهر حركة عمالية عامة حقاً إلا عندما يشعر العمال بحقيقة كسر إحتكار إنجلترا العالمي". [32] على الرغم من أن الفوائد التي حصل عليها العمال الإنجليز ربما كانت صغيرة بشكل مثير للشفقة، فإن "المشاركة في الهيمنة على السوق العالمية كانت ولا تزال أساس العمق السياسي الثوري للعمال الإنجليز". وهكذا، بدأت الطبقة العاملة الإنجليزية في تشكيل الحزب الليبرالي، والاعتراف بالنقابات والإضرابات، فضلاً عن دعم ظروف العمل الأكثر إنسانية وحقوق التصويت للطبقة العاملة. [33]

كانت هذه الأفكار الهامة تمهد الطريق بالفعل لنظريات لينين عن الإمبريالية والحلقة الضعيفة. بينما كان ماركس وإنجلز يتطلعان طوال حياتهما إلى ألمانيا الأقل تقدماً. كان الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD)

كما علق لينين ذات مرة، "يدعم وجهة النظر الثورية في الماركسية" [34]. ومع ظهور ألمانيا كقوة إمبريالية كبرى، تغيرت الاشتراكية الألمانية أيضاً بشكل كبير.

كان هذا واضحاً بالفعل في صعود إدوارد برنشتاين والتحريرية في الحزب والاممية الثانية. مجهزين بنوع من القدرية يساوي الثورة بالانهيار المقبل للرأسمالية، كان التيار الرئيسي للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني بقيادة بيل وكاوتسكي راضياً عن التنافس على مقاعد في الرايخستاغ قبل اليوم العظيم للثورة الاشتراكية [35].

وبناءً على ازدهار الإمبريالية الألمانية، أصبح النقابيون في الحزب قوى إصلاحية قوية وساد حيادهم السياسي تدريجياً [36]. كان هناك أيضاً نقصاً في التعليم الماركسي في الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وبينما صوت المزيد من الناس للاشتراكية، كان لدى معظم أعضاء الحزب فكرة مختلفة عما يمكن أن تكون عليه الاشتراكية. [37] كان الأعضاء في المناصب والقواعد بالحزب الديمقراطي الاشتراكي في مطلع القرن يشهدون ظروفًا أفضل وكانوا يقرؤون في الغالب الأخبار الرأسمالية وقصص الرحلات وقصص الحرب والغرائب الإثنوغرافية نتيجة التوسع الاستعماري الألماني. [38]

كما يتذكر إنجلز، كانت العصبية تتألف في الغالب من العمال المهاجرين الألمان والحرفيين، ولا سيما الخياطين الذكور. [28] كان هؤلاء العمال المهاجرون في كل مكان، وقد وثق إنجلز أن اللغة الألمانية كانت "إلى حد كبير اللغة السائدة في هذه التجارة" في باريس. على الرغم من تقاليد النقابة والتطلعات المؤثرة في أن تصبح سيداً، تطورت الأفكار الشيوعية تدريجياً بين هؤلاء العمال. كان تنظيم هؤلاء العمال وغيرهم هو الذي بدأ أول حركة عمالية شيوعية ألمانية، بالإضافة إلى "أول حركة عمالية عالمية في كل العصور".

كان تاريخ العصبية الشيوعية الذي سجله إنجلز مفيد بشكل خاص. وعلى الرغم من أن الأنشطة في لندن، فلم تكن الرابطة قائمة على العمال أو النقابات الإنجليزية. لم تكن إنجلترا، الدولة الرأسمالية الصناعية الأولى والأكثر تطوراً، هي التي أنتجت الحركة العمالية الشيوعية. بدلاً من ذلك، كان مركز الثورة الشيوعية العالمية في ألمانيا غير الموحدة بعد، "بلد الحرف اليدوية والصناعة المحلية القائمة على العمل اليدوي". [29]

ذكر ماركس وإنجلز في البيان الشيوعي أن "الشيوعيين يوجهون انتباههم بشكل رئيسي إلى ألمانيا، لأن هذا البلد عشية ثورة برجوازية... لن تكون الثورة البرجوازية في ألمانيا إلا مقدمة لثورة بروليتارية تليها مباشرة".

الطبقة العاملة الإنجليزية على الرغم من ظروفها المادية المتقدمة وتاريخها الطويل من النضال، لم تظهر كقوة رائدة في الحركة العمالية العالمية اللاحقة. في رسالته عام 1870 لاحظ ماركس أن الإمكانيات الثورية للعمال الإنجليز كانت محدودة للغاية بسبب وجود الأطراف البريطانية مثل أيرلندا والتحالف الاستعماري بين العمال الإنجليز والرأسماليين. وعلى حد تعبير ماركس: "العمال الإنجليزي العادي يكره العامل الأيرلندي كمنافس يقلل من مستوى حياته. وفيما يتعلق بالعمال الأيرلندي، فإنه يعتبر نفسه عضواً في الأمة الحاكمة... هذا العداء هو سر عجز الطبقة العاملة الإنجليزية، على الرغم من تنظيمها. إنه السر الذي تحافظ به الطبقة الرأسمالية على سلطتها. والأخيرة تدرك ذلك تماماً". [30]

وإذا كان التماهي مع الأمة الحاكمة يمثل تحيزاً في وقت مبكر، فقد اكتسب لاحقاً أساساً مادياً أكثر صلابة حيث بدأت الأرستقراطية العمالية في الظهور مع الإمبريالية. لقد عزز الازدهار الطويل، وقبول النقابات العمالية، وتحسين الأجور الحقيقية وظروف العمل، وتوسيع نطاق الاقتراع، التحالف السياسي بين الرأسماليين والنقابات والنشطاء الرئيسيين. لقد شارك العمال في الأمم الإمبريالية بشكل متزايد في جزء من ثمار الأرباح الإمبريالية الفائقة نتيجة لنزح الفائض من العالم الثالث.



الفرنسيون والبريطانيون والإيطاليون في التصويت، بينما صوت الألمان، الذين تحكمهم قاعدة الإجماع، لصالح القرار الاستعماري. [46] كانت أصوات الدول غير الاستعمارية هي التي جعلت "قرار الأقلية" يحظى بقبول المؤتمر، لكنه كان تصويماً قريباً جداً بالفعل: 127 مقابل 108. [47]

استمر الانعطاف اليميني للحزب الاشتراكي الديمقراطي والأحزاب الاشتراكية الأوروبية الأخرى بعد المؤتمر الدولي الثاني عام 1907. لم يستغرق الأمر سوى سنوات قليلة أخرى قبل أن تخون الأحزاب الرئيسية؛ الثورة وبشكل علني، وتحذو حذو الحزب الاشتراكي الديمقراطي وتقرر دعم الحرب العالمية الأولى. انهارت الأممية الثانية وسياستها على أرض الواقع.

تبين أن العمال الإنجليز في زمن ماركس والعمال الألمان في زمن لينين غير قادرين على لعب دور قيادي في النضال من أجل الاشتراكية. أصبح من الواضح أن السياسات الاستعمارية والمؤيدة للإمبريالية كان لها سيطرة صارمة على أحزاب العمال والنقابات العمالية الرائدة في البلدان الإمبريالية. من ماركس وإنجلز إلى لينين، كان الاشتراكيون يحاولون دائماً الاستفادة من الإمكانيات الثورية ضد الرأسمالية.

تطورت النضالات الطويلة والشديدة ضد الانتهازية تدريجياً إلى البصيرة اللينينية العميقة بأن الثورة والمجتمع الاشتراكي الجديد لن يأتيا أولاً من مركز الرأسمالية حيث الأرستقراطية العمالية قوية حيث يميل العمال والبرجوازية الصغيرة إلى أن يكونوا أكثر تحفظاً بسبب الإمبريالية. بدأت الثورات الاشتراكية الفعلية في القرن العشرين من الجزء المتخلف من أوروبا (روسيا) وبشكل عام من الجزء المتخلف من العالم (الصين ودول العالم الثالث الأخرى). من حيث قوى الإنتاج، كانت دول أوروبا الغربية هي الأكثر تقدماً، ولكن من حيث السياسة الثورية، كما لخصها ببراعة من قبل لينين في عام 1913، كانت أوروبا متخلفة وآسيا متقدمة. من الطبيعي أن يكون استقلال العالم الثالث، والثورات الاشتراكية، وبالتالي إضعاف الإمبريالية، شرطاً مسبقاً للثورات الاشتراكية في المركز الإمبريالي. التزم اليسار الدولي من سنوات الأممية الشيوعية إلى حقبة ماو تسي تونغ إلى حد كبير بهذا الخط حتى بدأت السياسات المماثلة للدولية الثانية في استعادة مجدها القديم في أواخر السبعينيات.

أليست تلك الدولة أيضاً إمبريالية؟ التناقضات في رواية "الإمبريالية الجديدة"

تلاشت مناقشات الإمبريالية إلى حد كبير ابتداءً من أواخر السبعينيات من القرن العشرين، لكنها عادت إلى الظهور منذ بداية القرن الحادي والعشرين، لا سيما في ظل الأزمة

بصفته نائباً لفترة طويلة عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي في الرايخستاغ، فإن وجهة نظر برنشتاين كانت على الأقل تمثل الجناح اليميني للحزب. رأى برنشتاين أن الإمبريالية شيء جديد، مواز للرأسمالية وتقدمية كان هذا في عام 1900. وبحلول عام 1912، ظل موقفه على حاله إلى حد كبير: كانت الإمبريالية تقدمية أساساً على الرغم من ارتباطها ببعض المصالح الرأسمالية. [39] من وجهة نظر برنشتاين، كانت الإمبريالية البريطانية ديمقراطية، وبالتالي كانت جديرة بالتأييد والمحاكاة، بينما كانت إمبريالية فيلهلمين الألمانية غير الديمقراطية رجعية وخطيرة [40] كان برنشتاين هو من دافع عن السياسة الاستعمارية الاشتراكية سيئة السمعة، والتي أصبحت قضية نوقشت بشدة خلال مؤتمر الأممية الثانية في شتوتغارت عام 1907.

كان مؤتمر شتوتغارت حدثاً مهماً في تاريخ الحركة العمالية العالمية. أشاد لينين بالتمثيل الواسع للمؤتمر: 884 مندوباً من 25 دولة وخمس قارات. [41] على الرغم من أن المؤتمر "يمثل التوطيد النهائي للأممية الثانية... التي تمارس تأثيراً كبيراً جداً على طبيعة واتجاه الأنشطة الاشتراكية في جميع أنحاء العالم"، فقد علق لينين على "السمة الرائعة والحزينة" للاشتراكية الديمقراطية الألمانية مع الأخذ في الاعتبار نقد المنعطف الانتهازي الواضح. [42]

بشكل عام تميز المندوبون الألمان في المؤتمر الدولي الثاني بمحافظتهم وانحرافهم اليميني. كانت النزعة الانتهازية قوية بين مندوبي أوروبا الغربية. وسيطرت المجموعة الاستعمارية، بما في ذلك فان كول من هولندا، وبرنشتاين، وإدوارد ديفيد من ألمانيا، على لجنة الاستعمار. وقدموا "قرار الأغلبية" [43] الذي نص على أن فوائد المستعمرات للطبقة العاملة مبالغ فيها وأن المؤتمر لم يرفض الاستعمار من حيث المبدأ لأنه يمكن أن يعمل كقوة حضارية. [44] على حد تعبير لينين، كان هذا التراجع الكبير عن المبادئ الاشتراكية "فظيماً"، ويمكننا أن نرى أجزاء من هذه التصريحات تظهر مرة أخرى، وإن كانت بطريقة مختلفة قليلاً عن الأطروحات التي طورها وارن وبرينر. علق لينين أن مفهوم السياسة الاستعمارية الاشتراكية (من برنشتاين وآخرين) كان "مشوشاً ميؤوساً منه"، وأوضح أيضاً أن "الاشتراكية لم ترفض أبداً الدعوة إلى إصلاحات في المستعمرات؛ ولكن هذا لا يمكن أن يمثل أي تقاطع مشترك يؤدي إلى إضعاف موقفنا المضاد من حيث المبدأ للغزوات الاستعمارية، وإخضاع الدول الأخرى، والعنف، والنهب، التي تشكل في مجملها سياسة استعمارية". [45]

ليس من المستغرب أن يكون لموقف المندوبين في النظام الرأسمالي تأثير قوي على أصواتهم أثناء المؤتمر. انقسم

أنتج هارفي وآخرون نسخة أضعف من أطروحة برنشتاين/ وارن/ بريزر. وبالتحديد، ربما لا تزال هناك إمبريالية وانتقال فائض من المحيط إلى المركز، ولكن إما أن المركز يستقطب ويجند أعضاء جدد باستمرار، أو يمكن عكس العلاقة الأساسية والهامشية بفضل التطور الرأسمالي. على سبيل المثال، يعتقد هارفي أن نزح صافي الثروة من الشرق إلى الغرب قد انعكس إلى حد كبير في العقود الأخيرة. [55] استناداً إلى مساهمته الخاصة حول الاستغلال الفائض والإمبريالية، قدم سميث نقداً قوياً لإنكار هارفي للإمبريالية. [56] في رده، ادعى هارفي أن النظرية الماركسية التقليدية (الثابتة والصلبة) للإمبريالية كانت غير كافية لفهم تعقيد الرأسمالية. [57]

وعلى كل حال، فإن طريقة هارفي التي اقترحها تتعامل بشكل أساسي مع الفائض التجاري أو نمو الناتج المحلي الإجمالي الأسرع كدليل على الإمبريالية. هذا أمر سطحي واختزالي إلى حد ما، حيث أن الإمبريالية لا تشير إلى النمو السريع أو مكاسب التصدير، ولكن إلى العلاقة بين المركز وبقية العالم. كما هو معروف جيداً، في بعض الأحيان، يمكن أن يكون للمستعمرات أو الأطراف فوائض ضخمة من التجارة، مثل جامايكا بسبب العبودية. فيما يتعلق بمعدلات نمو الدخل، بين عامي 1850 و1900، حافظت دول مثل بولندا وتشيلي على معدل نمو يبلغ حوالي 2٪ من الناتج المحلي الإجمالي للفرد، وهو أعلى بنسبة 100٪ تقريباً من معدل النمو البريطاني أو الفرنسي خلال هذه المرحلة الإمبريالية المبكرة. [58]

هارفي يعرف الإمبريالية على أنها اندماج متناقض لمشروع سياسي قائم على الإقليم وتوسع الرأسمالية عبر المكان والزمان. الجزء الأول يشير إلى منطق إقليمي مجرد وغير تاريخي بينما يشير الثاني إلى وجهة نظر انتشارية للرأسمالية. بدون أي ذكر للعلاقة بين المركز والأطراف أو نقل الفائض، إن الرأسمالية السائلة للعالم المسطح في فهم هارفي لما يسميه الإمبريالية الجديدة هي تقريباً نفس نظريات وارن وبرينر ونظريات الأممية الثانية. [59] بسبب نقطة البداية هذه تحديداً، يسهل على هارفي التعامل مع أي تغيير جغرافي في الأنشطة الصناعية باعتباره المركز المتغير للإمبريالية. على سبيل المثال، يتحدث هارفي الآن عن شرق آسيا كقوة إمبريالية صاعدة، ولكن، كما يشير سميث، كان هارفي يتحدث بالفعل في كتاباته السابقة عن تحول القوة إلى ما يسمى بالدول الصناعية الحديثة مثل الهند ومصر والمجر. [60]

تشير العديد من هذه المناقشات (بما في ذلك مناقشة هارفي) بشكل صريح أو ضمني إلى الصين باعتبارها قوة إمبريالية صاعدة، حتى أنها تنافس الولايات المتحدة في بعض الروايات. لقد أصبح نوعاً من الموضة بين الحزبين، المحافظين والليبراليين، للوقوف ضد ما يسمى

الاقتصادية العالمية الحالية. نشر مؤخرا بحث مهم حول الإمبريالية المتأخرة، أو إمبريالية موازنة العمالة العالمية في ظل رأس مال الاحتكار المالي المعمم، من قبل سمير أمين، وجون سميث، وأوتسا باتنايك، وبرابهات باتنايك، وإيتان سواندي. [48] ومع ذلك، استمر نيجري وهارفي في إعادة إنتاج الجغرافيا السياسية المحافظة القديمة في عبوة مُجددة في مناقشات "الإمبريالية الجديدة".

على سبيل المثال، في كتابهما "الامبراطورية"، جادل هارديت ونيجري بأن الإمبريالية تخلق بالفعل قيوداً على رأس المال وأن على رأس المال التغلب عليها في النهاية. [49] وهذه الحجة هي في الأساس نسخة محدثة من أطروحة برنشتاين/ وارن/ بريزر، التي تشير إلى أن الرأسمالية قد تجاوزت مرحلة الإمبريالية. وحل محلها الإمبراطورية، وهي رأسمالية عالمية أفقية لا مركزية وغير إقليمية. [50]

كما يجادل جون بيلامي فوستر، فإن كتاب هارديت ونيجري هو نسخة يسارية من رواية "نهاية التاريخ"، والتي علبت السياسة الخارجية للولايات المتحدة بمصطلحات ماركسية وما بعد حداثة. [51]

لم يؤسس هارديت ونيجري على عكس وارن استنتاجاتهم على أدلة (تجريبية). في جزء من الكتاب، رفضوا نظرية الإمبريالية بإعادة تفسير الجدل بين لينين وكاوتسكي في العقد الأول من القرن الماضي، بحجة مضللة مفادها أن أطروحة كاوتسكي حول الإمبريالية كانت أكثر انسجاماً مع عمل ماركس. كما زعموا أن لينين يتفق بشكل أساسي مع كاوتسكي تحليلاً حول نزعة الإمبريالية الفوقية، على الرغم من أنه توصل إلى نتيجة مختلفة حول ما ينبغي أن تكون عليه الاستجابة الثورية. بالنسبة لهارديت ونيجري، كان الخيار الحقيقي المتضمن في عمل لينين هو بين الثورة الشيوعية العالمية أو الإمبراطورية (اسم جديد للإمبريالية الفائقة). [52]

إذا وافق لينين على مستقبل رأسمالية عالمية مستقرة، فإن الثورات اللاحقة ستبدو أفعال بائسة لمنع تحقيق الإمبريالية الفائقة. عندما كتب لينين مقدمة كتاب نيكولاي بوخارين الإمبريالية والاقتصاد العالمي لعام 1915، لم يكن قد أنهى بعد كتاباته الأكثر حسماً عن الإمبريالية. وهكذا، كان لينين ينتقد بشكل رئيسي المضامين الانتهازية لإمبريالية كاوتسكي الفائقة. [53] بينما لم يدحض صراحةً تنظير مرحلة جديدة من الرأسمالية بعد الإمبريالية، أشار لينين مع ذلك إلى أن مثل هذه الرؤية، في الممارسة العملية، تعني الابتعاد عن المشاكل المعاصرة. في عام 1916، عندما كتب "الإمبريالية، أعلى مراحل الرأسمالية"، أنكر لينين بوضوح إمكانية وجود مستقبل فوق إمبريالي لأن تفاوت التطور الرأسمالي وتغير القوى النسبية يحظر أي أئتلاف، أو تحالف أو إمبراطورية مستقرة. [54]

الإمبريالية الصينية الافتراضية تعني زيادة هائلة في تحويل الفائض من الأطراف وهو أمر غير محتمل على الأرجح اقتصاديًا وبيئيًا. [66]

الجانب الاكبر من النخب الصينية يدرك أنها استفادت بشكل كبير من التقسيم الحالي للعمل في الاقتصاد العالمي، في نفس الوقت فهم لديهم رغبة قوية في الحفاظ على الوضع الراهن. [67] غالبًا ما يجعلهم هذا الإجماع أكثر حماساً من كثيرين غيرهم للدفاع عن النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة.

باختصار، هناك نسخ حديثة من أطروحة برنشتاين/ وارين/ برينر - التي روجها هارديت ونيجري وهارفي - غير قادرة على تقديم فهم أفضل للأسماوية العالمية. في هذه النظريات، تندمج النضالات ضد الإمبريالية في اطار الصراعات الإمبريالية المؤقتة والأهم من ذلك أنها تشير إلى إحياء سياسة الدولية الثانية التي كانت أصل الفكر اليساري الديمقراطي الاجتماعي منذ القرن التاسع عشر.

عودة لضربات الدولية الثانية

القول بأن بعض البلدان ليست إمبريالية ليس بالضرورة دفاعاً عن الوضع الراهن أو الأوضاع الاجتماعية لتلك البلدان. ولكنه هو الطرح بأن انتقال الفائض والاستغلال الإمبريالي يعمقان التناقضات في تلك البلدان غير الإمبريالية. حتى تلبية الاحتياجات الأساسية للصحة والتعليم للعمال يتطلب اختراقاً اشتراكياً. يمكن لبعض بلدان العالم الثالث - خاصة تلك التي بها طبقات حاكمة ضعيفة قليلة الكفاءة، وكذلك البلدان ذات الموروثات الثورية القوية - أن تشكل الحلقة الضعيفة المحتملة في النظام الإمبريالي المعاصر. في هذه الأماكن تكون نضالات الناس ضد الإمبريالية الأمريكية حقيقية وقد تكون ثورية.

عندما ينكر بعض اليساريين أو يتخلون عن النظرية الماركسية للإمبريالية، تصبح الرأسمالية نظاماً نشطاً ومتطوراً بلا نهاية بدلاً من نظام الانحلال والتطفل. وبالتالي؛ غالباً ما يصبح هؤلاء غير قادرين على رؤية الإمكانيات الثورية في كثير من أنحاء العالم. نظرًا لأن الرأسمالية تبدو لا تقهر وتبدو الاشتراكية والشيوعية بعيدة المنال تمامًا، لذلك فليس من المستغرب أن تتغلغل سياسة الدولية الثانية في هذا الجو العام من خيبة الأمل.

تنطوي السياسة الدولية الثانية المعاصرة على خطين متكاملين من التفكير. أولاً، نظرًا لطول عمر الرأسمالية، يُقال إن أفضل سيناريو للعالم هو الحصول على رأسمالية أفضل. هنا، غالبًا ما يشير إلى تدابير مثل حرية التجمع، وحرية الصحافة، وأنظمة انتخابية متعددة الأحزاب، وتأمين الملكية الخاصة، وغيرها من سمات المجتمع البورجوازي التي غالبًا ما يتم ملاحظتها في بلدان المركز

بالصين الإمبريالية. ومن المثير للاهتمام، أن وزارة الخارجية الأمريكية تؤكد أيضًا على إمبريالية الصين في بياناتها الرسمية. [61] وهذا الإجماع الغريب هو في حد ذاته نتيجة للارتباك والتشويه بشأن مسألة الإمبريالية منذ سبعينيات القرن العشرين.

دعونا نفحص حالة الصين عن كثب. تنطوي الإمبريالية في نهاية المطاف على نقل الفائض من الأطراف إلى المركز الإمبريالي. وعلى الرغم من نموها السريع، لم تكن الصين في وضع يمكنها من جني مثل هذه الأرباح. في دراسة شاملة؛ يشير مانكي لي إلى أنه على الرغم من أن الصين قد طورت علاقة استغلالية مع بعض مصدري المواد الخام، وعلى وجه العموم، تواصل الصين نقل قدر أكبر من فائض القيمة إلى البلدان الأساسية في النظام العالمي الرأسمالي أكثر مما تحصل عليه. [62] أفضل وصف للصين هو أنها دولة شبه طرفي في النظام الرأسمالي العالمي.

كبلد شبه طرفية، لعبت الصين دورًا مكملًا، بدلاً من التنافس كجزء من منظومة تقسيم العمل الدولي. فيما يخص الصادرات، تتنافس الصين في الغالب مع البلدان ذات الدخل المنخفض. يتقاضى العمال في الصين أجور أقل بكثير من نظرائهم في الولايات المتحدة من ذوي المهارات المماثلة، على الرغم من أن الفارق قد تقلص. استنادًا إلى قاعدة بيانات المدخلات والمخرجات العالمية، أظهر سواندي وجامل جونا وفوسنر أن تكاليف العمالة الصينية ظلت حوالي 40 في المائة من تكاليف العمالة في الولايات المتحدة بين عامي 1995 و2014، على الرغم من بعض الزيادة المعتدلة في السنوات الأخيرة. [63] هذا الاختلاف كان بمثابة الأساس لموازنة العمالة العالمية والتبادل غير المتكافئ.

يمكننا أيضًا أن ننظر إلى تصدير رأس المال الصيني إلى الخارج. بلغ تدفق الاستثمار المباشر للخارج كنسبة مئوية من تكوين رأس المال الإجمالي 1.9٪ في عام 2019، بينما كان المتوسط العالمي 6٪. [64] ذهب غالبية هذا الاستثمار إلى هونغ كونج وبعض الملاذات الضريبية، سواء هروب لرأس المال أو إعادة تجميعه كرأس مال أجنبي لدخول الصين مرة أخرى. في حين أن الصين راكمت أصولاً ضخمة في الخارج على مر السنين، فإن ما يقرب من نصفها في عام 2018 من الاحتياطات الأجنبية، والتي تشكل في جوهرها اشداء الصين غير الرسمية بالإمبريالية الأمريكية من خلال الدفع مقابل "امتياز السيادة" للأخيرة. [65]

قد يجادل البعض بأنه على الرغم من أن الصين ليست إمبريالية الآن، فقد تنمو لتصبح كذلك. قد يكون هذا الرأي وثقًا جدًا من قدرة الإمبريالية على استيعاب مثل هذا العدد الكبير من السكان في مركزها. وكما يلاحظ لي، فإن

الإمبريالي. عندما يتم تعريف التقدم (مرة أخرى) بأنه انتشار وتقليد لرأسمالية الولايات المتحدة وأوروبا الغربية يتوحد "التقدميون" بسرعة كبيرة مع الحكومات الإمبريالية في هجماتها ضد دول المحيط (الأطراف) وشبه المحيط (وشبه الأطراف). وفيما أن منظرو الأمم المتحدة لم يعارضوا الإستعمار والإمبريالية من حيث المبدأ، فإن الليبراليون اليوم لا يعارضون من حيث المبدأ العقوبات وعمليات تغيير النظام في العالم الثالث. بالنسبة للعديد من هؤلاء الكتاب، الذين غالبًا ما يزعمون أنهم ماركسيون، فإن الهم الأساسي ليس الإطاحة بالرأسمالية، ولكن التخلص مما يسمى بالرأسمالية الاستبدادية، وهو مصطلح حديث للمجتمع "غير المتحضر".

يركز الخط الثاني في سياسة الاممية الثانية المعاصرة على مسألة الإمبريالية. فإذا اعتبر بعض الكتاب وبكل سهولة أن الصين من بين أولئك الموجودين في الوسط الإمبريالي، فإن الإمبريالية كمرحلة من الرأسمالية تبدو بالتأكيد كابوسًا لا ينتهي. نظرًا لعدم وجود بديل حقيقي، فمن المنطقي اختيار النسخة الأفضل من الكابوس. تمامًا مثل برنشتاين، الذي جادل للتمييز بين الإمبريالية الجيدة والسئية، يدافع الكتاب المعاصرون مثل هارفي أيضًا عن إمبريالية أفضل وإصلاح.

جادل هارفي بأنه على الرغم من وجود حلول أكثر جذرية، فإن بناء عقد جديد (صفقة جديدة) بقيادة الولايات المتحدة وأوروبا، محليا ودوليا، هو موضوع نضال كاف في الوقت الحالي. وفي هذا الصدد، ذهب إلى حد تبرير إمبريالية "الصفقة الجديدة" خيرة، تلك التي يمكن التوصل إليها من خلال نوع من تحالف القوى الرأسمالية الذي تصوره كاوتسكي منذ زمن بعيد. بالنسبة لهارفي، إمبريالية "الصفقة الجديدة" هذه ستكون حميدة أكثر من الإمبريالية السئية التي يقترحها المحافظون الجدد.

استمرت النزعة المحافظة لهارفي في النمو منذ ذلك الحين، وليس من قبيل المصادفة أنه عبر عن وجهة نظر رجعية بشكل خاص في مقابلة أجريت في أواخر عام 2019. وفي المقابلة، قال إن رأس المال أكبر من أن يفشل، موضحًا أن: لا يمكننا تخيل موقف يتوقف فيه تدفق رأس المال، لأننا إذا أغلقنا تدفق رأس المال، فإن 80 في المائة من سكان العالم سيتضورون جوعاً على الفور، وسيصبحون غير قادرين على الحركة، ولن يكونوا قادرين على إعادة إنتاج أنفسهم بشكل فعال. لذلك، لا يمكننا تحمل أي نوع من الهجوم المستمر على تراكم رأس المال. لذا فإن نوع الخيال الذي ربما يكون لديك – اشتراكيون، أو شيوعيون، وما إلى ذلك، ربما عاد في عام

1850، وهو إلى حد كبير، حسناً، يمكننا تدمير هذا النظام الرأسمالي ويمكننا بناء شيء مختلف تمامًا - هذا مستحيل الآن. [69]

مع هذا النوع من التفكير السائد بين الليبراليين والعديد من اليساريين، تقل المقاومة المحلية المحتملة للدولة الإمبريالية الأمريكية. يسلط هذا الضوء بشكل خاص على النزاعات الجارية بين الولايات المتحدة والصين. صورة الصين الصاعدة، الصين الإمبريالية (ولكنها ليست متحضرة تمامًا)، تلي بشكل مثير للاهتمام مجموعات مختلفة في كل من الصين والولايات المتحدة.

لسنوات، كانت وسائل الإعلام القومية في الصين تتفاخر بصين قوية كمحاولة للحد من التشدد بين العمال. ينتقد اليساريون الصينيون بشدة مثل هذه الادعاءات القومية. في الوقت نفسه، نجح التيار السائد في الولايات المتحدة واليمين في إثبات قضيتهم بناءً على دعاية الصين الإمبريالية. يتم استخدام العنصرية المتجذرة والتاريخ المناهض للشيوعية بهدف جعل الصين كبش فداء وإفساد الطبقة العاملة الأمريكية. حتى أن بعض المراقبين اليساريين جادلوا دون أي حس نقدي بأن الصين أصبحت الآن العدو الأول للطبقة العاملة العالمية. نحن نشهد تشكيل حلف مقدس في الولايات المتحدة الإمبريالية يهيمن عليه نمط رجعي من سياسة الاممية الثانية.

حذر برايهات باتنايك من أن تراجع تحليلات الإمبريالية سيعني فقط تقوية الجناح اليميني في بلدان المركز والجنوب العالمي، يساعد على ظهور حركات عنصرية وأصولية ومعادية للأجانب. تزداد أهمية هذه الرؤى العميقة مع اقترابنا من عشرينيات القرن الحادي والعشرين.

اليسار (الغربي) في المركز الإمبريالي يمر بلحظة تاريخية. [70] بدون إعادة الاتصال بالتقاليد المناهضة للإمبريالية، وبدون تحليل دقيق لإمبريالية العصر النيو ليبرالي، من المرجح أن يتراجع اليسار عن ماضيه الثوري في العقد أو العقدتين المقبلين.. والأمر سيان سواء لاتباع الاممية الثانية، أو حتى اتباع تقاليد ماركس ولينين وماو، وهي مسألة حيوية بالنسبة لنا جميعًا.

نشرت بموقع: Monthly review

بتاريخ الأول من مارس عام ٢٠٢١

<https://monthlyreview.org/2021/03/01/the-ideology-of-late-imperialism>



المراجع

1. Prabhat Patnaik, "Whatever Happened to Imperialism?," Monthly Review 42, ↔ .no. 6 (November 1990): 1–7.
2. Paul Baran, The Political Economy of Growth (New York: Monthly Review Press, 1957); Andre Gunder Frank, The Development of Underdevelopment (New York: Monthly Review Press, 1966); Harry Magdoff, The Age of Imperialism (New York: Monthly Review Press, 1969); Arghiri Emmanuel, Unequal Exchange (New York: Monthly Review Press, 1972); Samir Amin, Accumulation on a World Scale (New York: Monthly Review Press, 1974); Immanuel Wallerstein, The Capitalist World Economy (New York: Cambridge University Press, 1979); Walter Rodney, How Europe Underdeveloped Africa (Washington DC: Howard University Press, 1981).
3. ↔ Patnaik, "Whatever Happened to Imperialism?"
4. Bill Warren, "Imperialism and Capitalist Industrialization," New Left Review 81 ↔ .(1973).
5. ↔ Arghiri Emmanuel, "Myths of Development Versus Myths of Underdevelopment," New Left Review 85 (1974): 61–82.

- Philip McMichael, James Petras, and Robert Rhodes, "Imperialism and the
.Contradictions of Development," *New Left Review* 85 (1974): 83–104 ↔ .6
- David Slater, "On Development Theory and the Warren Thesis: Arguments
Against the Predominance of Economism," *Environment and Planning D: Society and
Space* 5, no. 3 (1987): 263–82 ↔ .7
- Robert Brenner, "The Origins of Capitalist Development: A Critique of Neo-
.Smithian Marxism," *New Left Review* 104 (1977) ↔ .8
- Paul Sweezy and Maurice Dobb, "The Transition from Feudalism to
.Capitalism," *Science and Society* 14, no. 2 (1950): 134–67 ↔ .9
- Paul Sweezy, "Comments on Professor HK Takahashi's 'Transition from
.Feudalism to Capitalism,'" *Science and Society* 17, no. 2 (1953): 158–64 ↔ .10
- Rodney Hilton, "The Transition from Feudalism to Capitalism," *Science and
Society* 17, no. 4 (1953): 340–48 ↔ .11
- Louis Proyect argues that Brenner was loosely related to analytical Marxism. ↔ .12
See the very helpful discussion on the Brenner thesis and its political context on his
.webpage, available at columbia.edu
- .Paul Sweezy, "Comment on Brenner," *New Left Review* 108 (1978): 94–95 ↔ .13
- James Blaut, "Robert Brenner in the Tunnel of Time," *Antipode* 26, no. 4 ↔ .14
(1994): 351–74
- Robert Denemark and Kenneth Thomas, "The Brenner-Wallerstein Debate," ↔ .15
.International Studies Quarterly 32, no. 1 (1988): 47–65
- .Blaut, "Robert Brenner in the Tunnel of Time ↔ .16
- Kenneth Pomeranz, *The Great Divergence: China, Europe, and the Making of
the Modern World Economy* (Princeton: Princeton University Press, 2000) ↔ .17
- For example, see Robert Brenner, "Agrarian Class Structure and Economic ↔ .18
Development in Pre-Industrial Europe," *Past and Present* 70, no. 1 (1976): 30–75. This
type of argument is not unique among racist and Eurocentric writings. For example, see
Quamrul Ashraf and Oded Galor, "The 'Out of Africa' Hypothesis, Human Genetic
Diversity, and Comparative Economic Development," *American Economic Review* 103,
no. 1 (2013): 1–46. It follows the exact formula, just replacing class struggle with genetic
diversity. Too much diversity (Africans) means less trust, but too little diversity (Native
Americans) means less innovation. Only Eurasians with the right degree of genetic
.diversity, the argument goes, made it to lead the world
- .Blaut, "Robert Brenner in the Tunnel of Time ↔ .19

- Denemark and Thomas, "The Brenner-Wallerstein Debate" ↔ .20
- Slater, "On Development Theory and the Warren Thesis" ↔ .21
- Karl Marx and Frederick Engels, *The Communist Manifesto* (New York: ↔ .22
Monthly Review Press, 1964), 9
- Karl Marx, "The British Rule in India," in *Marx-Engels Collected Works*, vol. 12 ↔ .23
(1853; repr. New York: International Publishers, 1979), 125–33
- I. Lenin, "Opportunism and the Collapse of the Second International," in *Lenin* ↔ .24
Collected Works, vol. 22 (1916; repr. Moscow: Progress Publishers, 1964), 108–20
- Kevin Anderson, *Marx at the Margins: On Nationalism, Ethnicity, and Non-* ↔ .25
Western Societies (Chicago: University of Chicago Press, 2010). Among the thinkers
who presented the same thesis as Anderson, see: Horace B. Davis, *Nationalism and
Socialism* (New York: Monthly Review Press, 1967), 59–73; Earl Ofari, "Marxism,
Nationalism, and Black Liberation," *Monthly Review* 22, no. 10 (March 1971): 18–34;
Kenzo Mohri, "Marx and 'Underdevelopment,'" *Monthly Review* 30, no. 11 (April 1979):
32–42; Suniti Kumar Ghosh, "Marx on India," *Monthly Review* 35, no. 8 (January 1984):
39–53; John Bellamy Foster, "Marx and Internationalism," *Monthly Review* 52, no. 3
(July–August 2000): 11–22
- Karl Marx, "Marx to Vera Zasulich," in *Marx-Engels Collected Works*, vol. 46 ↔ .26
(New York: International Publishers, 1992), 71
- Frederick Engels, "Engels to Karl Kautsky," in *Marx-Engels Collected Works*, ↔ .27
vol. 46, 320–23
- Frederick Engels, "On the History of the Communist League," in *Marx-Engels* ↔ .28
Collected Works, vol. 26 (New York: International Publishers, 1990), 312–30
- Engels, "On the History of the Communist League" ↔ .29
- Karl Marx, "K. Marx to Sigfrid Meyer and August Vogt," in *Marx-Engels* ↔ .30
Collected Works, vol. 43 (New York: International Publishers, 1988), 471–76
- Frederick Engels, preface to *The Condition of the Working-Class in England*, ↔ .31
1892 English ed., in *Marx-Engels Collected Works*, vol. 27 (New York: International
Publishers, 1990), 257–69
- Frederick Engels, "Engels to August Bebel," in *Marx-Engels Collected Works*, ↔ .32
vol. 47 (New York: International Publishers, 1995), 52–55
- Engels, "Engels to August Bebel" ↔ .33

- I. Lenin, "The International Socialist Congress in Stuttgart," in Lenin Collected ↔ .34
 .Works, vol. 13 (Moscow: Progress Publishers, 1972), 82–93
- Roger Fletcher, Revisionism and Empire: Socialist Imperialism in Germany ↔ .35
 .1897–1914 (London: George Allen & Unwin, 1984), 14
- Carl Schorske, German Social Democracy, 1905–1917: The Development of ↔ .36
 .the Great Schism (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1983), 15, 26–27
- .Fletcher, Revisionism and Empire, 28 ↔ .37
- Fletcher, Revisionism and Empire, 30–34; John Short, "Everyman's Colonial ↔ .38
 Library: Imperialism and Working-Class Readers in Leipzig, 1890–1914," German History
 .21, no. 4 (2003): 445–75
- .Fletcher, Revisionism and Empire, 155 ↔ .39
- .Fletcher, Revisionism and Empire, 157 ↔ .40
- ".Lenin, "The International Socialist Congress in Stuttgart ↔ .41
- ".Lenin, "The International Socialist Congress in Stuttgart ↔ .42
- Lenin, "The International Socialist Congress in Stuttgart"; Schorske, German ↔ .43
 .Social Democracy, 84
- .Schorske, German Social Democracy, 84 ↔ .44
- ".Lenin, "The International Socialist Congress in Stuttgart ↔ .45
- .Schorske, German Social Democracy, 85 ↔ .46
- .Schorske, German Social Democracy, 84–85 ↔ .47
- Samir Amin, Modern Imperialism, Monopoly Finance Capital, and Marx's Law ↔ .48
 of Value (New York: Monthly Review Press, 2018); Utsa Patnaik and Prabhat Patnaik, A
 Theory of Imperialism (New York: Columbia University Press, 2016); John Smith,
 Imperialism in the Twenty-First Century (New York: Monthly Review Press, 2016); Intan
 Suwandi, Value Chains: The New Economic Imperialism (New York: Monthly Review
 .Press, 2019)
- Antonio Negri and Michael Hardt, Empire (Cambridge: Harvard University ↔ .49
 .Press, 2000), 243
- .Hardt and Negri, Empire, xii ↔ .50
- John Bellamy Foster, "Late Imperialism: Fifty Years After Harry Magdoff's The ↔ .51
 .Age of Imperialism," Monthly Review 71, no. 3 (July–August 2019): 1–19

- .Hardt and Negri, *Empire*, 230, 461 ↔ .52
- I. Lenin, preface to Nikolai Bukharin's *Imperialism and World Economy*, in ↔ .53
 .Lenin Collected Works, vol. 22, 103–7
- I. Lenin, *Imperialism, the Highest Stage of Capitalism*, in Lenin Collected ↔ .54
 .Works, vol. 22, 185–304
- David Harvey, "Realities on the Ground: David Harvey Replies to John Smith," ↔ .55
 .Review of African Political Economy, February 5, 2018
- Smith, *Imperialism in the Twenty-First Century*; John Smith, "David Harvey ↔ .56
 .Denies Imperialism," Review of African Political Economy, January 10, 2018
- ".Harvey, "Realities on the Ground ↔ .57
- Calculated based on the Maddison Project database. See Jutta Bolt, Robert ↔ .58
 Inklaar, Herman de Jong, and Jan Luiten van Zanden, "Rebasing 'Maddison': New
 Income Comparisons and the Shape of Long-Run Economic Development" (Groningen
 Growth and Development Centre Research Memorandum 174, University of Groningen,
 .January 2018)
- David Harvey, *The New Imperialism* (New York: Oxford University Press, 2003), ↔ .59
 .26
- ".Smith, "David Harvey Denies Imperialism ↔ .60
- For example, see "Secretary Michael R. Pompeo at a Press Availability," U.S. ↔ .61
 .Department of State, July 15, 2020
- Minqi Li, "China: Imperialism or Semi-Periphery?" (working paper, ↔ .62
 .Department of Economics, University of Utah, 2020)
- Intan Suwandi, R. Jamil Jonna, and John Bellamy Foster. "Global Commodity ↔ .63
 .Chains and the New Imperialism," *Monthly Review* 70, no. 10 (2019): 1–24
- Based on the World Investment Report 2020, the United Nations conference ↔ .64
 .on trade and development, unctad.org
- ".Li, "China ↔ .65
- ".Li, "China ↔ .66
- Thus, China has become a leading defender of globalization in recent years. ↔ .67
 The Chinese state sometimes even preaches the benefits of the current U.S.-led world
 to the United States. For example, see 乐玉成,人民日报人民要论: 牢牢把握中美关系
 .发展的正确方向, *People's Daily*, September 7, 2020

- .Harvey, The New Imperialism, 209–11 ↔ .68
- David Harvey, “Anti-Capitalist Chronicles: Global Unrest,” Democracy at Work, ↔ .69
.December 19, 2019
- The socialists in the periphery and semiperiphery also face serious challenges, ↔ .70
.which deserve a separate discussion

بريطانيا في عهد إليزابيث الثانية: وهم استثناء يهم بالأفول

سعيد محمد

رغم عديد العواصف والحروب وتقلبات الأيام
وكثرة المنتظرين على مقاعد الاحتياط في
ترتيب ولاية العرش.

نجاح كانت ترجمته العملية
ديمومة نظام حكمها الملكي
القروسطي الغامض -الذي لا
يتوفر على دستور مكتوب
وتنتقل فيه السلطة

بوراثة الدم داخل سلالة
ألمانية الأصول ويخدم فيه
الجيش الملك (ة) لا الوطن -،
حاملًا لنخبة غير مستقرة
سايكولوجياً، متشرية
بالعنصرية وعقدة التفوق
الكاذب تجاه كل الآخرين
استعصى عليها الشفاء من
نوستالجيا مجد الإمبراطورية
التي كانت لا تغيب عنها
الشمس. في موازاة ذلك، فإن
ذات فترة السبعين عاماً، كانت

على مستوى الشعب البريطاني، مرحلة عقم
شعبي عن الفعل، وإهدار متكرر لفرص
التغيير، وسلسلة من فشل متتابع في كسر
الهيمنة الطبقيّة للنخبة الحاكمة، واخفاق
مخجل للشعوب الملحقة في اسكتلندا وويلز
وإيرلندا الشماليّة بتحقيق استقلالها عن لندن،
وخضوعاً تاماً لسياسات العبث الاقتصادي
والسياسي والعسكري والقضائي التي مارستها
حكومات جلالة الملكة من وينستون تشرشل
إلى بوريس جونسون، وحولت البلاد إلى إقليم
ملحق بالإمبراطورية الأمريكية ومقاولاً لها من
الباطن في الحروب والاستخبارات وفي تقسيم
العمل الدولي، ومغسلة أموال قذرة هي
الأكبر في كل العالم.



إن سيرة حياة ملكة بريطانيا التي احتفلت
لتوها بالذكرى السبعين (1952 – 2022)
لتوليها عرش المملكة
المتحدة (إضافة وقتها
إلى مكانة رأس الدولة
في كندا وأستراليا
ونيوزيلاندا وجنوب
أفريقيا وسيلان -
سيريلانكا- والباكستان،
ورأس الكنيسة
الأngleكانية في العالم*،
ورئيسة منظمة
الكومونويلث**) تبدو
شديدة التداخل بتاريخ
البلاد التي تحكمها منذ
نهاية الحرب العالمية
الثانية -أو يسمى عند
المختصين بمرحلة
"بريطانيا ما بعد الحرب"-،
حتى يمكن الرّعم بأنه لا
يمكن وضع سيرة تامّة
لإحداهن -أي الملكة والمملكة- دون الأخرى.

ومن موقعنا ولحظتنا، تبدو السيرة المهنيّة
لإليزابيث (الثانية)، التي تبلغ من العمر الآن 96
عاماً (ولدت 1926)، أشبه ما تكون بأوديسة
اغريقية مديدة ذات وجهين نقيضين، لكن
متلازمين: إذ نجت الملكة في نهايتها- بكل ما
تمثله من نظام سياسي واجتماعي- فيما
المملكة، سفينتها، لم تصل إلى ميناء آمن. لقد
نجت سليلة أسرة وينسور شخصياً- وبما
يتجاوز محض البقاء البيولوجي- في الاستمرار
متربعة على قمة هرم السّلطة في بلد متقدّم
مادياً، لسبعة عقود متتالية، ودون مسائلة،

معشعشعاً في ذهن النخبة البريطانية الحاكمة طوال السبعين عاما التالية ولم ينته بحفل اليوبيل البلاتيني بداية هذا الشهر، وتصوّفت كل الحكومات البريطانية المتعاقبة بناء عليه، دون أن يبذل ولو أحدها شيئاً من الجهد للتعامل مع الواقع كما هو. وقد كان لذلك الوهم دوماً مترتبات مادية انعكست على طبيعة الخيارات الاستراتيجية التي أقدمت عليها النخبة في المراحل المختلفة إن لناحية المشروع الاقتصادي -التخلي عن التصنيع الثقيل والتحوّل إلى الخدمات وتبييض الأموال-، أو الدّور العسكري -كفرقة خاصة تابعة للجيش الأمريكيّ في حروبه الكثيرة من أفغانستان والعراق إلى ليبيا وسوريا وما بينها كما في حرب الفوكلاند دفاعاً عن جزر محتلة تافهة من أملاك الإمبراطورية الغاربية فيما وراء البحار-، أو التموضع السياسي -كحصان طروادة أمريكيّاً داخل أوروبا وتالياً في (بريكست) هروباً من مسالة محاكم الاتحاد الأوروبي عن تجاوزات النخبة البريطانية في أنظمة الضرائب وتبييض الأموال وحقوق الإنسان-، أو النهج القضائي -بقوانين تحمي تغوّل أثرياء العالم وتحمي المافيات وتسمح بتسليم البريطانيين لمشيخات الخليج والولايات المتحدة وتعيد اللاجئين إلى بلادهم أو إلى راوندا التي بالكاد خرجت من أسوأ حرب أهليّة في التاريخ-.

أول نتائج تلك المترتبات لم تتأخر في الظهور بعد حفل التنصيب، وكانت نصيب الفشل الذريع للعدوان الثلاثي على مصر في السويس 1956. لكن تلك (الصفحة -الدرس الذي لا ينتهي) كما سماها أنتوني ناتينغ وكأثها لم تكن كافية لوقف إدمان النخبة على أفيون الاستثنائية البريطانية بأي شكل، ولم تستفد الأمة من أجواء الركود الاقتصادي الجارف في السبعينيات والاستقطاب الطبقي الحاد في الثمانينيات لإعادة ترتيب تموضعاتها في نسق براغماتيّ جديد، وفشل الشعب كليّة في إطلاق ثورة ثقافيّة رغم التغييرات الاجتماعية

نودي بإليزابيث الثانية ملكة في فبراير 1952 وأجري حفل تنصيبها في يونيو 1953، الذي بث وقتها لأول مرّة على الهواء مباشرة كصورة بريطانيا الجديدة ما بعد الحرب. لم يكن في ذلك الحفل الباذخ أيّ شيء عقلائي أو معتدل يعكس وضع المملكة التي لم تعد إمبراطوريّة وفقدت بعد حربين عالميين مكانتها كقوة عظمى، بل مزيج وقح من الطقوس القروسطيّة لملوك الحق الإلهي والاستعراض الإمبريالي الفارغ. لقد كان هروبا بانساً لنخبة تدير بلا قيود دولة أوروبيّة متوسطة الحجم من اللحظة وإمكانات المستقبل نحو أمان ذكريات ماضي الهيمنة عندما كانت "حدود بريطانيا تنتهي فقط عند سقف جبال الهمالايا" - على حد تعبير هارولد ويلسون أحد رؤساء الوزارة السابقين -، وإعلاناً صاخباً عن إطلاق وهم جماعيّ ضخم عن مكانة استثنائية خاصة لهذه بريطانيا في العالم، أقرب ما يكون إلى الوهم المعولم حول شخصية بابا نويل مع تباين قدرة الوهمين بالطبع على دفع المؤمنين إلى ممارسة القتل.

لكن ذلك كله لم يكن سوى تجاهل صلف للواقع. لقد كُلفت الحربين العالميتين - وكنتهما كان خيار النخبة البريطانية التورط فيهما وتوسيع مسرحيهما - المملكة الكثير على صعيد الموارد والبشر والنفوذ، وتحولت بحكم انكماش قوتها الاقتصادية واعتمادها على الدّيون الأمريكيّة والتحاقها بعضويّة حلف شمال الأطلسي إلى مجرّد مركز اقليميّ طرفيّ تابع للإمبراطورية الأمريكية الصاعدة، وبدلاً من صورة التكاذب عن مجتمع اللوردات وسباقات الخيل وصحون الخزف الملون بالأعلام والتيجان الملكيّة، كان المجتمع البريطاني الحقيقيّ يعيش بشكل متزايد في مدن مكتظة بالموظفين والبروليتاريا الصناعيّة التي تكافح لتسديد فواتير الخدمات الأساسية السيئة أصلاً.

هذا الوهم الجماعيّ عن الاستثنائية البريطانية الذي أطلقه حفل التنصيب ذاك، استمر

الماليناس (فولكلاند تسمية بريطانية) من جيش الأرجنتين - وإن تم ذلك عملياً من خلال البحرية الأمريكية -، ومن ثم إطلاق جرثومة العداء لأوروبا التي ما لبثت وأخذت شكلها النهائي في عملية إنهاء عضوية بريطانيا في الاتحاد الأوروبي (بريكست) مع نهاية العقد الثاني للقرن الحالي.

على أن الجزء الأهم من سيرة الملكة والمملكة في السبعين عاماً لم يكن على مسرح السياسة والحرب والقضاء، بقدر ما كان في سياق تفكيك البنية الاقتصادية القائمة على التصنيع وذلك في إطار المشروع الأمريكي النيوليبرالي لتقسيم العمل العالمي، وتحويل البلاد إلى مشروع مغسلة هائلة لأموال نخب العالم الفاسدة بجوار منظومة توظيف غير منتجة تقتصر على تقديم الخدمات البنكية والترفيه والسياحة الجنسية والإعلام وتجارة التعليم والاستثمار في العقارات، وهي عملية أعطت النخبة المساحة لانعاش وهم الاستثنائية البريطانية بتوسيع تمثلاته المادية من فضاء السياسة والعسكر إلى مساحة المضاربات المالية والاستثمار كذلك. المرحلة انتهت بدورها كما في حرب السويس بصفعة، كانت هذه المرة الانهيار المالي في العام 2008، وسداد المليارات -التي تبخرت في يوم وليلة على يد مهرجي النخبة الماليين- من أموال دافعي الضرائب وعلى حساب حياة أضعفهم، ومستقبل أولادهم.

والطريف أن إعادة تموضع الاقتصاد تلك تمت في عهد حكومة من يسار جلالة الملكة - والمثير للسخرية ماركسياً- بقيادة توني بلير، تاجر أوهايم الاستثنائية البريطانية المشهور الذي باع روح المملكة للشيطان مرتين أثناء توليه المنصب التنفيذي الأهم في البلاد: أولى بتسليم المقاليد الاقتصادية للمملكة كلية لبرجوازية سيتي -حي المال في قلب العاصمة لندن دون قيود تقريباً، وثانية

الهائلة التي رافقت تلك المرحلة، وكل ما حدث هو أن النخبة الأرستقراطية الطابع والبرجوازية التقليدية استوعبتا البرجوازية الصاعدة - بفضل تحرير الأسواق- وتحالفتا معاً لتحديد الطبقة الوسطى عديمة الطموح الوطني من خلال توفير السيولة المالية لها عبر بطاقات الاعتماد والديون البنكية السهلة، ولتثبيت الطبقة العاملة في مكانها عبر السياسات والإجراءات وبمحض القوة إن لزم الأمر، مع تجويف اليسار الراديكالي وانهاكه من خلال اختراقات منظمة أمنية وفكرية للنقابات والأحزاب والتنظيمات.

ربما كانت مارغريت تاتشر -رئيسة وزراء بريطانيا في الثمانينيات من القرن الماضي-، أول من مثّل خطراً حقيقياً على الملكة والسلالة الحاكمة من خلال ثورتها النيوليبرالية وحملتها الصليبية لـ "تحرير السوق"، إذ فتحت الأبواب لتورّم الطبقة الوسطى بسلوكياتها الاستهلاكية المتأمركة التي لا تقيم وزناً كبيراً لقيم العراقة والتراث القديم كما تمثلها إليزابيث الثانية. وبدت تاتشر، المرأة الحديدية المرتمية في الحزن الأمريكي، قادرة على بث نبض من العداء للأرستقراطية التقليدية والنظام الطبقي المغلق في البلاد، فاصطدمت بالكنيسة الأنجليكانية (النسخة القومية من الكنيسة) بشأن السياسات الاقتصادية، ومع الملكة بشأن "الكومونويلث"، حتى قيل وقتها أنّها كما أوليفر كرومويل معاصراً -إشارة إلى القائد الإنجليزي الذي أطاح بالملكية لفترة وجيزة وأقام مكانها جمهورية وإن لم تعمّر طويلاً -، ولكنّها تاتشر في النهاية لم تمس بامتيازات الأثرياء -بمن فيهم الملكة والسلالة والكنيسة-، واشتركت هي ذاتها (وخليفاتها الباهت تلميذها جون ميجور) في ترويج وهم الاستثنائية الجماعي خلال التسعينيات عبر تقديم "بريطانيا العائدة أو الصاعدة" كقصة نجاح اقتصادي مقابل جمود اقتصادات الجيران -ألمانيا وفرنسا بالذات-، واستعادة جزر

بالأثرياء، لم تكن لتتسبب حتى في تملل الشعب لإقصاء بوريس جونسون رئيس الوزراء من منصبه -ولو لمصلحة زميل له من نفس الحزب- بعدما تأكد احتقار الرئيس وزمرته لقوانين العزل القاسية التي فرضها على المواطنين.

وها النخبة البريطانية اليوم، مع اقتراب عهد اليزابيث الثانية عن الأفول -بحكم القدر البيولوجي وحده- مستمرة في اعتناق وهمها الكبير ونكران الجلي، فتتهرب من واقع البلاد الممض وأزمته الخانقة لتحترف ببوبيل الملكة البلاتيني بذات البذخ الاستعراضي السخيف الذي رافق حفل تنصيبها الأول، وفي وقت تتخرط فيه بلا منطوق في حرب أمريكية كبرى ضد روسيا (والصين)، بينما الأغلبية الشعبية تعيش على فتات الأجور في مهن غير منتجة أو حقيرة، وتتوسع دائرة الفقر يومياً لتبتلع المزيد من العائلات والأطفال، وتتزايد الهوة وانعدام المساواة في الأجور إلى مستويات تعود إلى عصور الإقطاع القديم، ويعجز جيل بأكمله عن تحقيق ما كان ممكناً قبل عقود من الاستقلال عن والديه وتأسيس عائلة جديدة وشراء منزل بل وحتى دفع فواتير الخدمات بانتظام، مع انغلاق شبه محكم لآفاق الترقى الاجتماعي، وانتشار الجرائم والمخدرات في قلب أحياء العاصمة والمدن الكبرى مع عجز شبه كلي عن مواجهاتها لا اجتماعياً ولا أمنياً، فيما تستمر أوسع عمليات اغتصاب الخدمات العامة من نقل وصحة وتعليم عبر خصصتها بالقطعة تحضيراً لبيعها في النهاية إلى مصالح رأس المال الأمريكي المعولم.

ولعل هذا الأفول القريب للعهد الحالي -المجد للبيولوجيا-، وتردي سمعة السلالة بعد تعدد الفضائح وانكشاف بلاهة الوارثين يكون بمثابة فرصة أخرى تاريخية الأبعاد أمام الشعب البريطاني لكسر حلقة وهم الاستثناء المكلفة تلك، ورفع الستار المخملي المسدل على

بتسليم مقاليدها العسكرية إلى الأمريكي ليخوض تحت رايته حرباً ذات دوافع صهيونية وأطماع امبريالية ضد العراق (2003) دمرت الدولة الوطنية هناك وأطلقت فوضى عسكرية واجتماعية كلّفت المشرق العربي برمته -وما زالت- ملايين الشهداء والجرحى والمشردين. وفي المرتين، لم يكن بلير في نهاية الأمر -ورغم استفادته مالياً على المستوى الشخصي- سوى واجهة الملكة وذراع نخبتها الموهومة بالاستثناء الذي اكتسب من بغداد (والبصرة لو تذكرن) لون الدّم القاني. وفي الحقيقة، فإن الملكة بشكل ما مدينة بإنقاذ موقعها لتونني بلير تحديداً، بعدما انحازت الطبقات الوسطى والشعبية بشكل ساحق أثناء ولايته لـ "ملكة القلوب" كما أطلق عليها، الليدي ديانا سبنسر، والتي كان تغييبها وطريقة تعامل الملكة معها حرياً باتخاذ خطوات عملية لإنهاء عهد اليزابيث الثانية، أقله لمصلحة ملكية رشيقة أقرب للناس وأقل تكلفة. لكن بلير بحكم انحيازاته استقصد تفويت الفرصة وتمويه الحدث، ومنح السلالة الفسحة للتعافي واستعادة الثقة بالذات مجدداً.

كذلك نجحت النخبة في امتصاص النقمة الشعبية بعد صفقة 2008 وإنقاذ مصالحها والملكية مجدداً من خلال مسرحية الديمقراطية، فسقط يسار جلالة الملكة بالانتخابات (بلير وخليفته غوردن براون)، وسلّمت مفاتيح إدارة البلاد لحزب الأثرياء المحافظين دون أن يتغيّر ثمة من شيء. إذ تبنت حكوماته المتتالية سياسات تقشف قاسية، وضمّرت القيمة الفعلية للأجور المجمّدة أصلاً، وتردى مستوى الخدمات العامة والبنية التحتية، لكن ذلك كلّه لم يكن كافياً لإيقاظ الشعب الموهوم. بل إن صفقة جديدة بسبب سوء إدارة النخبة الحاكمة لجائحة كوفيد 19 وأدت لعدد هائل من الوفيات (ما يزيد عن 150 ألفاً) وينسب مضاعفة بين الفقراء والأقليات مقارنة

فضائع النظام الملكيّ ونخبته العنصريّة
الجشعة، والبحث عميقاً عن صيغة تعايش
وطني جمهوريّ تكفل دوراً بريطانيا واقعيّاً
على الساحة العالميّة في إطار استقلال ولو
جزئي عن الإرادة الأمريكيّة، وعلاقات ايجابية
مع الشعوب المجاورة من منطلق النديّة،
وحدوداً دنيا للمساواة الاجتماعيّة بين
المواطنين. وبغير ذلك، فإن النّخبة دون شكّ
بصدد الاعداد لحفل تنصيب جديد خلال وقت
قريب، تجدد من خلاله هيمنتها على العقول
والبلاد والعباد معاً ربما لبقية القرن.

*استقل الانكليز بكنيستهم القوميّة في عهد
الملك هنري الثامن، واضطهد الكاثوليك الذين
بقوا على ولائهم لكرسي البابا بروما. وفي
العهد الإمبريالية كانت الأنغليكانية تمشي يداً
بيد مع الاستعمار البريطاني وأصبح لها أتباع
من سكان المستعمرات فيما وراء البحار يفوق
عددهم اليوم عدد أتباعها في بريطانيا نفسها.

** الكومونويلث كان الشكل الذي تمخض عنه
خيال النخبة البريطانية لتغطية علاقتها
بمستعمراتها السابقة بغلاف عصري يليق
بالعهد الملكي الجديد لبريطانيا ما بعد الحرب
العالميّة، لكنه بقي دائماً قشرة فارغة، وقضى
نحبه تدريجياً بداية من التسعينيات دون أن
يعبأ به أحد، ليتحوّل إلى مجرّد فولكلور زخرفيّ
آخر وإن كانت بعض المستعمرات السابقة ما
زالت تقر بالملكة إليزابيث الثانية رئيسة فخريّة
لها.

الخبز والمدفع

عادل سمارة

حديث د. عادل سمارة في الندوة التي عقدتها اللجنة الشعبية للتضامن مع الاتحاد الروسي في مركز بوتين الثقافي في مدينة بيت لحم يوم الجمعة 24 حزيران 2022

تحرر وطني ضد الاستعمار وضد التبعية والتبادل اللامتكافئ واحتجاز التطور، وخاصة حين يكون بلد ما كالوطن العربي مقوداً من أنظمة عدوة للأمة ملخص دورها تجويف الوعي لتجريف الثروة ليذهب معظمها إلى أيدي المركز الإمبريالي. وبذا تكون هي من حيث دورها وأدائها بمثابة إمبريالية على وطنها لخدمة الإمبريالية الأم.

هذا التحشيد الغربي/المركز يؤكد جوهر السياسة الإمبريالية الغربية بوجود بقاء روسيا ضعيفة على الأقل سواء كانت شيوعية أو رأسمالية، لأنها برأيهم طامعة في احتلال أوروبا، رغم أن الوقائع لا تشي بذلك وخاصة إثر نهاية الحرب الإمبريالية الثانية حيث كان بوسع الجيش السوفييتي اكتساح كامل غرب أوروبا في أسبوعين، طبقاً لتقديرات خبراء غربيين طبعاً، ومع ذلك تقاسم السوفييت النصر مع الغرب الإمبريالي نفسه. هذا مع العلم أن عدوان النازية ضد روسيا كان أيضاً بتحريض وتمويل وتسليح من الغرب الرأسمالي نفسه.

أما نجاح أنظمة الغرب في تجنيد الشارع ضد روسيا سريعاً، فذلك يؤكد:

- أننا لا زلنا في عصر الدولة القومية البرجوازية بنزعتها الاستعمارية، استعماراً قديماً أو جديداً، وتحديداً بمعنى هيمنة ثقافة ومن ثم مصالح الطبقة الرأسمالية على بقية الطبقات الاجتماعية

اخترت أن أعنون هذا الحديث بـ "الرغيف قبل المدفع"، بناء على تأثير الحرب الدفاعية الروسية على صعيد عالمي في المركز والمحيط على حد سواء، إذ أوضحت أزمة كوفيد 19 ومن ثم الحرب الأخيرة أن من ينتج/يملك الرغيف هو في وضع أقوى وخاصة إذا امتلك المدفع.

إن اتساع نطاق ونوع ودرجة المشاركة في هذه الحرب يعطيها بجدارة وصف حرب عالمية ثالثة، بغض النظر عن عدم وحدة أدوات أو ميدان الصراع، وهذا قاد إلى تجاوز كونها مجرد حرب دفاعية روسية في مواجهة عدوان علني ملموس وصل حدودها.

لافتٌ في هذه الحرب أن الغرب جند شعوبه سريعاً ضد روسيا مما يؤكد نجاح التعبئة والتحشيد الطبقي البرجوازي الرسمي، بدايةً الأمريكي وفي ذيله الأوروبي، بأن روسيا عدو لأوروبا وأن هذا العدو إذا ما قوي فبالتأكيد سوف يكتسح أوروبا، ولعلها فزاعة منذ أيام نابليون بونابرت. هذا التحشيد، مقروناً بالاصطفاف والتأييد، يعيد إلى الأذهان وصف ماركس للقومية كسلاح في يد البرجوازية في مرحلة ما من التطور الرأسمالي الأوروبي، وبالطبع في حقبة الدولة القومية. وهنا وجوب تنبّه القارئ حين يشاهد "هيل/أو تمرير رسالة" فضائيات عربية تقرر القومية بالشوفينية، غافلة أو متغافلة عن أن القومية هي حركة



وتسخيرها لخدمة مصالح رأس المال، أي كما أشرنا لما كتبه ماركس عن أوروبا منذ قرن ونصف.

- ولا يزال راهناً تنظيرُ لينين عن انتهازية النقابات العمالية في الغرب وخضوع قياداتها لرأس المال، أي شراؤها، ولكن الآن بتوسع الفرجار، عن انتهازية مختلف الطبقات، انتهازية المجتمع المدني الغربي الذي يعلم أن رفايته جرى تمويلها إلى حد كبير من "فائض القيمة التاريخي" (كما كتب أنور عبد الملك)، وأن تبادلها للامتكافئ اليوم مع المحيط هو لصالحها برجحان مزعج؛ ولذا، فإن بروز قطب آخر يلجم جشع الغرب يجب أن يُمنع ولو بالقوة. وهذا يعني أن المسألة ليست عصبية قومية أو اختلال ألوان، بل مصالح اقتصادية تتم ترجمتها في أوساط الطبقات الشعبية في الغرب كوعي ملتبس فتشعر هذه الطبقات وكأنها شريك حقيقي للبرجوازية.

في وسع المرء أن يرى بوضوح أن هذا الهيجان الإعلامي، بتأثيره على الشارع الغربي، هو المعنى الحقيقي للشمولية، شمولية السوق وشمولية العداء لغير الغربي وشمولية الهيمنة على الوعي الشعبي في البلد الواحد. هي شمولية تزداد قبحاً حين لا تكون لها أسانيد حقيقية واقعية. لذا، لا غرابة أن تشعر أنت بالازدراء لهذا التحول القطيعي في الغرب وراء الطبقات البرجوازية وإعلامها.

على ضوء هذا الاصطفاف الغربي ضد روسيا، يتساءل المرء:

هل اعتقد الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفييتي أن روسيا لن تنهض؟ يبدو، إلى حد كبير، أن الجواب هو نعم، وخاصة لأن تدمير الاتحاد السوفييتي كان هائلاً كما لو كان نووياً. وربما

كان ذلك التدمير هو أول تدمير لدولة عظمى بغير وسيلة الحرب، بل بهدم القلعة من الداخل. وهنا لا نقصد وجود خونة بل ما حصل أن من كانت الطبقة لهم هم الذين تخلوا عنها حيث اقتنعوا أنها وصلت حدها ولم تعد دولتهم، هذا موقف الطبقة العاملة. فهل كانت لهم؟! والمفارقة أن تفكيك الدول على يد حزب الطبقة العاملة أفرز طبقة رأسمالية، وحتى أولغارشية، أي أن الطبقات الشعبية هي الخاسر الأكبر.

هل اعتقد الغرب أن روسيا سوف، أو يجب أن، تترسمل ولذا أدخلها السوق الرأسمالية ومنظمة التجارة العالمية معتقداً أنها ستكون رأسمالية من الدرجة الثانية التي لا تنافس الغرب؟! الغرب؟!

وعليه، هل اعتقد الغرب أنه حصر روسيا في نطاق تحويلها إلى مصدر للمواد الخام ومخزن للمواد الخام والمواد الغذائية، ولذا أوقفت بلدان مثل ألمانيا توليد الطاقة من الفحم ومن المفاعلات النووية وتمهلت أو عدلت عن تصنيع الطاقة النظيفة حيث كل هذا مربح وأقل كلفة.

وبغض النظر عن مدى كون الغرب في حالة من اطمئن على تقييد خصمه فنام، أو من اعتقد أن الخصم لم يعد في وسعه إعادة تركيب أنيابه، أو من اعتقد أن في روسيا نفسها أولغارشية روسية وصه/يهودية تتحكم بسياسة البلد وتجره نحو الغرب، إلا أن ما حصل هو أن سلاسل التوريد قد توقفت. ورغم أن هذا أضر بروسيا، لكن ضرره لم يكن قاسياً وواسعاً، خاصة حيث تمكنت روسيا من ضبط ضخ أو تقنين الطاقة إلى أوروبا بشكل مدروس كما يبدو على أساس يومي. والشيء نفسه فيما يخص الصادرات الروسية الأخرى، سواء بناء على انتقائية التوريد الروسي أو المقاطعة الغربية لهذه المادة أو تلك وبهذا القدر أو ذاك. ينطبق هذا على النيكل والبلاديوم والتيتانيوم وغاز النيون المستخدم في صناعة أشباه الموصلات، كما على الفحم والنفط والغاز.

لكن ماذا عن اعتقاد وسياسة روسيا بعد يلتسين

هل أدرك يلتسين متأخراً أنه أخذ روسيا إلى الهاوية بما هو لبرالي أو كما يوصف، بأنه لا يصحو، فاختر بوتين لقيادة روسيا، أي لم يختر أياً ممن كانوا حوله في خصخصة ورسملة الاقتصاد وتسهيل تحويل الثروة إلى المصارف الغربية... الخ، والذين على يدهم تدهور الوضع الصحي وجاعت البلد وأذلت بقصد. وقد يجوز لنا القول إن تفريغ روسيا من أكبر عدد من سكانها، ربما بحرص في تنفيذ هذه السياسة أكثر من الحرص على نهب الثروة نفسها؛ أي أن الهدف اقتلاع من يُنتج الثروة - العنصر البشري، أياً كان بقصد تسهيل احتلالها. يكفي أن ملايين الروس غادروا الوطن وتكفي الإشارة إلى المصطلح المؤلم بتسمية النساء المهاجرات بـ "فراشات الليل".

هل روسيا بوتين رأسمالية على النمط الغربي أم رأسمالية لا يسمح لها الغرب بأن توازي كنفه. لذا، قيل فوراً إن بوتين لم يغادر العقلية السوفييتية، بمعنى دور قوي للدولة في الاقتصاد مما يعيق تغول الملكية الخاصة.

ويبدو أن كل هذا حصل في سياسات أوروبا وأمريكا بناء على يقين في أنه بوسعهم وضع روسيا في موقع تابع أو نصف تابع، نصف مركز ونصف محيط وهذا مريح لهم ومريح. فكل هذا الاطمئنان إلى عدو مفترض لا يحصل إلا إذا توصل عدو العدو إلى قناة بأن عدوه، أي روسيا، تحت السيطرة.

أما التفسير الآخر، فيقوم على شقين:

الشق الأول: وهو أن الاستراتيجيين في الغرب يعلمون أن احتمال صعود روسيا والصين أمر وارد

الشق الثاني: رغم ذلك، لم يستطيعوا لجم الشركات متعددة الجنسية من دخول روسيا والصين مما زاد قدرتهما الإنتاجية، فهذه الشركات ترى وطنها حيث تربح وليس حيث وُلدت.

لذا، كان اندماج روسيا في السوق العالمية عامل اعتماد متبادل بينها وبين الرأسماليات في المركز، حيث اعتمدت شركات غربية متطورة إلى درجة عالية على توفير شبه الموصلات والغاز والنفط لأوروبا وحتى أميركا.

لكن هذا الاعتماد كان خبيثاً؛ فمن جانب، كان الاعتماد على موارد كثيرة من روسيا، ولنقل الغاز مثلاً الذي لا يُستفاد منه فقط في الصناعة والتدفئة والطبخ... الخ، بل إن الزراعة في أوروبا هي زراعة صناعية تحتاج للطاقة والأسمدة المصنعة. لكن إلى جانب هذا، أصر الغرب على الاحتفاظ بالناتو وعلى عدم ضم روسيا إليه وهذا يؤكد أن هدف الغرب كان إبقاء روسيا رأسمالية من الدرجة الثانية اقتصادياً وإنتاجياً، وأن تصبح مطوقة عسكرياً وصولاً إلى نهب ثرواتها، وإن أمكن اقتحامها وتجزئتها كما الوطن العربي؛ وهو الأمر الذي لو حصل، لكان بوتين مثل أمير قطر أو رئيس مصر! لذا، واصل الغرب عدوانيته ضد روسيا حيث لم يكتف برفض عضويتها بل وصل إلى حدودها!

وإذا كان الهدف من رسملة روسيا حقيقياً، فالسؤال باق برسم الإجابة الروسية حول طلب دخول الناتو: هل كان حقيقياً أم اختبارياً لمعرفة توجهات الغرب تجاه مستقبل روسيا؟ أما إجابتنا، فتتعلق بأبعد من هذا: أي قرار روسيا التركيز على القوة المسلحة حتى أكثر من مواقع الإنتاج ربما بمفهوم أن القوة الاقتصادية تغني عن الجوع بينما الحامي لها وللناس والوطن هي القوة المسلحة. ليس غريباً أن يكون بوتين قد أخذ وجوب التفوق التسليحي عن أمريكا أيزنهاور.

قد يقول البعض إن الإنفاق العسكري التسليحي هو هدر لأنه يمتص قوة العمل ولا يولد فائض قيمة، وهذا صحيح عموماً إذا قرأناه محصوراً في اقتتال المدافع بين الدول، ولكن وراء الحرب في العادة هناك بشر /طبقات لها مصالح بالحرب تنهب إذا انتصر غيرها مما يجعل الحرب:

- الحرب إهلاك الطبيعة، إهلاك ثروة بالمعنى الإنساني.

- واستثمار إستراتيجي خادم للتراكم بالمعنى الرأسمالي المتوحش.

صحيح أن الاستثمار في السلاح ليس إنتاجاً بمفهوم القيمة الاستعمالية إنسانياً، لكنه يجمع نقيضين في صراع الرأسماليات:

- قيمة استعمالية لحماية البلد

- وقيمة تبادلية في السوق الدولية مما يعطيه إلى حد ما صفة ريعية.

وهذا الدور هو الذي يبرر الإنفاق الإئتلافي على السلاح في عالم الصراع بين الدول القومية التي تقودها المصالح التطبيقية لرأسماليات متعددة من حيث مستوى التطور ومتصارعة مع بعضها بسخونة أو أقل

ويبدو أن سلطات روسيا بعد يلتسين ركزت تحالفها مع الرأسمالية إنتاجية التوجه في منافسة مع الأوليغارشية المتجهة غرباً حتى الآن.

وهنا قد نسمي روسيا ب "رأسمالية الدولة" التي كما يبدو لم تتمكن من تدجين الأوليغارشية المصرفية المرتبطة بالغرب بعد.

المهم، أنه لم يكن خافياً على روسيا ما بعد يلتسين أن الغرب يريد روسيا تابعة ومصدراً لموادّ خام (درجة وسطى من احتجاز التطور) وسوقاً لمنتجات الغرب، ومصدر توفير عمالة محلية في الشركات الغربية التي تدفقت على روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

من المهم الإشارة هنا إلى أن المصرف المركزي في فترة الاتحاد السوفييتي كان تحت سيطرة الدولة، كما هو المصرف المركزي في الصين الشعبية حتى اليوم، بخلاف مختلف المصارف المركزية في العالم حيث ترتبط بالبنك الاحتياطي الأمريكي الذي يزعم أنه ليس مصرفاً مركزياً ما جعل شبكة المصارف المركزية في العالم بمثابة سلطات مستقلة وموازية لحكومات بلدانها تُديرها الولايات المتحدة. فعلى سبيل المثال، حاول بوتين تأميم المصرف المركزي الروسي بعد خصصته في فترة يلتسين، لكن مختلف الأحزاب هناك رفضت ذلك، بما فيها حزب بوتين، وهذا يشير إلى سيطرة الأوليغارشية المالية هناك. (انظر عادل سمارة: صين إشتراكية أم كوكب اشتراكي، 2022) أما عن قوة حكام المصارف المركزية، فحاكم مصرف لبنان الحالي يحكم لبنان أكثر من الرئيس الذي لا يستطيع إقالته.

هل دخول منظمة التجارة العالمية تأكيداً لتوجه روسيا للنظام الاقتصادي الرأسمالي؟ نعم، ولكن كما يبدو مع الحفاظ على درجة من تدخّل الدولة فيما هو أبعد من السياسة الكينزية ومن هنا اقتراب وصف "رأسمالية الدولة" من الدقة.

مسببات الحرب:

يرى لينين أن الرأسمالية، حتى بدون مرحلة الإمبريالية، هي توسعية وبالتالي متحاربة بالضرورة، وهذا ما أكده رده على كارل كاوتسكي الذي تخيل أن الإمبريالية نقلت الرأسمالية إلى حالة التصالح أو ما أسماه "ما فوق الإمبريالية". وقد يكون كاوتسكي قد أخفق في فهم عبارة ماركس في وصفه للرأسماليين أحياناً بـ "تآخي اللصوص"، أي غاب عن كاوتسكي "اللصوص" واحتفظ بـ "التآخي"!

فالرأسمالية، سواء التجارية أو الصناعية- أي حتى قبيل مرحلة الإمبريالية، هي استعمارية عدوانية مدفوعة بوجوب تصريف فيض الإنتاج عبر التوسع الجغرافي، أي البحث عن أسواق ثم الاقتتال على السوق وهو اقتتال أخذ الطابع المسلح طبعاً، ولكن الاقتتال الاقتصادي البيئي حتى في البلد الرأسمالي الواحد، أي التنافس الذي إنتهى إلى الاحتكار وحتى الاحتكار المعمم (سمير أمين)، على صعيد معلوم.

لقد تمكنت رأسماليات المركز من تحويل الكوكب إلى قطاع عام رأسمالي معلوم تتحكم به في الأعلى رأسماليات المركز ممثلة بالشركات متعددة القومية وفي الأدنى رأسماليات المحيط المكثفة بحصة اقتصاد التساقط Trickle-down Economy

وهنا ربما يقع قرار قادة هذا القطاع المعولم بوجوب لجم رسمة روسيا.

وإذا كانت روسيا الحالية قد أعطت الأولوية للسبق التسليحي، فذلك أسوة برأسماليات المركز (أو مواجهة لها) مالكة القطاع العام الرأسمالي المعولم التي احتفظت بالنااتو بعد غياب نقيضه!

وأبعد من ذلك، زحف النااتو إلى حدود روسيا متجاهلاً ما اتفق عليه خطياً مع جورباتشوف، قاتل الاتحاد السوفييتي، بأن لا يتقدم النااتو إنشأً واحداً عما كان عليه وضعه في أوروبا

عشية تفكك الاتحاد السوفييتي. وإذا كانت من عبرة هنا، فهي أن كاوتسكي كان حالماً في ألطف وصف له!

وفي حين كتبت روسيا الكثير من الاحتجاجات للطغم الرأسمالية الحاكمة في الغرب رافضة لتوسع النااتو، لم تحصل على أية استجابة ولا حتى اقتراح حوار. وهذا سبب تدارك روسيا الأمر وشن حرب دفاع عبر أوكرانيا وليست تماماً حرباً ضد أوكرانيا!

التوقيت الروسي للحرب الدفاعية:

يبدو أن التوقيت الروسي للبدء في الحرب الحالية كان دقيقاً بمعنى:

أولاً: اليقين بأن الغرب الإمبريالي/المركز عدو دائم لها بشكل خاص، سواء كانت روسيا رأسمالية أو اشتراكية. وهو بالمفهوم الماركسي عدو لأية تنمية مستقلة لكل بلد في الكوكب، حيث تحدد هذا المركز سياسة أو مشروع إحتجاز تطور مختلف بلدان العالم. والاحتجاز لا يعني محو التطور بل تضبيب تطور الغير بما يخدم متطلبات أو منطق عمل وأداء وتطور المركز.

ثانياً: إذا صح السبب الأول، فهذا يعني أن الغرب، كعدو لروسيا، لاحظ أن روسيا تتجه لتكون مركزاً رأسمالياً، لا محيطاً ولا تابعاً، لذا لا بد أن يحتجز تطورها لكي يتلاءم مع منطق مصالحه، وبالتالي لا بد أن يحرر نفسه من اعتماده في مجالات اقتصادية حساسة غدت روسيا مصدرها. ويبدو أنه تبين أن تحرير نفسه هذا لم يعد ممكناً بالسيطرة على الاقتصاد الروسي ولا بتوجيهه طبقاً لمنطق حاجة الغرب له، ولا بالقوة العسكرية المباشرة، الأمر الذي دفع المركز إلى تطوير ذاتي لبدائل أو الحصول عليها من بلدان تابعة.

قد يرى البعض أن هذه السياسة هي التي ذهب إليها المركز بعد اشتعال الحرب. نعم بعد الحرب، ولكن لا يمكن للغرب أن يحاصر روسيا عسكرياً من غير أن يتوقع رداً روسياً سواء بحرب عسكرية أو اقتصادية. ولذا، نعتقد أن

حرب بسمات جديدة متحولة ومتعددة الأشكال دون تسميتها حرباً عالمية:

ربما هذه أول حرب في التاريخ قوامها ريعي وعامل الانتصار فيها ريعي أيضاً وهذا ما خدم روسيا من حيث المبادأة والتماسك خلال الحرب.

لذا يجوز لنا القول بأنها حرب ريعية أساساً بين روسيا والولايات المتحدة وبأن ساحتها الكوكب وبشكل مباشر أوروبا وكلما طال أمدّها أثرت على المحيط أكثر.

فالولايات المتحدة تحاول كسر ظهر روسيا من ناحية تفريغ دور وتأثير قدراتها الريعية باعتبارها عامل قوتها الرئيسي في الحرب، والولايات المتحدة هي المنافس الرئيسي لروسيا من حيث توفر مصادر الريع نفسها، أي النفط والغاز وإلى حد ما القمح.

وهذه المواد/المنتجات حيوية للعالم بأكمله بغض النظر عن درجة وجدة الحاجة. فقد اتضح الوجه الريعي للحرب في الأمر الأمريكي لأوروبا بالوقوف ضد روسيا بممارسة الشق الآخر لهذه الحرب وهي حرب الحصار التي أعطت الوضوح الكافي لحرب الريع.

والحصار هنا، أو ما يسمى العقوبات، ليس نسخة بالضبط عن المقاطعة الاقتصادية التي فرضها المركز ضد الثورة البلشفية مثلاً، أو حصار كوبا أو كوريا الديمقراطية الشعبية أو سوريا؛ فهذه المستويات من المقاطعة قُرضت من قبل دولة أو عدد محدود من الدول، أما حرب العقوبات/عدوان العقوبات فهي معلومة بمعنى أن المركز يحاول فرض حصار معلوم على روسيا ويُعاقب أية دولة لا تلتزم بذلك. وبهذا المعنى يكون دور روسيا هو الرد على حرب العقوبات بالدفاع الريعي.

الغرب ذهب باتجاه تقييد أية قدرة روسية على التحكم بقطاعات معينة في اقتصاده واحتكارها. يبقى هذا لما قد تكشف عنه الأيام لأن ما كان يُدرس هو انخراط روسيا في السوق العالمية.

لذا، استغلت روسيا هذه اللحظة المناسبة للحرب والتي كلما تأخرت كلما كانت أكثر حرجاً، أي قبل وصول الغرب إلى ما يريد.

قد يسأل البعض: ولكن، لماذا اعتمد المركز على مواد خام أساسية في مكونات إنتاجه الحساس؟ ربما لأنها متوفرة في روسيا فقط أو أن الكم الأكبر والسعر الأفضل هو من روسيا. فالشركات، في العادة، تأخذ في الاعتبار عامل الربح أولاً وصولاً إلى التراكم اللامحدود، وهنا تكون حالة التفارق/التحالف بين الشركات الكبرى وسلطة الدولة، أي بين الريعي والإستراتيجي. من هنا رحلت صناعات أمريكية كثيرة إلى الصين وإلى روسيا، وهو ما حاول ترامب تقييده بالإجراءات وليس بالقوة.

لسنا هنا بصدد توقع كيف ستتجه الرأسمالية الروسية وخاصة بعد الحرب. لكن، تفيد الإشارة إلى أن كثيراً من الليبراليين الغربيين، اقتصاديين وسياسيين، راهنوا على أن روسيا والصين سوف تنتهيان على شاكلة الرأسمالية الغربية. هذا بغض النظر عن صحة أن الغرب كمركز استفاق على تطور الصين باتجاهها الحالي. ولكن حتى هذا التصور غاب عنه، أو غيّب، بأن المركز لا يريد تطور أحد على شاكلته وصولاً إلى قامته.

ما يهمنا هنا أن كثيراً من الليبراليين يرون أن سبب الحرب هو توسع الناتو، مثلاً جون مارشماير والبرالي الصهيوني نوعاً تشومسكي وهؤلاء يؤيدون الرأي القائل بأن روسيا لن تستسلم للأمر الواقع. وربما لهذا أعطت روسيا السبق للتفوق السلاحي.

- أو المغامرة في حرب كسبها
صعب

هناك سمات هامة أخرى لهذه الحرب، فهي وإن بدأت عسكرية بحدود ذخيرتها كفاءة ريعية، فهي حرب متنقلة متنوعة تبادلها بدأت عسكرياً، ثم تخفيفية لصالح القمح والنفط...الخ ثم حصارية واسعة أو معلومة.

من جديد هذه الحرب أن روسيا تقاتل بشكل مريح، أي لا تستعجل إنهاء الحرب، وأمريكا تُطيل الحرب أيضاً منتقلة من التضحية بآخر أوكرانيا للتضحية بآخر أوروبي وصولاً إلى تعميم الوجود المعيشي عالمياً، والإطالة هنا بخلاف الحروب المعهودة.

هي حرب معلومة هذه المرة وليست فقط عالمية، وخاصة من حيث المشاركة.

ففي الحربين الإمبرياليتين الكبيرتين السابقتين، كانت الدول الكبرى تقتتل على أرضها وأرض الآخرين الذين لا ناقة لهم ولا جمل ولا دوراً فاعلاً، بل خشبة أداء للآخرين. لكن في هذه الحرب هناك مشاركة من بعيد، وبأشكال مختلفة أي غير عسكرية: وقوف أوروبا بقضها وقضيضها مع أوكرانيا رغم عدم دخولها حرباً عسكرية مباشرة، مكتفية بغمر أوكرانيا بالأسلحة إضافة إلى تفللتها للاستغناء عما تستورده من روسيا.

أما الصين، فتشارك في الحرب دبلوماسياً واقتصادياً في توسيع التبادل بل حتى الاستيراد من روسيا، وكذلك الهند إلى حد ما، والتي لم يكن من المتوقع دخولها الحرب من باب تنشيط الاستيراد من روسيا. وتشارك فنزويلا وإيران الحرب لأنهما رفضتا تمرير النفط إلى عروق أوروبا رغم الإغراءات. كما أن كوريا الديمقراطية تشارك من باب الجاهزية للقتال. وحتى الدول الصغيرة شاركت في الحرب كما فعل الكيان الصهيوني في دعمه لأوكرانيا المتحالفة مع النازية الجديدة، وبالتالي كشف الكيان كذوبة عدائه الثأري من النازية. ومن الدول الصغيرة لتوانيا أيضاً إذ

منذ الأيام الأولى للحرب الدفاعية الروسية ضد الناتو في أوكرانيا بدأت الولايات المتحدة حرب الريع ضد روسيا حيث أرغمت أوروبا على التوقف ما أمكن عن شراء الغاز والنفط الروسيين، سواء بهدف تسويق الغاز والنفط الأمريكي أو جلبهما من حيث أمكن لأوروبا ذلك بدعم سياسي أمريكي لها. كما قادت الحرب إلى تعطل أكثر لسلاسل التوريد ما أزم الوضع المعيشي وخاصة في بلدان المحيط.

وكما أشرنا، فإن المبادأة الروسية كانت دقيقة من حيث التوقيت، فلم يتمكن المركز من إهلاك الاقتصاد الروسي بوقف مداخيله من تسويق منتجاته الريعية بل انقلب الأمر إلى:

- إضطرار أوروبا لمواصلة شراء
المنتجات الروسية

- واضطرارها للدفع بالروبل

وطبعاً مواصلة التسوق على صعيد عالمي وعلمانية، أي أن أوروبا أصبحت في وضعية شراء وحرب مع روسيا معاً. وهذا عاد على أوروبا بفواتير مدفوعات أعلى وعلى روسيا بمداخيل أعلى، الأمر الذي أعطى هذه الحرب سمة جديدة وهي النمو أو عدم الاضطراب خلال دخول الدولة في حرب معلومة من حيث تنوع الجبهات.

كما دخل الشق التسليحي في الحرب بمعنى الريح وليس بمعنى الصدام، حيث أن توفر القوة السلاحية الروسية لجم عدوان الناتو ولكنه منح أمريكا فوائد عالية عبر توريد الأسلحة لأوروبا. وبذا ربحت أمريكا من ريع الغاز والنفط والسلاح، أو بمعنى آخر أعادت احتواها لأوروبا بشكل فعلي وهذا الانتصار في الجانب الأمريكي توازى مع انتصار روسي، سواء في الميدان أو في ميدان حرب الريع وتجاوز الحصار وإلا لكانت روسيا أمام أحد خيارين:

- إما القبول بالأمر الواقع

الشبابية بزعامة الحزب الشيوعي اليوناني، انظر موقع كنعان الإلكتروني منذ بداية الحرب). والمثير للشفقة توقيع ثلاثة أحزاب شيوعية عربية على هذا البيان وهي السوري والجزائري والفلسطيني، وهي أحزاب لبلدان هي ضحية الذبح الإمبريالي الغربي الأشد! لعله أمر لافت تبادل المواقع بمعنى: يسار يدعم الناتو، ووصول أحد أحزاب اليسار إلى وصف الناتو بأنه يناضل ضد الإمبريالية كما فعل حزب ديلنك الألماني، بينما وقف لبراليون دفاعاً عن موقف روسيا!

وماذا عن المجتمعات؟

كما يبدو من الإعلام، فقد نَحَّت المجتمعات الأوروبية لصالح مواقف الأنظمة هناك والتي جرى احتواؤها من قبل الولايات المتحدة. وهنا نحتاج إلى تفسير لهذه الحالة القطيعة! فليس من السهولة بمكان إطلاق الوصف القطيعة على حالة تبدو قطيعة.

قد يكون للثقافة العنصرية دور، وللتحشيد الثقافي الإعلامي البرجوازي عن خطر روسيا الموروث منذ الحرب الباردة دور في هذا الاستسلام للبرجوازية. وربما هناك دور لكون الوجد المعيشي لم يتعمق أكثر.

ولكن هناك دور مصلحي هام في هذا الموقف وهو أن الرفاهية التي تعيشها أوروبا مثلاً تدفعها للوقوف ضد روسيا لأن تفوق روسيا وبروز أي قطب جديد سوف يلعب دوراً في تصاعر التغلغل، بل السيطرة الغربية عموماً على أسواق العالم، وهذا لا بد أن ينعكس سلباً على الصادرات الأوروبية والغربية عامة مما يؤثر على مستوى المعيشة فيها لمختلف الطبقات وليس بنفس النسبة.

وهذا يردنا بالطبع إلى الماضي الاستعماري الأوروبي للعالم، أما اليوم فيتضح عبر علاقات التبادل اللامتكافئ بين المركز والمحيط. وربما يفسر انتهازية مجتمعات "المجتمع المدني"

قامت بقطع طريق السكة الحديد إلى إقليم كالينغراد.

كما اتخذت دول أوبك مواقف هنا أو هناك. فقد أثبتت إمارة قطر ولاءها للغرب في مواجهة روسيا نفطياً وغازياً مع تسهيلات من تركيا التي بدورها رغم مناوراتها لم تخرج عن نطاق ارتباطها بالمركز. ورغم المماحكات السعودية الشكلية فهي منحازة للغرب، وخاصة عبر علاقتها بمصر التي انخرط نظامها في التوافق النفطي والغاز المسال مع الكيان والاتحاد الأوروبي. كما لا يبدو أن موقف الجزائر وسطي، فزيادة بيع نفطها لإيطاليا لا يستره خلافها مع إسبانيا.

وانقسم العالم فكرياً كذلك:

لا بد من ملاحظة أولية هنا هي انحطاط الإعلام الغربي، وخاصة الرسمي، إلى مستويين لم يكن ليتوقعهما الكثيرون من البسطاء في العالم:

- الضخ الإعلامي المطلق ضد روسيا ومحاصرة رسمية لمختلف أجهزة الإعلام كي لا تقول ما لا يُفرض عليها، وهذا يبين أن الليبرالية هي شمولية جوهرية وأن مرونتها تتوقف عند أول خلاف معها.

- انحدار الإعلام الغربي إلى درجة تصنيع أكاذيب رخيصة من مستوى سرقة مشاهد من الحرب المعلومة ضد العراق والمستوطنة الرأسمالية البيضاء الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، ونشرها كما لو أنها في أوكرانيا.

أما فكرياً، فكما أشرنا إلى نقد لبراليين للمركز بما هو البادئ بالحرب ضد روسيا، وقف الإعلام الغربي وتبعه العربي الرسمي والصهيوني ضد روسيا. على أن اللافت هو انقسام الحركة الشيوعية، إن جاز لنا تسميتها في هذه الفترة بـ "الحركة" إلى قسم كبير وقف جوهرياً ضد روسيا بينما حاول تمويه موقفه بوصف الحرب بكونها بين إمبرياليتين! (بيان عشرات الأحزاب الشيوعية والمنظمات

أيدي الأوليغارشية الروسية واليهود الصهاينة والتي تميل بشكل رئيسي لصالح الاندماج في الغرب الرأسمالي الاحتكاري، وهذا سبب وقوفها ضد قرار روسيا بالدفاع عن نفسها في حربها في أوكرانيا، كما أن الكثير من الشركات متعددة الجنسية نقلت فروعها إلى روسيا، أي أن روسيا جرى استغلالها من هذه الشركات (الشركات متعددة الجنسيات الغربية).

إن دور الدولة في روسيا يلجم تمركز الإنتاج ورأس المال على أساس الملكية الخاصة ما يضعف الدور الاحتكاري لرأس المال الخاص الإنتاجي ويلجم، ما أمكنه ذلك، الأوليغارشية المصرفية.

2- "دمج رأس المال المصرفي مع رأس المال الصناعي، وإنشاء" رأس مال مالي "على أساس هذا" رأس المال المالي"

وهذا ينطبق على الأوليغارشية المصرفية في روسيا، وكما نعلم فإن ستة من البنوك السبعة الكبرى في روسيا مملوكة لليهود الصهاينة وهذه الأوليغارشية المصرفية أكثر ولاءً للغرب مما هي لروسيا نفسها. وهذا يبين عدم اندماج رأس المال الصناعي والمصرفي في وضع احتكاري على صيغة رأسمال مالي كما هو في المركز الإمبريالي الغربي. ولو كان هذا الاحتكار قد حصل لما كان يوسع الدولة/السلطة مخالفة مصالحها وتوجهاتها بالقيام بحرب الدفاع.

3- "يكتسب تصدير رأس المال على اختلافه عن تصدير السلع أهمية استثنائية".

لم تصل روسيا إلى دور أو مستوى تصدير رأس المال، وحتى تصديرها للسلع يكون في شكل ريع، أي القمح والنفط والغاز والسلاح. في الواقع، هذه المنتجات تمكّن روسيا من تحدي الإمبريالية في الحرب الحالية. صحيح أن النظام رأسمالي ويقوم بتصدير القمح والنفط

تجاه الأمم الأخرى؛ فمختلف الطبقات في الغرب مستفيدة من التبادل اللامتكافئ بين المركز والمحيط، وإن بدرجاتٍ وهذا يبيّن مواقف هذه المجتمعات من حقوق وحرّيات الأمم الأخرى.

وعلى العموم، فإن شعوب العالم الثالث متعاطفة مع روسيا، بينما معظم أنظمة العالم الرسمي منحازة للغرب، سواء بالتبعية أو المصلحة، وهذا ينطبق على الشعب العربي المؤيد لروسيا بينما تلعب الأنظمة العربية دور الخادم لسيدتها الإمبريالي مما يؤكد تقييماً بأن هذه الأنظمة تلعب دور بديل للإمبريالية ضد شعبيها.

حرب بين مَنْ و مَنْ:

هناك حرب دائرة، بمعزل عن الاختلاف في الأسباب والمواقف، ولكن ما طبيعة الأنظمة المتحاربة بمعنى:

- هل هي حرب بين إمبرياليتين كما يزعم التروتسك، وكثير من الماويين والشيوعيين

- هل هي بين رأسمالية والإمبريالية

- هل هي حرب وطنية كما تراها روسيا

قد نختصر الحديث في تعريف لينين للإمبريالية ليكون هذا رداً على اشتياك يساريين ضد شيوعيين حيث يصف الأول الحرب بأنها بين إمبرياليتين، وبالطبع يرتكز كلا الطرفين على تعريف لينين للإمبريالية، وهو على النحو التالي:

1- "تطور تمركز الإنتاج ورأس المال إلى درجة عالية أدت إلى نشوء احتكارات لها دور حاسم في الحياة الاقتصادية".

قد تكون هناك احتكارات كبرى في روسيا، ولكن هناك في الواقع الإنتاج ورأس المال في

- وبينما لم توافق روسيا على أن تكون شريكاً أدنى في السوق العالمية، ينوي الغرب استغلالها وإبقاءها في موقع أدنى.

"أظهر الاستطلاع أيضاً نتائج مشابهة لقائمة Fortune 500

عندما يتعلق الأمر بالشركات الصينية: فهي آخذة في الارتفاع. ارتفع عدد الشركات الصينية، أو ظل كما هو، كل عام منذ إطلاق التصنيف قبل عقدين من الزمن، مع وجود 350 شركة (بما في ذلك من هونج كونج) في القائمة، بزيادة 26 عن العام الماضي. وفي الوقت نفسه، بينما أضافت شركتين فقط، لا تزال الولايات المتحدة هي السائدة من حيث عدد الشركات المدرجة، حيث تضم 590 شركة. ويشكل كل من اليابان (217) والمملكة المتحدة (77) وكندا (61) وكوريا الجنوبية (58) وفرنسا (57) وألمانيا (51) والهند (50) وتايوان (43) بقية المراكز العشرة الأولى، البلدان التي تضم أكبر عدد من المشاركين في الترتيب."

(Global Data, Economic Data, World's Largest Companies 2021)

نلاحظ أنه ليس لروسيا حصة بين هذه الدول. صحيح أن الأمر ليس بعدد الشركات الأكبر فقط، ولكن يظل هذا مؤشراً لا يخلو من إضاعة.

5- "اكتمل التقسيم الإقليمي للعالم كله بين أكبر القوى الرأسمالية".

وهنا يصل لينين إلى البعد الجغرافي. ففي حين أن التقسيم الإقليمي للعالم بأسره بين أكبر القوى الرأسمالية قد اكتمل منذ عهد لينين، حدثت تغييرات كثيرة بعد ذلك. اتخذ التقسيم أشكالاً أخرى، أي التبادل غير المتكافئ، لكن روسيا لم تكن خلال فترة الاتحاد السوفييتي ولا بعده، ولم تكن أبداً جزءاً من التبادل غير المتكافئ إما بسبب اقتصادها الصغير أو لأنها ليست منتجاً كبيراً للصناعات

والغاز والسلاح، ولكن هذه ليست حالة اندغام رأس المال الصناعي مع المصرفي للوصول إلى سيطرة رأس المال المالي.

4- "تكوين اتحادات رأسمالية احتكارية عالمية تشترك في العالم فيما بينها".

حاولت روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، كنظام رأسمالي، دخول الناتو لكنها قوبلت بالرفض. وتم قبول روسيا كعضو في منظمة التجارة العالمية وفقاً لقواعد منظمة التجارة العالمية نفسها، لكن روسيا لم يكن لها نصيب في الاتحادات الرأسمالية الاحتكارية الدولية، بل كما يبدو جرى الضغط بحيث يتم احتواء تطور روسيا طبقاً لمنطق مصالح المركز. أي حتى لو كانت روسيا قد بلغت ذلك المستوى من تطور اتحادات رأسمالية احتكارية، فإن المركز يرفض التشارك معها أو دخولها ناديه.

وهنا يمكن للطرف، المدّعي بأن روسيا إمبريالية، القول بأن رفضها من قبل المركز لا يعني أنها لم تصل هذه الصفة الإمبريالية، ولكن هذا يصح إذا ما تم الإثبات أنها بلغت تلك الدرجة من الاحتكار الموازي والمنافس للإمبرياليات الغربية- إمبرياليات المركز.

ولكن في الواقع، أصبحت روسيا مزوداً للمواد الخام لأكثر الاحتكارات الصناعية الغربية التقنية تطوراً. إن موقعها هو دون المستوى، لكن الاعتماد الغربي على بعض المواد الخام الروسية الأكثر أهمية وحساسية وضرورية منح روسيا خلال الحرب اليد العليا من خلال خفض صادرات النفط والغاز ووقف تزويد الغرب ببعض المواد الخام الحساسة، مثل النيكل والنيون، غاز، تيتانيوم، بلاديوم ... إلخ. يثبت هذا الشكل من المشاركة الروسية في السوق العالمية الرأسمالية أن:

- روسيا قررت أن تصبح نظاماً رأسمالياً

- روسيا فتحت اقتصادها على الشركات الغربية

والمحيطية فيها ويقود إلى تبني التنمية بالحماية الشعبية وصولاً إلى فك الارتباط. وهذا يصب لصالح روسيا والصين ومعسكرهما البريكس أكثر أو أقل.

- سيؤدي تراجع مستوى المعيشة في الغرب نفسه وتدهور أحوال الطبقات الشعبية والوسطى كلما طالت الحرب إلى تجذير نضالي في تلكم البلدان.

- من المنطقي توقع تجذير اجتماعي اقتصادي في روسيا والصين أيضاً، سواء هُزم طرف في الحرب أو تم وقفها بشكل هذنة ما.

هذه التطورات المتوقعة من الطبيعي أن تقود إلى تحالفٍ ما في الثلاثي الثوري عالمياً، أي:

- القوى التقدمية اجتماعياً واقتصادياً في روسيا والصين

- القوى التقدمية والثورية في المركز

- القوى التقدمية والثورية في المحيط.

وهذا ما يؤكد أن الصراع سيأخذ منحىً تناحرياً على صعيد معلوم.

المتطورة باستثناء الأسلحة، أو على الأقل كانت شروطها في التبادل أقل استغلالاً أو إجحافاً من شروط المركز الذي انتقلت سيطرته من التفشيظ والنهب إلى التبادل شديد اللاتكافؤ. صحيح أن التقاسم الجغرافي تراجع لصالح التقاسم على صعيد التبادل، ولكن حصة روسيا فيه ودورها وشروطها مختلفة عن شروط المركز.

نخلص إلى التساؤلات التالية:

هل تعني هذه الحرب العالمية بسمتها الأساسية المختلفة عن الحربين الإمبرياليتين الأولى والثانية في كونها بين دولة رأسمالية ودولة إمبريالية؟ وهل تختلف في عالميتها أيضاً عن الحربين الأوليين في اشتراك دول أخرى بشكل مختلف عن السابق، بمعنى تعدد أشكال المشاركة وعدم انحصارها عسكرياً؟

وسواء صح تمييزنا هذا أم لا، فإن ملامح أخرى للعالم تتضح على النحو التوقعي التالي:

- انحسار السيطرة الغربية الإمبريالية على العالم

- إن أقطاباً رأسمالية أخرى تفرض نفسها على الساحة الدولية

- ليس شرطاً أن تكون هذه الأقطاب إمبريالية وليس شرطاً ألا يحتوي بعضها على سمات إمبريالية. مثلاً، ألا تُصدّر قطر رأسمالاً؟!

- إن العالم يتقاطب إلى ما يمكن وصفه بقطبين فقط، سواء اختارت الدول الضعيفة أم لا مما ينفي تكرار جبهة عدم الانحياز.

- إن جشع المركز، سواء من أجل السيطرة والتراكم أو بسبب تطويله أمد الحرب، وبالتالي حصول مجاعة في العديد من بلدان المحيط مما يفتح على احتمال حراك شعبي، قد يُطيح بالرأسماليات التابعة

عن الحرب كحالة مستدامة

علي القادري

ترجمة: سعيد محمد

هناك عمل أيديولوجي كثير مرتبط بتعزيز هيمنة اقتصاد السوق ينتج مفاهيم تخدم كأسلحة للطبقة الحاكمة، ومن ذلك تصوير الحرب على أنها سمة متأصلة في الفطرة البشرية أو نتيجة عرضية. لكن الحرب ليست بحالة طارئة، ولا استثناء من القاعدة. لقد كانت دائما معنا وقد تكون دائما كذلك، ونزعة العسكرة وممارستها في الحرب هي فئات فرعية من جانب الهدر من التراكم الاقتصادي للنظام الرأسمالي (إلى جانب الأشياء الضارة الأخرى التي ينتجها مثل التلوث والقنابل)، وهي أيضا كما شروط مسبقة لتوسيع رأس المال واقتصاد السوق، وتخدم الوظائف الاقتصادية الأخرى كدابير لخفض عدد السكان، وتنظيم العرض من العمالة العالمية، والدفع تجاه تخفيض الأجور. ولذلك فإن الإمبرياليات لا تنش الحروب كي تحقق فيها انتصارات عاجلة، بقدر ما تريدها حالة مستدامة.

نشرت هذه المقالة أصلاً باللغة الإنجليزية في موقع البحوث العالمية

(Global Research)

بتاريخ 30 مايو 2018، وتعيد اشتباك عربي نشرها مترجمة إلى العربية بإذن خاص من المؤلف

للانخراط في العملية الانتاجية، وبالتالي لا يعود ممكناً التفكير بشأنها استناداً إلى الوقت بصيغة الترتيب التقليدي لتعاقب الأحداث، فكما تسيطر الإمبريالية المهيمنة على المكان، فإن الزمان بشكل ما هو أيضاً تحت إمرتها، وحتى هذا التلوث الذي أنتجته البشرية بالفعل، وكل ذلك الهدر، اللذان يندرجان الآن في نظام السوق العالمي ليتم تداولهما مقابل ثمن مادي، هي في النهاية أشياء ذات قيمة بالنسبة لعملية الإنتاج الرأسمالي المتكاملة، ووحدها قوة رأس المال حددت وقت إدراجها للتداول في ذلك النظام.

ومن إدراكنا لسيطرة رأس المال على الزمان كما المكان، لا يعد ممكناً قبول الزعم بأن البشر الذين وجدهم المستعمرون ذوي البشرة البيضاء فيما وراء البحار وأبادوهم كانوا عديمي القيمة لأنهم لم يخضعوا لعملية التبادل مقابل ثمن وهو زعم يقود إلى الاعتقاد

إن فرضيتي هي أن اقتصاد السوق يتطلب حالة من حرب دائمة. فبرغم دموع التماسيح التي تذرّفها وسائل الإعلام على الضحايا، والهرء الأيديولوجي عن "المهام الحضارية للرجل الأبيض في نشر الديمقراطية وحماية الحريات"، فإن البشر والطبيعة كلاهما، في إطار عملية الإنتاج الرأسمالي المتكاملة، لهما قيمة سلعية بعد ذاتهما، مما يجعلهما أدوات اقتصادية في عملية الإنتاج والتبادل يتم استهلاكها، أو تحييدها، أو إتلافها. وتقوم الحرب بعمل جيد لاستهلاك البشر والطبيعة بسرعة كبيرة.

لا شيء يفلت من حكم رأس المال وبنادقه، ففي منطق أن البشر والطبيعة لهما قيمة سلعية سواء أكانت تلك القيمة مفعلة وحالية أو معلقة ومؤجلة لزمان يمليه رأس المال. وبالطبع فإن الزمان هنا قياس تجريدي وليس بمفهوم الوقت المتعارف عليه في حياتنا اليومية. وليس من الصعوبة تفكيك معنى هذا الزمان التجريدي الطابع: فالأشخاص الذين يمسون بتلابيب السلطة يقررون الوقت الذي تستدعى فيه مختلف الأدوات الاقتصادية - بما فيها البشر والطبيعة -

وأدواتهم ذات التقنية المنخفضة، لأنهم في المحصلة النهائية بحاجة إليهم لجني الضرائب. ولذلك قبل مرحلة اقتصاد السوق كان مألوفاً أن يترسخ الركود ويتمدد الاستقرار لفترات طويلة، إذ على الرغم من تعاقب الأنظمة السياسية فإن القاعدة الاقتصادية للمجتمع لم تشهد سوى القليل من الاضطراب، وكان سيتعين على الإمبراطورية المنتصرة الشروع عاجلاً في إصلاح قنوات الري واستعادة الاستقرار لضمان استمرار الدورة الاقتصادية، وكانت أزمات ما قبل الرأسمالية تتعلق أساساً بنقص الإنتاج ونقص الاستهلاك، أي تلك الناجمة عن عوامل الطبيعة.

مع بزوغ الرأسمالية والسوق الحر، بدأنا ننتج من أجل الأرباح وبما يتجاوز حدود الطلب القائم، وأصبح تنظيم الموارد التي يستخدمها المجتمع يتطلب تحية بعض الفئات والتخلي عن وسائلهم التكنولوجية التي عفا عليها الزمن. وعلاوة على ذلك، فإن النمط الخاص المتمثل في خصخصة الأرباح المالية قطع التوافق بين ما يحتاجه الناس وما ينتجونه.

لقد أنتجنا العديد من الأشياء التي لم نكن بحاجة إليها فعلاً، أو أنتجنا حرفياً نفايات وأشياء ضارة تؤذيها. إن الهدر ونزعة العسكرة والحرب هي في مقدمة الأمثلة على ما لا يحتاجه الناس، ومع ذلك يستمر المجتمع في إنتاجها بينما تستمر الشكوى من حالة الاغتراب التي يعيشها أفرادها.

رافقت الحروب البشريّة في مختلف الحقب، إلا أنها ليست هي ذاتها دائماً لا من حيث أسبابها التاريخية المحددة، ولا الأشكال التي تتخذها أو الطرائق التي تدار بها. ولكي نتعاطى مع المفهوم بمنهجية علمية ينبغي لنا اليوم أن نتجاوز القوالب الأفلاطونية غير القابلة للتغيير والثابتة المعنى عبر المراحل. فقد تكون كلمة الحرب ذاتها كتسمية لم تتحور، لكن مضمونها وما يترتب عليها يختلف مع تقلب الأزمنة وتباين الظروف الموضوعية. وبالتأكيد ستظل الإمبراطوريات على ديديتها في السعي إلى

بأن الحروب والإبادات الجماعية لم تكن سوقاً لتحدد سعراً لفروة رأس كل فرد من أهل البلاد الأصليين، وبالتالي تبرئة رأس المال من تهمة الارتباط البيوي بالقتل والتدمير، وتخليصه من جريمة تحصيل القيمة من وراء إفناء السكان واستباحة بيئتهم. إن النظرية الغربية تعاني من خلل فاضح باعتبارها القيمة الاقتصادية مرتبطة حصراً بالأشياء مادية الطابع، مع استبعاد الأفراد وتناسي علاقات القوة التي تهيمن على الزمان والمكان، والتي تتجسد الإمبريالية كأشد أشكالها شراسة.

على مستوى ما يمكن القول بأن العالم الثالث كان محظوظاً فيما يتعلق بالكوارث البيئية إذ أنه أدرج في الخطاب كضحية لرأس المال وإمبرياليته، تماماً مثل الطبيعة ولم يحمل وزر استباحتها. ومع أن رأس المال يستقلب الإنسان والطبيعة على حد سواء، إلا أن منطق الجهات البرجوازية مثل العائلة المالكة البريطانية لا يزال يفترض وجود فائض من البشر، حتى ليبدو الأمر وكأنّ هنالك سقماً معدياً مس هذا النوع من الثدييات تحديداً، مما يتطلب إعدامها - ربما من خلال رحلات صيد بريّ تنظم للأمرءاء - وعلى أية حال، فإن صناعة الحرب، بقدر ما تستهلك البشر في فترات زمنية قصيرة، فهي بشكلها الكليّ نشاط مكثف لإنتاج فائض القيمة. وكما نعلم، فإن في فائض القيمة يكمن سر معدلات الربح في الإنتاج العالمي.

عبر التاريخ، كانت الحروب حاضرة دائماً، وستبقى دوماً ما بقي المجتمع الطبقي. ومع ذلك، فإنها تكتسب نزعة مدمرة بشكل مرعب في اقتصاد السوق الذي يهيمن عليه رأس المال الاستثماري المضارب والاحتكاري. فقبل نمط الإنتاج الرأسمالي الحالي، الذي أصبحت حياتنا تعتمد فيه كلياً على السوق، أي قبل أن يبدأ الناس في بيع عملهم مقابل أجر في مصانع عالية التقنية آلية تنتج أكثر بكثير من احتياجات المجتمع، لم تكن الإمبراطوريات، في أغلب الأحيان، لتدمر نظام عيش الفلاحين



دولها. وهذه الحروب الجديدة هي اعتداءات صارخة واستعراض قوة محض من قبل الإمبريالية التي تتقصد تدمير البلاد وتمزيقها إرباً. إنها تقريبا عودة إلى عصر الاستعمار التقليدي، ولكن دون ذلك الحد الأدنى من المسؤولية التي تحملها المستعمرون في إدارة السكان الذين تم قهرهم.

وعلى أية حال، ففي أوقات الأزمة، تصبح النزعة إلى العسكرة والإنفاق على الحرب أكثر ضرورة لإخراج السوق من ركودها. وبطريقة ما، فإن الحرب بكل فظائعها، تفعل المعجزات للاقتصاد الكلي. والاقتصاد الكلي في البداية والنهاية هو الأهم في هذا النظام. ولك بالطبع أن تتخيل الاحتمالات التي تفتح أبوابها الحروب المعاصرة بسبب تعدد القوى العظمى ذات الصلة بالصراعات. لقد كان للقصف الأمريكي الأخير لسوريا - أبريل 2018 - مثلاً أن يتحول إلى كارثة كبرى لو أصيبت القوات الروسية المرابطة في سوريا. إننا نعيش في عصر يمكن أن يعجل فيه خطأ بشري بشتاء نووي. وهو أمر ظلّ - لحسن الحظ - مستبعداً، لكنه سيبقى أبداً ككابوس يقض مضاجعنا.

يكتسب القرن الماضي وهذا القرن أهمية خاصة عند النظر في عمق الحروب وتواترها وشدتها. لقد قللت الحروب الإمبريالية وسياسات التقشف من عدد سكان الكوكب وخفضت النمو السكاني إلى ما دون إمكاناته المحددة تاريخياً. إذ يقضي كثير من البشر قبل الأوان. وبينما تقرأ هذه السطور فإن هنالك

تحصيل الربح، ولكن على المرء أن ينظر بشكل مختلف إلى ذلك المحتوى المتغير للحرب في ظل الرأسمالية واقتصاد السوق. فمن التهاون القول مثلاً بأن الإمبراطوريات القديمة كانت تتصارع مع تلك الصاعدة من أجل النفوذ وبالتالي فإن الولايات المتحدة والصين الصاعدة سوف تنخرطان حتماً في الحرب أيضاً، فالشرط الموضوعي تاريخياً ليس ذاته الآن.

يتطلب رأس المال المنظم أسواقاً تستمر بالتوسع، وبالضرورة عمالة أرخص وله تأثيرات بيئية. وفي اقتصادات السوق الحر تصبح الحرب أداة لتنظيم الانتاج، فتقلل من أعداد العمال أو تجبر المزيد من الناس على أن يصبحوا لاجئين، وبالتالي تقلل من الفاتورة الكلية للأجور، كما أنها تنتهك الطبيعة - لا تزال آثار اليورانيوم المنضب في الفلوجة بالعراق تتسبب بتشوه المواليد الجدد إلى اليوم -.

بنفس القدر من الأهمية، فإن الحروب هي حقول إنتاج بحد ذاتها. فالإنفاق الإمبريالي الأمريكي على الحروب هو نوع من الاستثمار الذي لا يتجاوز إلى قضاء سوق القطاع الخاص، إذ لا يزال مجال الدفاع - أو بالأحرى (الهجوم) للدقة - خارج اهتمام القطاع الخاص أقله إلى الآن - في حين أن مجالات الصحة والتعليم هدف صريح لعمليات الخصخصة -.

إن الإنفاق على المجهود الحربي يمتص الأرباح الزائدة (أي ذلك الفائض الاقتصادي الذي يتراكم بكميات ضخمة نتيجة الاحتكار)، والتي لولا الحرب لبقيت راکدة دون توليد كثير من العائد أو الدفع تجاه زيادة الطلب وما إلى ذلك.

لقد رافقت الحروب الإمبريالية البشرية لفترة طويلة، ولكن لاستكشاف الأشكال والأهداف الجديدة للحروب يحتاج المرء للتأمل فيما حصل لليمن وليبيا وسوريا وأفغانستان والعراق. فمن الجلي أن البلدان التي قد تحاول السيطرة على مواردها الخاصة أو تأكيد سيادتها تصبح عرضة للتفتيت أو اسقاط

الكوارث على أساس يومي. وسيحاول محامو رأس المال دائماً أن يعلنوا بأنهم يعملون من أجل السلام وللمحد من الفقر، ولكن ذلك لن يكون مطلقاً الاتجاه السائد في ظلّ رأس المال، العلاقة المهيمنة على العالم، لأن تحقيق الأرباح يتطلب أحياناً تنحية الموارد جانبا أو إزالتها بالكامل. هذه المؤسسات والأفكار (الأيدولوجيات) حقيقية وموجودة أمامنا بالفعل، وهي نتاج لقوى مهيمنة وضعتها في مكانها المحدد لتكفل تعزيز مصالحها بشكل مستدام. هذا هو التاريخ الموضوعي وغير الشخصي، والأسرة، والدولة، والعرق، والجنسية، وما إلى ذلك من المفاهيم، التي نولد إلى الحياة في ظلّها. وإلى اليوم لم نغير ذلك النظام من الأشياء، ذلك التاريخ الذي يملئ علينا حياتنا، وسوف يملئ حياة الأجيال القادمة - هذا إذا كان هناك المزيد من الأجيال في المستقبل.

بمعنى ما، فإن التاريخ يحدث ضدّ رغبات معظم البشر. والتاريخ، إذا تساءلنا هو مجمل علاقات الإنتاج الاجتماعية التي، في حالتنا، علاقات رأسمالية محضة. ويمكن توصيف هذه العلاقات الرأسمالية التي تسيطر على التاريخ على أنها رأسمال ذو امتداد شامل بلا حدود وبعقلانية خاصة به، يقوم بتحويل كل ما هو اجتماعي إلى ثروة وسلطة طبقية خاصة. إنها علاقات تفصل الفلاح عن أدواته أو وسائل إنتاجه، تماما كما تقيم الحواجز بين الاستخدام والقيمة التبادلية، أو بين الاجتماعي والخاص، وتفعل ذلك في الغالب عن طريق العنف.

إن ما نسميه القيمة هي تلك العلاقة الخاصة التي ينتج فيها العامل، من خلال العمل المستثمر في إنتاج السلعة - والسلع أشياء غالباً لا يمتلكها -، وأن مثل هذا التناقض (أي العمل المجرد مقابل القيمة الاستعمالية)، يحل كتبادل سلعي مقابل المال الذي يجب وفق هذا المنطق أن تكسب منه الطبقة العاملة أقل مما يتطلبه الأمر للحصول على مستوى معيشي لائق بالنسبة للثروة السائدة في حينه.

العديد من الحروب المستمرة، وأيضاً المزيد من الخسائر البشرية الناتجة عن الفقر، ناهيك عن انقراض العديد من أنواع الحياة على هذا الكوكب. ويقضي ما يقارب من ثلاثين ألف شخص يومياً - ويموت طفل واحد كل أربع أو خمس ثوان بحسب مقرر حقوق الإنسان المعني بالحق في الغذاء - بسبب الجوع وما يرتبط به من الأمراض التي يمكن الوقاية منها.

إن هذه كوارث من صنع الإنسان، وهو ما يعني أساساً أنها من صنع الطبقة - لأن الطبقات هي حالة الوجود الاجتماعي للناس - ولسوء الطالع، لقد أصبحنا نتعاطى مع الحروب ونتعايش معها كأنها أمر طبيعي. وبصفتنا مجتمعاً يعيش تحت تأثير المشهدية (وفق مفهوم الفرنسي غي ديورد)، فإننا في الوقت الذي نرفض فيه العروض الديموية الشديدة البشاعة لداعش، نغفل بالكلية عن الجرائم الأكبر بكثير التي يرتكبها غربيون من الذين يديرون هذا الكوكب، إذ لا تدخل جرائمهم في تلك المشهدية المصنوعة، فتبقى متوارية عن الأنظار، فكأننا "قد أصبحنا مخدرين بشكل مريح" على حد تعبير الناشط الذكي روجر ووترز.

هنالك بالطبع أسباب تاريخية محددة للحروب ولتقصّد إدارة حساسياتنا تجاهها. إننا نعيش في عالم تعيد أفكاره ومؤسساته إنتاج هذه



مخيم اليرموك في ضواحي دمشق



مفيد في السلع يخدم الغايات الاجتماعية (التفاح أو البرتقال مثلاً) إلى جانب التبادل الذي يخدم الغايات الخاصة (الأرباح النقدية) على الرغم من أنه في الآونة الأخيرة، يمكن الزعم أن جميع السلع الأساسية تقريباً مغلفة بمحتوى ضار بالبيئة، إضافة إلى حقيقة أن معظمها ملطخ بعمل الأطفال أو الرقيق ودماء الحروب والنفايات وجانبها السلبي يفوق الخير فيها. ولكن على سبيل الجدول سنقول إن السلعة كما هي موجودة موضوعياً، خارجاً، فإن الخاص فيها (القيمة التبادلية) يتناقض مع الاجتماعي أو العام (القيمة الاستعمالية)، وفي صراع إلغائيّ لبعضهما البعض. إننا نعيش في عالم حيث السلعة التي أنتجناها تظل في حالة صراع مع نفسها من أجل التحوّل إلى حالة نقود عندما تباع في السوق. وبما أن الثروة ما هي إلا مجموع السلع التي نتجها، ولذلك فإن منتجي السلع الأساسية يجتهدون في تهيئة الظروف لتوسيع سوقهم، ودائماً بأشكال متفاوتة من الحرب التي تضمن شرطي الإنتاج بأقل التكاليف والبيع بأعلى الأسعار لتعظيم الأرباح. وسواء عبر الفيتشيّة (أو الصنميّة) أو من خلال التبادل فإن السلع، مدفوعة بتناقضها الداخلي الخاص، تضع شروط توسعها ودائماً من خلال العنف. وهنا نجد أن ليس المستفيدين هم من يأخذوننا للحروب، بل هذه الأشياء، السلع التي أنتجناها، هي التي تأمرنا بالذهاب إلى هناك، وهذا يختلف عن أي وقت آخر قبل الرأسمالية.

إن السلع - في الراهن من أيامنا - لم تعد ذات نفع بعد الآن. ليست وحدها القنابل، بل حتى التفاح والبرتقال يلوثنا ويسمنا. ومع ذلك، فإن الحرب، أصبحت كأنها تضخيم لتناقض علاقة القيمة داخل السلعة، وستستمر كذلك طالما أن نتاج العمل وفائدته منفصلان بشكل قاطع عن المُنْتَج - العامل -، ومقتصران على عملية التبادل. وفي لحظتنا التاريخية هذه نذهب إلى الحرب لا من أجل التفاح والبرتقال، بل من أجل نفايات مصنّعة.

وقد قلت هنا للثروة السائدة في حينه، أو المستوى التاريخي للثروة، لأنه من السخف مقارنة شخص يموت من الفقر والتعرض لليورانيوم المنضب في سن 43 عاماً. فيقول أحدهم إنّه مع ذلك يجب أن يكون سعيداً، لأنه في العصر السومري أو العصر الحجري الحديث، كان ليعيش في أحسن الأحوال إلى 23 عاماً. لكن الوقت أيضاً ذا نوعية متغيرة وطبيعته غير متماسكة، و"القيمة" هي موضوع لعلاقة السلعة والناس المنتظمين في علاقات اجتماعية لإنتاجه في لحظة تاريخية معيّنة.

التنمية تحت تهديد الحرب في العالم العربي

هذه القيمة المرتبطة بظاهرة السوق نشأت فقط بعدما أصبحت حياتنا تعتمد في ظل الرأسمالية على اقتصاد السوق. ولا شك في أن الأسواق كانت موجودة دائماً، ولكنها لم تصل أبداً إلى الحد الذي أصبحت فيه الحياة الاجتماعية تعتمد عليها بشكل تام حيث جميعنا دون استثناء تقريباً يبيع عمالته في السوق مقابل أجر.

ومرة أخرى، ينبغي للمرء ألا يكون أفلاطونياً في التعامل مع المفاهيم التاريخية. فالأسواق - كما الحرب - لها ذات الاسم، لكنها تختلف في مضمونها مع تغير الوقت والظروف الأساسية. قبل الرأسمالية، لم تتسبب إخفاقات الأسواق في تجارة السلع الفاخرة مثلاً، والتي كانت أصلاً محدودة الحجم، في نشر البطالة أو اليأس على نطاق واسع كما هو الحال مع إخفاقات السوق اليوم. لقد أصبحت الأسواق تمثل الأساس الاجتماعي لوجودنا، وتقيس الدراسات العلمية في مختلف المجالات أبعاد تأثيرها، لا مسألة وجود ذلك التأثير من عدمه.

تسلّع الرأسمالية كل شيء تقريباً وتجعله خاضعاً لعملية التبادل. ولو اتبعنا الخط الماركسي الكلاسيكي وقبلنا مبدأ أن ثمة جانب

للتاريخ) ، بينما هم واقعاً خارجها وخارج التاريخ نفسه ومجرّد موضوع للسيطرة. وبطبيعة الحال، تشجع هذه المؤسسات بشكل ممنهج على تخفيض تكلفة العمالة ومدخلات البيئة بأكثر الوسائل قسوة وبشاعة. من الواضح أنه لجعل الناس والطبيعة زهيدي الثمن، فإن مصالِح الأعمال التي تدير أموال الطبقة الحاكمة تجد نفسها في سعي دائم كي تقلل ما تدفعه للعمال وما تعيده للبيئة، وهذا يقود إلى ضرورة تقليص كل منهما سواء من حيث الكم أو النوعية. والعسكرة كمجال للتراكم وبما تشن من حروب تحقق ذلك بفاعلية وكفاءة.

ولوضع ذلك الوصف النظري موضع التمثيل، فإن العالم الذي أتحدث عنه هو العالم الحقيقي الذي تسيّره مؤسسات ضخمة مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي بأيدولوجياتها السائدة. وللتأكيد فإن الأيدولوجيا لا تكون سيئة أو جيّدة أو على صواب أو خطأ. هناك أيدولوجيات طبقية، وهذه الأيدولوجيات التي تحكم منهجية عمل هذه المؤسسات تخدم أساساً مصالح الطبقة الإمبريالية. وحتى من حيث الشكل، فهذه ليست بمؤسسات ديمقراطية، بل تدار من قبل طبقة النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة التي هي وريث الإمبراطوريات الأوروبية الاستعمارية بكل قوتها وثروتها المتراكمة تاريخياً.

مثل هذه الهيكلية غير المتوازن للسلطة التي تأسست في الماضي لصالح العالم الغربي - الغربي بالمعنى الأيدولوجي وليس الجغرافي - تنتج قواعد اللعبة والأفكار التي من شأنها تعزيز مصالح الطبقات الحاكمة الغربية والمتحالفين معها عبر العالم.

وهي تستمر في ذلك من خلال الحفاظ على استمرارية العلاقات سياسية واجتماعية وتجارية بشكلها غير المتكافئ. وحتى رؤساء الدول في الدول الكبرى هم أنفسهم نتاج مثل هذا النظام المهيمن، وهم بدورهم يكرّسون

اننا نذهب إلى الحرب من أجل الحرب، وهذه حالة متطرفة للغاية من الاغتراب فرضتها فينتشيّة السلع ومنطق قيمتها التبادلية.

وبالفعل كما أشارت أعمال فرانتز فانون، فإن العنف - في ظل الرأسمالية - ينبع من قلب السلعة. إن رأس المال الآن علاقة اجتماعية خارجة عن السيطرة، وعملية صيرورة لشيء كليّ يصنع خارطته الاجتماعية ومن ثم يعيد خلق ذاته في عملية مستمرة من انتاج الثروة وتدميرها. ويقع انتاج الهدر والنفايات المسلّعة في الجزء المتعلّق من افناء الثروة.

ولكي ننقل الأمر إلى مستوى الأشخاص فإن الأثرياء في سعيهم الذي لا يكل لزيادة ثرائهم يجدون أن عليهم القيام بحروب ليس لأنهم يجنون منها المال فحسب، ولكن الحروب أيضاً تجعل انتاج الأشياء أقل تكلفة، وتملك الأثرياء مزيداً من السيطرة على الأمور لمواصلة كسب المال. على أننا حاولنا تبسيط الواقع فإن العالم يظل معقداً إلى حد ما - كما ينبغي له أن يكون، وإلا فإن الإجابات على كل شيء ستكون بسيطة للغاية -.

ولكن في الوقت الحالي، إذا نحن تأملنا في الأشياء نتاج التاريخ، فإنّه من دون شك أن مصالح القلة من النخب الحاكمة والمنظمة في أشكال اجتماعية مختلفة، أولئك الذين ورثوا الامتيازات والثروة من الأجيال السابقة يرغبون في الحفاظ على الأشياء كما هي، والاستمرار في توسيع الأسواق لتضخيم ثرواتهم الخاصة، وفي الوقت نفسه خفض تكاليف كل من العمالة والمدخلات البيئية. الطبقة الحاكمة هي العلاقة المهيمنة في عالم رأس المال، وهي التي تصنع التاريخ - أقله فيما يتعلّق بالطبقات الأخرى -، وهي طبقة لا ترغب في الحفاظ على رأس المال - بما يأتي معه من امتيازات - كما هو، بل وتريد تضخيمه. ويتبع غالبية العمال لمؤسسات تلك الطبقة ويخضعون لأيدولوجياتها (المؤسسات والأيدولوجيا التي هي التمثلات الشكلية



الإنسان الذي يكتفي بالخضوع والاستهلاك -
غير النقدي - لتلك السلع.

إن رأس المال، أي الطبقة الحاكمة المهيمنة،
تود لو تشرينا الاعتقاد بأنه لا يوجد بديل لهذا
النظام القائم. وحول هذه الفكرة بالذات، اعتاد
أستاذ المنطق الراحل إستيفان ميسزاروس
على القول لتلاميذه بأنه سيضع علامة
الرسوب لكل طالب يقول بأنه لا توجد بدائل
للوامع القائم. ومع ذلك، فإن شعار "لا يوجد
بديل" وثقافة أن اقتصاد السوق تقدمي
الطابع، لا تزال تهيمن على موجات الأثير. لا
تسألوني كيف يمكن للناس أن يكونوا جهلة
لهذه الدرجة، حتى يصغوا السمع لمارغريت
تاتشر وهي تكرر لازمة "لا يوجد بديل" في كل
آن. يمكن أن تكون بعض قطاعات من الناس
رهائن لرأس المال بسبب عدم وجود بدائل
محددة والخوف من مجهول الانتقال إلى عالم
أفضل. وهذا أمر يتعلق بتطور الوعي الثوري،
لكن ذلك حديث آخر.

فهل اقتصاد السوق (الرأسمالية) تقدمي حقاً؟
لغرس مثل هذه الأكاذيب هناك الكثير من
الأجهزة الأكاديمية والإعلامية التي تتخصص
في صياغة اللغة لتناسب غايات التاريخ
وطبقة النخبة الحاكمة. الاستشراق، على سبيل
المثال، هو إحدى الطرق لتصوير الآخر
ك"البربري" أو في موضع أقل، ولكن الحط من
قدر الآخرين هو ممارسة معتادة عبر التاريخ،
وفي كل مجتمع طبقي. إن الاستشراق
الحقيقي، الذي يقدم المزيد من المكاسب إلى
علاقات رأس المال وإلى الطبقات الحاكمة،
كالعنصرية، يحدث في النقطة حيث يمكن
استخدام لغة الازدراء من خلال منصة قوة
لاغتصاب / تقويض الآخر، كما هو الحال في
العبودية أو الاستعمار. الكلمات وحدها لا
تفعل شيئاً، لكن العصي والحجارة تكسر
العظام.

هذه الهيكلية ويحافظون على الوضع الراهن
لعلاقات القوة.

إن امتلاك الولايات المتحدة لأكثر قدر من
السلطة في أهم الهيئات التنظيمية (الأمم
المتحدة، صندوق النقد، ...) في العالم، ليس
حديث مؤامرة، بل هو حقيقة متاحة أمام
الجميع لرؤيتها، فنحن لا نتحدث عن أشخاص
يتآمرون خلف أبواب مغلقة - وعلى الرغم من
أن ذلك يحدث أيضاً -، إلا أننا نصف أوضاعاً
قائمة: لقد تحول العالم إلى بنية سلطة غير
متكافئة، سواء على مستوى المؤسسات أو
الأفكار، تعمل على تعزيز مصالح محددة،
قوضت حتى الآن حياة الناس والطبيعة معاً.
وهذا أمر معروف للجميع بحكم الواقع
الملموس.

من أجل أن يخدم رأس المال مصلحته، أي
لإنتاج أشياء بغرض بيعها في السوق من أجل
الربح، فإنه يتطلب حروباً للاستحواذ على
المواد الخام، واستخراج النفط - وغيره -
بطرق تدمر البيئة، ويضعف النقابات ويقتلها
لخفض الأجور، وما إلى ذلك.

إن شن الحروب من أجل الاستحواذ على
المواد الخام موضوع جدل واسع. ولكن
فلنتذكر أن النظام الإمبريالي يحاول دائماً
تجميل الواقع القبيح، ويبدع في إنتاج أفكار
لإقناع حتى أولئك الذين يعانون أشد المعاناة
بأن هذا هو أفضل عالم ممكن. لا يمكن
بالطبع أن نقول إننا ذاهبون لقتل العرب من
أجل نفطهم، ولا بد أن نبتدع شيئاً مثل جلب
الديمقراطية وحقوق الإنسان... وهكذا. بالنسبة
لرأس المال، يأتي هنا دور الإنتاج الأيديولوجي،
الذي لا يقل أهمية عن الإنتاج السلعي. فرأس
المال ينتج السلع، ومن خلال مدارسه ومعابده
وقصفه الإعلامي، وما إلى ذلك، ينتج أيضاً

عمليات تفكيرهم. دعونا نسأل أنفسنا بعض الأسئلة لتوضيح هذه النقاط ببساطة. هل يمكن أن يكون هناك عمل سياسي دون مفاوضات سرية تخدم المصالح المتباينة؟ ألا يمكن أن نعتبر ذلك نوعاً من الحتمية؟ نحن نعلم بأن مسار التاريخ غير مؤكد، ولكن هل يمكن لنا ألا نكون حتميين فيما يتعلق بقوانين التطور التنموي عندما يكون هناك ميل ظاهر لحدوث الأشياء؟ هل يمكن لأي نظرية أن تكون انتقائية إلى هذا الحد بحيث تشكل مجموعة غير متجانسة من حقائق لا تترابط ولا تستند إلى قانون محدد للتنمية؟ أو كيف لا يمكننا تبسيط أي نظرية بحيث يمكن أن تُعزى في النهاية إلى علاقة أساسية؟ "النظرية دائماً رمادية"، كما يقول غوته، "لكن شجرة الحياة خضراء". إنه من إيهام الذات أن نقوم بتجميع وقائع متنوعة في عقولنا ومن ثم نشكل منها كلاً معقداً، كما لو كنا في محاولة لإعادة تشكيل العالم من خلال استعادة كافة الظواهر المعطاة في حقيقة تجريبية. هذه ليست نظرية. إنها عبادة مبتدلة للنظرية. فالواقع، بمقتضى التجربة، تمليه السياسة و يضع قوانين بسيطة.

اننا كمجتمع انساني نتبع قواعد بسيطة للغاية، لكن الأيديولوجية السائدة لأنصار السوق تسعى لإرباكننا عبر الخداع و خلط الأشياء وجعل غير الحقيقي يبدو حقيقياً، وفرز كل الأشياء من المجموع الاجتماعي وجعلها تبدو وكأنها خليطاً غير متجانس بدلا من كُلاً متماسك ثم يسمون ذلك بالنظرية. إن هذا المعمار النظري الذي يزعمونه عنه ليس إلا تعداداً عديم النفع لمعالم واقع لانهاضي، وهذا حرفياً عبثي وسخيف ومستحيل.

ولأستطرد قليلا في التوضيح دعونا نتأمل مثلاً في المفاهيم المترابطة للرأسمالية التقدمية وفائضها الاستهلاكي: الرأسمالية تخلق الثروة، وهي لذلك تقدمية، والفائض الاستهلاكي مؤشر على هذا التحسن. صحيح بالطبع أن الرأسمالية تنتج الثروة، وبالنسبة لأقلية على هذا الكوكب، تتحسن مستويات المعيشة كلما

هذا الاستشراق ذو الأسنان يختلف عن ذلك الاستشراق السائد في ثنايا نقد الأدب أو الفن. إنه ممارسة عنيفة للتمييز في مرحلة تاريخية معينة. في وقتنا، ستكون تلك اللغة والممارسة العنيفة المصاحبة لها على سبيل المثال الدعوة إلى التدخل العسكري لإنقاذ الليبيين. إنها ممارسة نيو-استعمارية، لكنها تحتفظ بالكثير من وحشية الاستعمار التقليدي، إذ يحرم الشعب الليبي من دولته كمنصة سياسية يتفاوض من خلالها على مستويات معيشية أفضل لنفسه، والأهم من ذلك، من تحقيق النمو والإنتاج في عالم به (الكثير) من الناس، والآلات، والمفرط الإنتاج. وفي الواقع لا يوجد أبدا الكثير من الناس، ولكن السوق يبني نظام الإنتاج من أجل الربح بطريقة تجعل الناس زائدين عن الحاجة، فيستبدل قوة العمل الحية بالآلات. ولهذا السبب فقط في ظل الرأسمالية، يحق للعاطلين عن العمل قسرا الحصول على تقدمات اجتماعية بدلا من الأعمال الخيرية، إذ تمثل بطالتهم عائقا اجتماعيا مستمرا ونتاج وضع محدد تاريخيا.

ليست الأيديولوجية السائدة عنصرية أو مستشرقة فقط تجاه (الشرق) فحسب، بل إنها تشوه سمعة وتضلل وتستهدف كافة مجتمعات الطبقة العاملة شرقاً وغرباً. إن المفاهيم التي تنتجها العلوم الاجتماعية السائدة لإقناع الناس بعظمة اقتصاد السوق هي إهانة كبيرة لذكاء الناس، وأعتقد أنها شكل من أشكال عنصرية طبقة تجاه طبقة أخرى، بغض النظر عن لون البشرة أو الحدود العرقية. وهناك أيضا نوع من "الاستغراب" إذا أردت.

على سبيل المثال، في الأوساط الأكاديمية السائدة، يتم إطلاق أوصاف مثل نظرية التاريخية - والأسوأ من مؤامرة أو الحتمية ذلك كله ربما توظف "البنوية" كإله يقدر على تفسير كل شيء -، كصيغ مهينة للعقول الناقدة والطلاب الفضوليين بغرض تأديب

العوامل الأخرى، فإن الكوكب تحت منطوق السوق / الربح التي ننظم بها إعادة إنتاج أنفسنا - والتي تتضمن بالضرورة استخدام العمالة والطبيعة بأبخس الأثمان - قد يصبح غير صالح للسكن تماماً، مما يبهر لنا أن نتساءل عن معنى التقدم.

من الواضح أنه ينبغي لنا - كمجموع بشريّ - إعادة تنظيم الطريقة التي تُنتج بها إن رغبتنا في البقاء. يجب أن نعيد تنظيم الإنسان والطبيعة كليهما. إن عملية الإنتاج تتم بالفعل كعملية اجتماعية، بمعنى أن الناس يجتمعون ويتعاونون للإنتاج، وبالتالي يمكننا عملياً الاستغناء عن القطاع الخاص والسماسة الوسطاء. إن حافز الربح قد قضى بالفعل على عدد هائل من الأنواع الحيوانية والنباتية المنقرضة، وهو يعرض الآن الكوكب برمته للخطر، ولا بد أن هنالك حافزاً أفضل وأكثر انضباطية للبشرية في إطار تنمية مخططة أكثر من غيرها. يجب أن نقتلع من الجذور نظام السوق الذي يقوم على تدمير الطبيعة والناس من أجل توليد الأرباح، والذي قضى على كل نزعة اجتماعية أو اشتراكية ووصم كل تخطيط مسبق بالعقم والفشل، ويوظف أجندة تشطية للهويات تقسم العمال في جميع أنحاء العالم إلى فئات متناحرة.

إنّها مهمة شاقة دون شك، ولكن التغيير أمر لا مفر منه الآن، لأنه مع استمرارية نظام السوق سيلحق الضرر بكل شخص ثرياً كان أم فقيراً. وتتوسع أمامنا فرصة تنفيذ هذا الانقلاب الثوريّ مع فقدان سادة الزمن أولئك المتربحين المنظمين، سيطرتهم على الوقت الاجتماعي، أي وقتنا الذي سنأخذ فيه المبادرة لتغيير الأمور.

اشترى المزيد من الأشياء نسبة إلى دخولهم. لكن الاتجاه الغالب أن ذلك يتحقق على حساب أن تعاني الأغلبية وأن تتحمل البيئة العبء الأكبر من مخلفات الإنتاج الفوضوي. فالأسعار ليست أرقاماً بريئة، بل هي تنظّم الموارد لتحقيق نتيجة اجتماعية تخدم مصالح أولئك الذين يمكنهم التلاعب بالأسعار.

غالبا ما يخلط الناس بين الأسعار والقيمة الحقيقية للأشياء. الأسعار هي تمثيل غير موثوق للقيمة لأن خلق القيمة يتم من عملية إنتاج أي علاقة اجتماعية. وفائض القيمة، الذي هو مصدر ربح رأس المال، لا يتم التعبير عنه مطلقاً بالأسعار أثناء استخراجها، بل فقط بعد تحققها في السوق عندما تتخذ شكلاً سعرياً تحدده علاقات القوة في ذلك السوق.

بالنسبة لرأس المال، فإن الأسعار والنقد (الدولار مثلاً) مجرد أدوات توظفها طبقة النخبة الحاكمة في التحكم والتخريب سعياً للمحافظة على قوتها الطبقيّة وزيادة استغلال الأكثرية من خلال تخيس جهود أفرادها، وبالتالي التقليل من قوتهم كطبقة. ويمكن بالطبع لهذه النخبة التنطع بأنّ غالبية الطبقة العاملة آخرون أقل شأناً، لا يستحقون نصيباً في الثروة لأنهم بدائيون للغاية على الاستفادة من التقنيات المتقدمة، أو لأنهم ينتمون لهويات وطنية أجنبية أو عرقية ملونة، أو حتى لأنهم فقراء بحكم عيشهم في إطار ثقافات معينة، لكن بالتأكيد لا يمكنهم التعامل مع البيئة الطبيعية بذات المنطق، إذ أن التدهور البيئي يصل إلى الجميع حتى أولئك الذين يعيشون في بروج عاجية، فالطبيعة ليست ملكية لقبيلة واحدة كما يقول المثل الهندوأمريكي.

وبما أننا نعيش في عصر (الأنثروبوسين) حيث أصبح تأثير البشر على البيئة أكثر من أيّ من

الجانب الآخر من التراكم: الهدر

أؤكد دائماً في عملي على الدافع الجوهري لرأس المال في صنع الحروب وتدمير الناس والطبيعة. بالطبع فإن إفناء أشكال الحياة - بما في ذلك البشر - هو عمل مأساوي، لكنني أنظر أيضاً إلى القيمة المتأقية جراء ذلك التدمير وكيف تساهم في الإنتاج والتراكم. ولنكن صرحاء هنا، لقد كان القتل دائماً جزءاً لا يتجزأ من أعمال السوق، وانني أدعو هذا الجانب الآخر من الرأسمالية جانب الهدر. إذ ينتج السوق السراويل والقنابل في ذات الآن. انتاج السراويل بالطبع لا بأس به، ولكن تصنيع القنابل، والتلوث، فهذا هو جانب الهدر، وأعتقد أنه جانب قد تمت مأسسته في أشكال منظّمة منذ بعض الوقت وأدمج في الأنساق الفكرية السائدة، بحيث نكاد نفشل اليوم في رؤيته كجزء لا يتجزأ من النظام القائم. وتاماً مثل التفاح والبرتقال، فإن القنابل هي أيضاً سلع يتم انتاجها فيما العمّال الذين ينتجونها مغتربون عنها، ويتم تحديد أسعارها من قبل الاحتكارات، وكذلك قيمتها التبادلية عندما تتحوّل إلى نقد، أي على العكس تماماً مما نحتاجه حقاً كمجتمعات، هذا دون أن نذكر أنّها تستخدم في فرض نظم عيش تخدم بالمحصلة مصالح النخبة الحاكمة. وما ذكرته هنا بشأن جانب الهدر، ينطبق عليه - في إطار الاقتصاد السياسي أيضاً - مفهوم فينشيّة (صنميّة) السلع. أي عندما يصبح السّعر للسلع التي ننتجها سلاحاً ضد الناس العاديين، فيحصلون على أجور أقل وأقل من أجل ترك هوامش ربح أعلى لرأس المال.

من المهم التفكير هنا بصيغة تعميميّة بعض الشيء. فكما منتجات العمل تتطلب مدخلات من جميع أنحاء العالم، فإن الأجور تصبح - على نحو ما - أجور جميع العمال في العالم مهما توزعت فيما بينهم وفق تفاوت مهاراتهم أو تباين هوياتهم. وعليه فإن حصة الأجور من إجمالي الدخل العالمي ترتبط بزيادة طردية

مع التضامن الأممي، فتزيد بزيادته وتقل لنقصانه. ولذلك فإن القيمة، والعمل، التي يستثمرها المجتمع في سلعة ما هي مثل الطبيعة: ليست ملكاً خاصاً بقبيلة، مما يعني ببساطة أن طبقة رجال الأعمال العالمية تخدم مصالحها كلما نجحت في فصل العمال عن بعضهم البعض. لذلك عندما نود الكشف عن حضور رأس المال فإنه بدلا من الإشارة إلى عديد الأثرياء الذين يمتلكون الكثير من الثروة العالمية، فإن انعكاساً مباشراً لقوة الطبقة الرأسمالية يتمثل في مدى انقسام العمال ضد بعضهم البعض. قد تدفع طبقة رجال الأعمال أجوراً أعلى لفئة معيّنة من العمال، ولكنها عندما تتخلص من فئات أخرى أو تدفع البقيّة للموت جوعاً، فإنها - في المجموع - تقلل من تكاليفها، وتعظم أرباحها.

يدرك رأس المال دائماً أولوية السياسة والطبيعة الاجتماعية للإنتاج، ولذلك فإن أساس تحقق الأرباح يكمن في السيطرة على الطبقة العاملة وبؤسها المستدام، وهو ما يفسر أيضاً وحشيّة الحروب الإمبريالية.

مثل أيّ من السلع الأخرى، يتم أيضاً انتاج القنابل وبيعها في الأسواق واستهلاكها، ولكن دورة حياتها تشمل العمّال كأشخاص أحياء وأيضاً كأموال. إن نزعة العسكرة هي التجسيد للطبيعة القاتلة لرأس المال، وبينما يتم تنظيم مراحل الإنتاج وتحديد مجالاته بشكل مشترك، وفيما يستمر رأس المال في سعيه إلى تعظيم الأرباح وتقليل التكاليف عبر القنابل والتلوث العسكري، تصبح الحروب مجالاً للتراكم في حد ذاته، نوعاً من مصنع، في هيكله التنظيمي الاجتماعي وثقافته الصناعية. النزعة العسكرية هي أيضاً مساحة استثمارية، تمتاز عن مجالات الاستثمار الأخرى التي تنخفض مع مرور الوقت، بأن لديها قدرة دائمة على النمو. ولنتذكر أن الدّول بعكس الأفراد تخلق الائتمان والنقد أثناء اقتراضها، ولذلك فإن ديون الدولة الإمبريالية عندما

الناس الذين يأخذوننا إلى الحرب ويسئون معاملتنا هم على عكس سيدهم الأكثر عقلانية، أي التاريخ، فهم غير عقلانيين، لأنهم في النهاية - وقد ألحقوا الكثير من الضرر بالبشر واشكال الحياة على تنوعها - يؤذون أنفسهم. انني أزعم بأن التاريخ غير شخصي وموضوعي وعقلاني بجمعه ما يوائم جميع القوى لخدمة السوق، ومع ذلك، فإنه يخدم غايات الجهة الخطأ. فاققتصاد الهدر، والحروب، والعسكرة، والتلوث، أكبر في مجموعها من الاقتصاد العادي، وأنه إذا واصلنا ما نحن عليه دون تغيير، فقد تكون المرحلة الحالية من التاريخ هي الأخيرة. من الواضح أنه لتغيير العلاقات الاجتماعية وكسر هيمنة الطبقة التي تقود التاريخ، يجب على العمال أن يتولوا زمام قيادة التاريخ بأنفسهم، وفي مقدمته الدولة، كما كان الحال دائماً.

لماذا تعتبر الحرب أكثر أهمية من التجارة في بعض الأحيان؟

دعونا نأخذ فقط مثال حرب العراق. كان العراق على استعداد للتفاوض، وكان سيستمر في بيع نفطه بالدولار، ومع ذلك تم غزوه، وكانت تكاليف حربه حوالي 6 تريليونات في بعض التقديرات (تختلف التقديرات). ولكن هذه التكاليف نفسها كانت في الوقت نفسه استثمارات في العسكرة، وائتمان كسبه القطاع المالي إذ أن هذه التريليونات ذهبت



لخلق المزيد من الائتمان وتحفيز المزيد من الاستثمار.

تستثمر في العسكرة هي ائتمان بغرض النمو، في حين أن ديون الأفراد منهكة.

من المؤسف أن الحرب في أيامنا قطاع أعمال ضخم ليس فقط من أجل الأموال التي تكسبها عندما تصدر الدول سندات لاستيعاب الفوائض - التي يجلبها القطاع المالي بالمناسبة - أو شركات خاصة تنهل دون جهد من الابتكار التكنولوجي في القطاع الحربي، أو عندما تستثمر الدولة في الجيش وتترك الرعاية الصحية للقطاع الخاص، وما إلى ذلك فحسب، بل وهو الأهم أنها تخفض من قيمة العامل البشري، وتسلب إرادة الناس من خلال تدمير مؤسساتهم. إن اسقاط الدول في الشكل الحديث من الحروب، ليس في الواقع إلا شكلاً مضخماً من العبودية.

وهنا تعمل الحرب كعامل مساعد لنظام الأجور الرأسمالي وفي نفس الوقت كنظام أجور مستقل بحد ذاته. وهذا يعني أنها تساعد على خفض الأجور لبقية النظام الرأسمالي عن طريق اختطاف إرادة الناس ودولهم أو نقاباتهم (أي أشكال التنظيم الاجتماعي) وتبخيس قيمتهم، ناهيك عن أنها توّظف عمالاً مقابل أجر. إن الدولة بوصفها شكل من أشكال تنظيم الشعوب في العالم الثالث تصبح هدفاً للتدمير لأن ذلك في مصلحة رأس المال. وفي عملي، أؤكد على نقطة أن هناك حروباً للاستيلاء على الموارد الطبيعية، ولكن ما لا يدركه الكثير من الناس أن الحرب هي غاية في حد ذاتها.

إن التاريخ الموروث، ونظم العلاقات الاجتماعية، والمنظومات الفكرية التي تقف وراء مبدأ القيام بكل شيء وأي شيء لتحقيق الأرباح دون حساب، وتوظيف الأشخاص الذين يعتقدون بالفكرة المؤسسة بأن "النظام القائم عظيم" لتعزيز تلك الأجندة، تمثل في مجموعها هيكل الهيمنة المتحكم. لكن هؤلاء



العدوان السعودي على اليمن

لا يمكن للمرء أن يرى أكاديميا غريبا لا يشيطان (الرئيس) الأسد بدعوى انقاذ سوريا، تماما كما حدث مع العراق وليبيا. ولا توجد حدود لمقدار الأموال التي ستنفقها الولايات المتحدة على مجهودها الحربي في سوريا، بما في ذلك الرشاوى للصحفيين والأكاديميين، والتي هي أيضاً جزء لا يتجزأ من المجهود الحربي. في الاقتصاد الكلي، تسيطر الطبقة الرأسمالية على الدولة وتكسب ما تنفقه من خلالها، وما تنفقه الدولة لتوسيع مصالح الأعمال، وبخاصة العسكرية. إن الحرب تكلفه فقط للشعب العامل، ولكنها مكاسب هائلة للطبقة المالية - وتلك الطبقة وحدها، لا النسيج الوطني المتخيل، من يلتقط تدفقات القيمة.

لا يحتاج الأمر إلى كثير تدبر لفهم كنهه. لقد تمت تربية الإسلام السياسي كله من قبل الاستعمار بداية، وبرعاية الإمبريالية لاحقاً. واليوم تقاتل الولايات المتحدة كتناً إلى كتف إلى جوار تنظيم القاعدة في سوريا. فماذا سيعني للمرأة السورية أن تتولى جماعة دينية متطرفة مقاليد السلطة في سوريا؟ في العراق ووفق بعض التقارير فإن أوضاع النساء العراقيات بعد الاحتلال الأمريكي وصعود الملالي، أصبح أسوأ من وضع النساء في المملكة العربية السعودية. فأى نوع من الليبرالية الغربية يدعم العدوان

وبصورة موجزة، كانت التكاليف المالية للحرب أيضاً مكاسب متعددة للقطاعين المالي والمجمّع الصناعي العسكري - وذكرت المالي أولاً لأنه يحقق أكبر قدر من المكاسب. لكن ذلك لم يكن كل شيء. إن تدمير العراق كدولة متمردة شبه مستقلة أعاد تأكيد موقع الولايات المتحدة المهيمن في المنطقة والعالم، وهجر ملايين العراقيين مما ضغط على الأجور العالمية وسحبها إلى الأسفل. وعلاوة على ذلك، دفعت الطبقة العاملة الأمريكية بخضوع ثمن الحرب لإنقاذ أسلوب حياتها - مهما كان ذلك يعني لها -.

قارن ذلك فيما إذا استمرت الولايات المتحدة بالتداول مع العراق - الذي كان ناتجه المحلي الإجمالي بقيمة 50 مليار دولار أمريكي في عام 1990 -، لربما عندئذ تكون قد حققت مكاسب تجارية بعشرات أو مائة مليار دولار. لذلك، ومن دون الخوض في التفاصيل، فإن المكاسب التريليونية للحرب هائلة مقارنة بإمكانات التجارة العادية بالتمور والنفط مع حكومة بغداد. والواقع أن الحرب هي التي تجبر منتجي النفط في كل مكان على المتاجرة بالدولار، وأن تخصص كل الدولارات الفائضة عن حاجاتهم المباشرة إلى دعم توسع ديون الولايات المتحدة. إن هذا هو الشكل الجديد للجزية أو الريع الإمبراطوري.

وتنطبق المقاربة بشأن العراق على سوريا أيضاً. فلم ستهتم الولايات المتحدة بتجارة ببضعة مليارات من الدولارات مع بلد كان ناتجه المحلي الإجمالي حوالي 40 مليار دولار أمريكي في عام 2007، في حين أن ذريعة الحرب في سوريا تخلق مغامرة عسكرية ضخمة يتم تمويلها من قبل دافعي الضرائب لصالح القطاع المالي.

الأمريكي عندما يساند هؤلاء الظلاميين لتولي السلطة؟ إحدى الطرق للإجابة على هذا السؤال - وربما الطريقة الوحيدة - هي أن المثقفين الليبراليين يستمدون وعيهم جزئياً من الريع الإمبرياليّ والامتيازات المرتبطة بالحروب الإمبريالية.

ملف شهداء الأرض المحتلة

من 2022/4/1 حتى 2022/6/30



الشهيد: أحمد يونس الأطرش

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/1

جريحًا ثم أسيرًا ثم شهيدًا

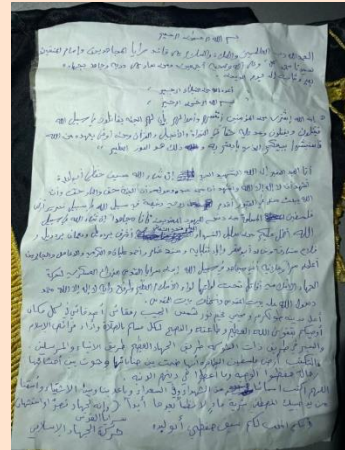
أمضى الشهيد 6 سنوات في سجون الاحتلال، وتحرر قبل عامين، ليرتقي شهيداً في المواجهات مع قوات الاحتلال بالرصاص الحي في رأسه في الخليل

الشهيد: سيف أبو لبة

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/2

الشهيد الأول الذي نعاه أهل مخيم نور شمس بطولكرم، والذي استشهد في عرابية في جنين مع رفيقه في عملية اغتيال جبانة من العدو الصهيوني.

وكان الشهيد ضمن الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، ومن وصيته: اوصيكم بتقوى الله و عظيم طاعته والنصح لكل مسلم بالصلاة واداء فرائض الإسلام و السير في طريق ذات الشوكة.





الشهيد: صائب عبا هرة

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/2

الشهيد الثاني في عملية الاغتيال الجبانة التي نفذها العدو الصهيوني قرب عرابة وقد ارتقى في هذه العملية أيضاً الشهيد سيف أبو لبدة و خليل طوالبه

"تقول شقيقة الشهيد صائب عبا هرة أنها تأكدت من استشهاده عندما رأت صورة قبعته على الأرض... تثبت القبعة وما فيها من بقايا دماغه أنه تلقى رصاصة مباشرة بالرأس خلال عملية اغتياله"



الشهيد: خليل طوالبه

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/2

الشهيد الثالث الذي اغتيل مع الشهيد سيف أبو لبدة وصائب عبا هرة خلال عملية الاغتيال الجبانة في عرابة قرب جنين.

"يقول والده إن خليل درس التمريض، ويدير مطبعة كمشروع خاص أسسه، وكان يخطط لبناء منزل والزواج"



الشهيد: رعد فتحي خازم

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/8

الشهيد رعد منفذ عملية تل أبيب الفدائية حيث جرى إطلاق النار في 5 أماكن متعدّدة في المنطقة وأعلن مقتل ثلاثة من المستوطنين، وأكثر من 15 إصابة حيث وقعت العملية في شارع ديزنكوف، الذي يحتوي على عدد كبير من الحانات، وقد ظلت قوات كبيرة من العدو تلاحق الشهيد أكثر من عشر ساعات واستشهد خلال اشتباك مع قوات صهيونية خاصة وما زال العدو يحتجز جثمان الشهيد



الشهيد: أحمد السعدي (أبو إسلام)

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/9

شهيد برصاصة في الرأس ورصاصة في الصدر، استشهد أثناء تصديه لقوات الاحتلال في مخيم جنين



الشهيد: محمد علي غنيم

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/10

الشهيد محمد علي غنيم هو أسير محرر وهو أيضا لاعب لنادي شباب الخضر، استشهد خلال كمين لجنود الاحتلال في بلدة الخضر

الشهيدة: غادة إبراهيم سباتين

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/10

الشهيدة: غادة إبراهيم
السباتين

الشهيدة غادة إبراهيم السباتين (47 عاماً) أطلق الاحتلال النار عليها، لدى مرورها في الشارع حيث تمركزت مركبة لجيش الاحتلال، في حوسان غرب بيت لحم، هي أم أرملة لستة أطفال، كانت قد وصلت مستشفى بيت جالا وهي تعاني من قطع في شريان الساق، وخسرت كمية كبيرة من الدم حيث تركها العدو تنزف ومنع وصول المسعفين إليها.



الشهيدة: مها كاظم الزعتري

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/10

ارتقت الشهيدة برصاص العدو الصهيوني الغادر بالقرب من الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل في عملية إعدام بدم بارد



الشهيد: محمد زكارنة

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/11

الشهيد محمد زكارنة أصيب بتهتك بالأوعية الدموية اثر رصاصة متفجرة استقرت في حوضه، أحدث نزيفاً حاداً تطلب تزويده بـ 80 وحدة دم إضافة إلى الصفائح ولم تنجح الجهود الطبية بإنقاذه.. كان الشهيد يملك بسطة شاي وقهوة في المنطقة الصناعية بجنين، اقتحمت قوة خاصة مدينة جنين بالتحديد المنطقة الصناعية بغرض ملاحقة أهل الشهيد رعد خازم وأصيب الشهيد زكارنة حينها ونقل إلى المستشفى، لكنه استشهد بعدما خضع لعدة عمليات



الشهيد: عبد الله سرور

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/12

شهيد لقمة العيش، الشهيد عبدالله سرور من الخليل. ارتقى
الشهيد برصاص الاحتلال في مكان عمله في عسقلان وظل
العدو يمنع تسليم جسده الشريف حتى يوم 11 مايو 2022



الشهيد: محمد حسن عساف

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/13

ترك الشهيد ثلاثة أطفال أكبرهم طفل 8 سنوات، تم التعقيم
على نقل عزاء الشهيد، وقيل أنه استشهد عندما كان جالساً
في مكتبه حينما سمع صوت المواجهات فانضم لرماة
الحجارة ولكنه استشهد برصاص العدو الإرهابي



الشهيد: قصي حمامرة

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/13

ارتقى الشهيد إثر إصابته برصاص الاحتلال في بلدة حوسان غرب بيت لحم



الشهيد: عمر عليان

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/13

اقتحم الجيش الصهيوني سلواد مساء اليوم ليعتقل مطاردين، ولكن كان شباب البلد لهم بالمرصاد. وأصيب الشهيد خلال المواجهات برصاص حي في صدره وارتقى شهيد

قال والد الشهيد: "إبني زلمة.. فطر وانطلق للشهادة بكل رجولة ولو عندي مائة ألف ابن سأرسلهم للشهادة"



الشهيد: شأس كمامجي

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/14

الشهيد شأس كمامجي شقيق الأسير أيهم كمامجي ، ارتقى أثناء تصديه لقوات الاحتلال التي اقتحمت جنين. وجاء اشقاء الشهيد يودعونهم وهم ما زالوا بعصبة العيون ومرابط اليد التي استخدمها الاحتلال وقت الاعتقال حيث كانت قوات العدو قد اعتقلت إخوة الشهيد قبل استشهادهم في اقتحام جنين



الشهيد مصطفى أبو الرب

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/14

ارتقى الشهيد برصاص الاحتلال خلال مواجهات في قرية كفر دان في جنين



الشهيد: فواز حمائل

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/14

ارتقى الشهيد متأثراً بإصابته، وقيل أنه ورد على لسانه قبل ارتقائه: "مستعدون للموت من أجل شجرة الزيتون، وموحدون حتى دحر البؤرة الاستيطانية عن جبل صبيح"
كان فواز أب لستة أطفال ولدان و 4 بنات من قرية بيتا جنوب نابلس وقتله جيش العدو الصهيوني بدم بارد بعيار ناري متفجر في صدره



الشهيد: شوكت عابد

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/14

ارتقى الشهيد متأثراً بإصابته برصاص جيش الاحتلال خلال مواجهات بلدة كفر دان شمال غرب جنين



الشهيدة: حنان خضور

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/18

الشهيدة حنان خضور طالبة في الثانوية العامة من بلدة فقوعة كانت في زيارة إلى الحي الشرقي لمدينة جنين من أجل الحصول على درس، عندما اقتحمت قوات الاحتلال الحي الشرقي واندلعت مواجهات، أصيبت خلالها بالرصاص ونقلت إلى مستشفى ابن سينا بحالة حرجة، حيث أعلن عن استشهادها



الشهيد: لطفي لبيدي

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/18

ارتقى الشهيد متأثراً بجراحه بعدما أطلق العدو رصاصه نحوه الذي استقر في جسده قبل اسبوع من أن ينال الشهادة



الشهيد: أحمد عويدات

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/26

ارتقى الشهيد متأثراً بإصابته برصاص الإحتلال في الرأس، وأصيب في مخيم عقبة جبر في أريحا، وكان والده يؤدي مناسك العمرة حيث علم بخبر الاستشهاد وعاد بشكل طارئ للقاء نظرة الوداع على ابنه الشهيد



الشهيد: أحمد مساد

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/27

الشهيد أحمد مساد اسير محرر ثم شهيد، من بلدة برقين غرب جنين، ارتقى شهيداً، أثناء تصديه لقوات الاحتلال

روت والدته الشهيد اللحظات الأخيرة قبل استشهاده:

"قلبه كان يبقيق دم وكل حالته دم يما"



الشهيد: يحيى عدوان

تاريخ الاستشهاد: 2022/4/30

الشهيد يحيى عدوان الذي امضى ما يقارب ٦ سنوات من عمره في الأسر وقدم بقية عمره في سبيل نيل الشهادة.. استشهد برصاص الاحتلال الإرهابي فصار أسير محرر ثم شهيد



الشهيد: محمود عرام

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/8

الشهيد ابن خان يونس واستشهد بعد إطلاق الاحتلال النار عليه قرب حاجز جبارة عند اجتياز السياج الفاصل قرب طولكرم. وكان قد قدم الشهيد من غزة للعلاج بالضفة ولكنه ارتقى شهيداً برصاص العدو



الشهيد: معتصم عطا الله

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/8

الشهيد معتصم محمد عطا الله ارتقى شرق مدينة بيت لحم وكان على موعد مع تقديم الامتحانات الثانوية العامة اليوم قبل أن يقتله جيش الاحتلال وما زال جثمانه محتجراً في الثلجات الباردة

الشهيدة: شيرين أبو عاقلة

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/11

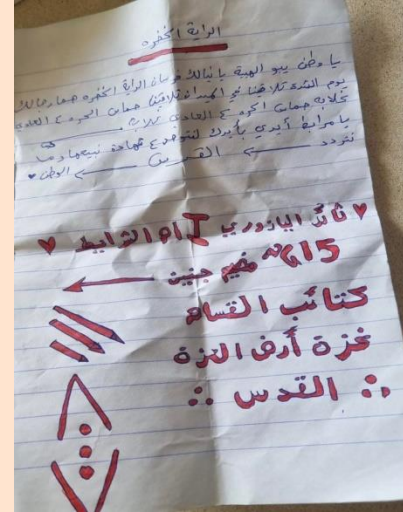


قتل جنود الاحتلال الصهيوني شيرين أبو عاقلة، بعد أن نسفت رصاصة غادرة لقناص صهيوني دماغها ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا نعش الشهيدة وحاولوا اختطاف جثمانها

نقلًا عن موقع الهدف الإخباري: "لقد اختار العدو الصهيوني اللحظة السياسية لاغتيالها، حين علم أنها قدمت للمدينة والمخيم قبل عدة أيام حتى توثق جرائمه مجدداً، بعد أن أدركت بوعيتها الوطني وذكائها السياسي وبخبرتها الصحفية الميدانية، أن العدو بصدد إشعال معركة جديدة في المخيم لرفع معنويات المستوطنين، وكانت جنازة جماهيرية غير مسبوقة في تاريخ فلسطين، بدأت على شكل مظاهرات بالألوف في جنين المخيم والمدينة، وعلى شكل استقبال جماهيري من قبل جماهير عشرات القرى على الطريق بين جنين ونابلس وبين نابلس ورام الله، وهم يلقون بالورود على الجنازة وسط إطلاق الزغاريد، ناهيك عن الجنازة العسكرية والشعبية بعشرات الألوف"

"الشهيد: ثائر خليل "اليازوري"**تاريخ الاستشهاد: 2022/5/11**

ارتقى الشهيد بعد إصابته برصاصة في القلب بشكل مباشر أطلقها عليه جنود الاحتلال على جبل الطويل بمدينة البيرة، وقد وجدت هذه الورقة بين كتبه المدرسية والتي خطها بيده

**الشهيد: وليد الشريف****تاريخ الاستشهاد: 2022/5/14**

كان الشريف قد أصيب برصاصة معدنية في رأسه أدت الى تهتك في الجمجمة ونزيف حاد في الدماغ، خلال مواجهات باحات المسجد الأقصى في (22 نيسان 2022)، وتعرض للسحل من جنود الاحتلال، وتأخير تقديم العلاج له حتى دخل في غيبوبة حتى ارتقائه شهيداً، ولم تسلم جنازة الشهيد من اعتداء وبطش جنود الاحتلال حيث هاجموا المشيعين وأطلقوا الرصاص وأصيب ما يزيد عن 80 إصابة منهم إصابات حرجة



الشهيد: داوود الزبيدي

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/15

الشهيد داوود الزبيدي شقيق الأسير زكريا الزبيدي
وسليل عائلة من الشهداء وأبرز قادة كتائب شهداء
الاقصى، استشهد خلال اشتباكات مسلحة مع العدو
الصهيوني في جنين



الشهيد: أحمد أبو سعادة

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/20

استشهد برصاص الاحتلال الصهيوني الغادر في مخيم
النصيرات



الشهيد: أمجد الفايد (فرعون)

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/21

"رأدار المخيم، عين الكتبية، هيئة الطفل، قلب المقاتل، نعومة العلم، وصلابة الثائر، وعي المثقف، وإيمان الانبياء" هكذا وُصف الشهيد فرعون، المشهور بصاحب أول إنفجار حيث عُرف بالتصدي للقوات المتوغلة بالأكواع المتفجرة من مسافة صفر مثل التي ألقاها على جنود الاحتلال في شارع حيفا قبل أن يرتقى شهيداً، استشهد بأحد عشر رصاصة من جنود العدو الصهيوني

والشهير أمجد الفايد هو ابن أخ الشهيد أمجد الفايد والبطل مجد الفايد أبطال معركة جنين ٢٠٠٢



الشهيد: غيث يامين

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/25

استشهد غيث برصاص قوات الاحتلال في اشتباك وظهر جثمانه متقلداً صورة الشهيد مجد الدخيل، ومن وصية الشهيد غيث:

"ما بدّي حدى ينساني

لا تحطوني بتلاجة لأنو ما يحب البرد

بس بدكم تدفنوني اختاروا مكان فيه أطفال عشان ما أضل لحالي.. تعالوا كل كم يوم زوروني واحكوا معي"





الشهيد: زيد غنيم

تاريخ الاستشهاد: 2022/5/27

استشهد الفتى برصاص الاحتلال الإرهابي في بلدة الخضّر



الشهيدة: غفران وراسنة

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/1

استشهدت الأسيرة المحررة غفران وراسنة بعد إطلاق جنود الاحتلال النار عليها أمام مدخل مخيم العروب شمال الخليل



الشهيد: ياسر المصري (أبو مصعب)

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/1

استشهد القائد في سرايا القدس الشهيد المجاهد ياسر المصري قائد كتيبة دير البلح في قطاع غزة متأثراً بإصابته التي أصيب بها في معركة سيف القدس خلال قصف صهيوني لموقع للسرايا



الشهيد: بلال كبها

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/1

ارتقى الشهيد بعد إصابته برصاص الاحتلال أثناء الاشتباك مع قوات العدو المقتحمة جنين وكان رفيق الشهيد سميح عمارنة وقد أصيبا معاً، وقد استخدم الشهيد بلال مسدس بدائي الصنع لأجل التصدي لقوات العدو، وقد أصيب ضابط الإسعاف الذي حاول سحب جثمان الشهيد بذراعه لحظة سحبه للدلالة على همجية ودموية هذا الكيان الصهيوني



الشهيد: أيمن محيسن

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/2

الشهيد أب لثلاثة أطفال، جريح وأسير محرر مرتين حتى
استشهد مشتباً أثناء تصديه لجنود الاحتلال خلال اقتحام
مخيم الدهيشة خلال اقتحام المخيم



الشهيد عودة محمد عودة

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/2

استشهد بعد إصابته برصاصة في الصدر في قرية المدية
غرب رام الله

الشهيد محمود فايز أبو عيهور

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/9



ارتقى الشهيد متأثراً بإصابته في رأسه برصاص الاحتلال خلال المواجهات التي اندلعت في حلحول، وكان الشهيد قد رزق بمولود قبل أقل من شهر من استشاده

الشهيد: سميح عمارنة

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/11



أسيراً فجريحاً ثم شهيداً، الشهيد الأسير المحرر سميح عمارنه ارتقى متأثراً بإصابته برصاص الاحتلال خلال مواجهات في يعبد قبل أيام لهدم منزل الشهيد ضياء حمارشة ، وكان قد أطلق عليه رفاقه لقب سميح المغوار، تكريماً لشجاعته وبسالته في التصدي للاحتلال



الشهيد: نبيل غانم

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/19

استشهد العامل الفلسطيني نبيل أحمد سليم غانم بنيران جيش الاحتلال أثناء محاولته عبور جدار الفصل العنصري في منطقة قلقيلية



الشهيد: براء لعلوح

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/17

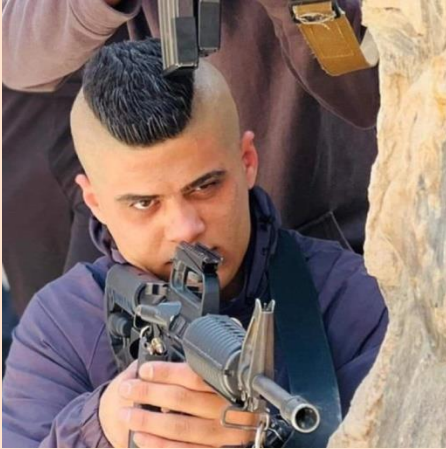
ارتقى الشهيد المجاهد براء لعلوح اثر عملية اغتيال جبانة من العدو الصهيوني في مدينة جنين مع رفيقيه الشهيدين يوسف صلاح وليث أبو سرور



الشهيد ليث أبو سرور

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/17

استشهد مع رفيقيه الشهيدين يوسف صلاح وبراء لحلوح، في عملية اغتيال جبانة من العدو الصهيوني.. ويذكر أن الشهيد شقيق الشهيد القائد في سرايا القدس علاء أبو سرور



الشهيد: يوسف صلاح

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/17

استشهد الشهيد مع رفيقيه براء لحلوح وليث أبو سرور في عملية اغتيال جبانة من العدو الصهيوني، والشهيد يوسف هو شقيق الشهيد سعد صلاح



الشهيد: علي حسن حرب

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/22

استشهد الشاب علي حسن حرب بطعنة بالقلب من مستوطن قرب سلفييت ولم تسلم جنازة الشهيد بل اعترضتها قوات الاحتلال الصهيوني اثناء التشييع



الشهيد: محمد حامد

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/25

استشهد بعد إصابته واعتقال جثمانه بالقرب من بلدة سلواد شرق رام الله وسلم جثمانه بعد أيام من اعتقاله، وكان قد تمنى الشهادة ووعده والدته: "بإهانة جيش العدو واحضار علم الاحتلال عن ظهر الجيب ورميه تحت قدميها"

الشهيد: محمد مرعي الزرعيني (أبو علي)

تاريخ الاستشهاد: 2022/6/29



استشهد بعد اشتباك مسلح مع العدو الصهيوني في اقتحامات جنين ووصل المستشفى وهو ما زال حي ولكنه استشهد قبل أن يدخل إلى العمليات، وهو ابن خالة الشهيد براء لحلوح

وقال والد الشهيد بعد تشييعه: "ابني تمنى الشهادة ونالها"

وتستمر التضحيات في فلسطين المحتلة وتستمر دماء الشهداء على طريق النصر والتحرير، وعلينا نحن إكمال مسيرتهم، فمنهم الشهادة وعلينا الوفاء.

الأيدولوجيا كحلقة مركزية في المقاربة العلمية للسينما

مالك خوري



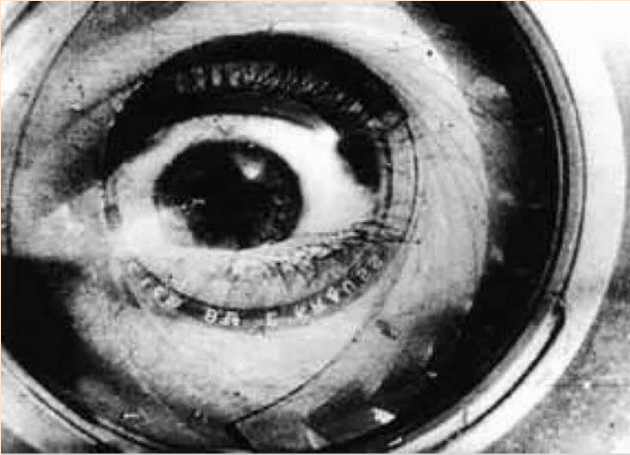
كبنية دائمة التفاعل مع المتغيرات التاريخية لهذه المرحلة من تاريخ الرأسمالية والصراع الطبقي.

الكثير من الأبحاث والدراسات الأكاديمية هي أكثر اهتماما بتجاوز الميول السائدة في الثقافة السينمائية السائدة والتي ما زالت في معظمها "تقدس" عزل النشاط السينمائي والأفلام وقراءتها عن تقاطعاتها المادية المعقدة. ومن ناحية ثانية، هناك العديد من أشكال النقد والقراءة الأكثر علمية للسينما والتي تهدف أيضا للوصول إلى جمهور أوسع من ذلك المحصور بنخب الاختصاصيين والأكاديميين.

وأحد المكونات الأساسية التي تدفع بهذا الاتجاه يكمن في التزايد الهائل والمتسارع في استعمال وسائل التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت واهتمامها بنشر قراءات لم يكن ليراها أحد من قبل خارج المكتبات الجامعية وأوساط النخب. وجمهور هذه الأبحاث والقراءات النقدية المغايرة في الشكل والمحتوى أصبح اليوم يضم تقاطعات جديدة تشمل أجزاء

في هذا المقال أهدف للمساهمة في إعادة الاعتبار للتقييم العلمي للسينما باعتباره حجر الأساس في قراءتها كظاهرة اجتماعية مفصلية في الحياة المعاصرة. وفي هذا أسعى لإلقاء الضوء على أسس نظرية مركزية في قراءة مكونات الممارسة السينمائية وتطور ذلك خلال القرنين الماضي والحالي.

وهذا التقييم يركز على قراءة المضمون/الموضوع، اللغة والشكل، المشاهدة والتلقي، والصناعة كنماذج أساسية في القراءة العلمية للممارسة السينمائية، لكن ليس كمكونات منفصلة عن بعضها البعض، بل كمكونات تكتسب فعاليتها بالارتباط مع البنية الأيدولوجية العامة للمجتمع. كما أهدف هنا إلى إعادة التركيز، ليس فقط على تناول الأكاديمي أو المتخصص لهذه المكونات كركائز للقراءة العلمية للسينما ضمن البنية الأيدولوجية العامة في مجتمعاتنا المعاصرة، بل أيضا كأساس لتطوير القراءة النقدية للأعمال السينمائية، كجزء من الفهم الثوري العضوي للممارسة السينمائية



البلشفيون (من خلال مقولة لينين المعروفة) كانوا اول من ميز الاهمية المركزية الايديولوجية للسينما "كأهم نوع من انواع الفنون"

المقاربات تعيد في أساسها اجترار الكتابات التي ظهرت في المراحل التكوينية لظهور السينما في العقدين الأولين للقرن المنصرم، والتي اتسمت بتكريس وتمكين هيمنة أشكال الإنتاج والتسويق الرأسماليين على "اختراع" السينما في نهاية القرن التاسع عشر وامتصاصه تدريجاً للقيام بدوره كجزء من النظام الرأسمالي العالمي بدءاً بأوروبا ومروراً بالولايات المتحدة ثم دول الأطراف.

إن السينما بمفهومها الواسع، والأعمال السينمائية كمراجع محددة، كانت وما زالت تمثل مكونات عضوية داخل اللحظة التاريخية التي تولد فيها وتقارب من ضمنها البيئة التي تخرج منها وتحاكي العالم الأوسع من خلالها. إذ لا وجود لعمل سينمائي بمعزل عن الواقع المادي لتلك اللحظة التاريخية التي يخرج من أحشائها إلى النور، والتي يبدأ من خلالها رحلة تفاعله مع الحيز الاجتماعي الأوسع الذي يحيط به والذي يصبح هو أيضاً جزءاً عضوياً منه.

هذا يعني أن أي محاولة لتقديم قراءة ثورية للسينما (بمعنى وهدف المساهمة في عملية تغيير بنى الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية الطبقيّة السائدة في المجتمع)، لا بد لها أن تتبع نهجاً علمياً لقراءة الواقع المادي للممارسة السينمائية كممارسة ثقافية (Cultural Practice)

أوسع من جمهور السينما والفنون وكذلك أوساطاً هامة من الناشطين المهتمين بالقضايا الاجتماعية والسياسية لعالمهم. كل هذا يتمخض عن مزيد من التفاعل ما بين هذه الأوساط، وانبثاق نوعيات مختلفة من المهتمين بالقراءة عن السينما كإطار معرفي يساعد في فهم ديناميات البنية الايديولوجية التي تهيمن على عالمنا المعاصر، وبالتالي يساعد على تلمس وسائل جديدة لمقاومة تلك الهيمنة وما تمثله.

ويبقى ما اصطلح على وصفه بقراءات نقدية سينمائية "محايدة" أو "غير مسيئة" أو "فنية خالصة" أو "غير مؤدلجة" أو محض "خاصة" و"شخصية" (والذي يعاد تسويقه وتدويره اليوم بالاستفادة من تراجع نفوذ القوى السياسية الثورية)، "قميص عثمان" الذي يختبئ وراءه كل من يبقى متمرساً خلف القراءات الانطباعية أو الانتقائية الشعبوية للسينما ولثقافة السينما. وهذه التوصيفات لمنهجيات قراءة السينما تتماهى بوضوح مع ما هو سائد ويتم الترويج له في الدوائر المهيمنة في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، كما ضمن المؤسسات المهيمنة على الثقافة السينمائية محلياً وعالمياً، وتسهم في النهاية في إعادة تدوير السينما في الوعي الشعبي كظاهرة يمكن التعاطي معها بمعزل عن الواقع المادي والتاريخي المفترض أن يحكم التوجهات العلمية في دراسة الظواهر الثقافية في العالم المعاصر.

ومن أخطار هذا النوع من القراءة أنه يهملش طبيعته الفهم العلمي للسينما كأداة يمكن أن يكون لها دور فاعل (agency)

على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية لمجتمعاتها وللعالم. وبالتالي، فإنه يسهم في إعادة التدوير الحصري للممارسة السينمائية كمجرد سوق آخر من أسواق بضائع الاستهلاك الرأسمالي المهيمن. وبهذا يعاد ترسيخ فكرة السينما حصرياً كإحدى ألعاب التسلية الوقتية المعدة للاستهلاك الجماهيري السريع و"البريء". وفي الواقع، فإن مثل هذه

مع الظواهر الاجتماعية "غير الفنية"، تصبح فجأة مفتوحة أمام التأويل والاستثناء عن القاعدة. ومن أكثر "الاتجاهات" شيوعاً بين الرافضين، من حيث المبدأ، لأهمية اتباع منهجية علمية في التعامل مع الفنون كظواهر اجتماعية مادية وتاريخية، هو الاتجاه "الذي يدفع نحو نوع من "الاستثنائية المعرفية Epistemological Exceptionalism في تقييم أو دراسة تلك الفنون.

فما اعتدنا على وصفه بالفنون على مدار التاريخ يرتبط بشكل أو بآخر بعلاقة خاصة بالتعبير عن أحاسيس وانفعالات وعواطف إنسانية خاصة وغير ثابتة المعالم. لذلك فإنه، حال التناول البحثي للفنون أو للأعمال الفنية، ترتفع أصوات البعض منادية بضرورة تجنب دوغما فرض إطار نظري ثابت على التحليل باعتباره يصبح "غير ملائم" في وضعية الفنون.

ويزعم بعض هؤلاء أنه أخذاً في الاعتبار أننا نتعامل هنا مع "قيم جمالية" (لاحظ هيمنة الفكر المثالي الأفلاطوني المهيمن في هذا التوصيف)، يصبح من المفترض علينا أن نغلب شيئاً من التعاطف الوجداني والعاطفي في تحليلنا لدى تناولنا لمادة فنية، وبالتالي ألا نقاربه ببرود شأنها شأن تعاملنا مع مواضيع أخرى مثل العلوم الطبيعية والوضعية أو العلوم الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام.

وامتداداً لهذا المنطق، يصبح من المقبول بالنسبة لنا كباحثين أو كنفاد أن تقود مقارباتنا في هذا المجال، أو تطغى عليها، وجهات النظر والتحليلات "الذوقية" أو الانطباعية. من هنا يصبح تغليب مقارنة الفنون بإيحاءات وانحيازات انطباعية فنية، دينية، إثنية، أو استناداً إلى رصد القيم الترفيهية أو الاستهلاكية للعمل، أو على أساس شخصية علاقة الفن والعمل الفني بالفنان، أشكالاً منهجية مقبولة لدى دراسة وتقييم الفنون (وهذا ما يحصل بالفعل لدى الأكثرية الساحقة من القراءات النقدية الشائعة للسينما في

أساسية ونافذة في العالم المعاصر. وفي هذا الإطار، فإن المدخل الأهم الذي يفسح في المجال لفهم الواقع العلمي المادي التاريخي للسينما في مرحلة الأزمة البنيوية الخطيرة التي تعيشها الرأسمالية اليوم، لا بد وأن يحدد نفسه أولوية المساهمة في رصد وكشف ماهية وكيفية تفاعل الأيديولوجيا مع الثقافة الشعبية بشكل عام والسينمائية منها بشكل خاص.



فيلم المخرج الكوري بونغ جون-هو "بارازايت" قدم إعادة قراءة للتناقضات الطبقة التي تعود للواجهة في معظم دول العالم الرأسمالي في الاطراف بما فيها "المعجزات الآسيوية" المزعومة: السينما كواجهة تعبر عن جدليات الصراع الطبقي المعاصر.

أ-الإشكالية البحثية للمقاربة العلمية لطبيعة ودور السينما:

من المتعارف عليه أكاديمياً لدى دراسة وتقييم الظواهر الاجتماعية والإنسانية أن يجري أولاً تحديد الهدف من القيام بهذه الدراسة. وبغض النظر عن اختلاف الزوايا أو الرؤى أو الاتجاهات النظرية تجاه الموضوع المطروح، يبقى هناك نوع من الاتفاق الضمني بين معظم الباحثين على أولوية استخدام "منهجية علمية" محددة وواضحة لدراسة أي واقع أو ظاهرة اجتماعية.

لكن، ما أن تطرح أفكار متعلقة بدراسة الظواهر الفنية (وعلى اختلاف تجسيداتهما في الحاضر أو في التاريخ)، فإن الاتفاق حول أولوية اتباع "منهجية علمية" في الدراسة (والتي تتمتع بشبه إجماع حولها لدى التعامل



من خلال محاولاته لاختراق وفضح ما هو مهيمن ايدولوجيا في السينما، قدم جان لوك-غودار اهم التغيرات البنيوية التي طرأت على فن السينما منذ تأسيسها

التراث والواقع المادي التاريخي للانسان، فإن محاولة تعريف وتحديد أطر لدراسة الفنون ومنها السينما ترتبط بدورها برصد أشكال تفاعلها كمكون أساسي في البنية الأيديولوجية التاريخية لهذا التراث والواقع.

وهنا، من الضروري أن أحدد إطار استعمالني لتعبير "أيدولوجيا".

فاستعمالني للكلمة لا يرتبط بالتفسير "الشعبي" لها كرمز لآراء أو أفكار متباينة يجري تبنيها من قبل أفراد أو مجموعات أو دول، ويستلهم في المقابل التنظير الماركسي بشأن بنى (Structures)

لوعينا ونظرتنا لما يحيط بنا. وبالتالي، فإن الأيدولوجيا هنا هي بنية نصبح نحن جزءاً عضواً ودائم التحول ضمنها بحكم دخولنا وبدء تفاعلنا مع اللحظة الاجتماعية والتاريخية التي نولد فيها ونعيش ضمنها. فكما يشير ماركس في كتابه "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي

Contribution to the Critique of Political Economy":

"في الإنتاج الاجتماعي لحياتهم، تنشأ بين الناس صلات معينة، مستقلة عن إرادتهم، وهي علاقات إنتاج تناسب درجة معينة من درجات تطور قواهم الإنتاجية المادية. ويشكل مجموع هذه العلاقات الإنتاجية، البنية الاقتصادية للمجتمع، أي القاعدة الحقيقية، التي تقوم فوقها البنية الحقوقية والسياسية،

الصحافة والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي).

نحن بالطبع نتفهم، إلى حد ما، الدور الخاص الذي تلعبه ذاتية وتنوع الرؤية سواء في عملية تبلور العمل الفني نفسه أو في تنوع أشكال تلقيه والتفاعل معه. إذ كيف يمكن لنا مثلاً أن نتجاهل دور الأعمال الفنية في عكس أو إثارة مشاعر خاصة لدى المشاهد تحيلها فعلياً إلى "مواقف" منحازة عاطفياً أو أخلاقياً أو دينياً أو سياسياً أو ما شابه؟ بالتالي، فإنه من الطبيعي أن تشوب حتى بعض المنهجيات العامة للتحليل "العلمي" للمادة الفنية ببعض الأبعاد والرؤى ذات الطابع "العاطفي" أو الشخصي الخاص.

بيد أن الإشكالية هنا لا تكمن في الاعتراف بوجود هذا العامل المضاف في تحليل وقراءة الأعمال الفنية في حد ذاته (وإن لم يكن هذا العامل بالضرورة عاملاً يقتصر على الفنون أو العلوم الإنسانية بل يشمل في الواقع الكثير من العلوم الإنسانية، بل تتجسد في وضع تلك الاعتبارات في موقف النقيض أو البديل لهدف محاولة اتباع منهجية علمية. فالخطأ الأساسي للتوجهات التي أشرنا إليها يكمن إذاً في وضع الاتجاهين في تناقض مع بعضهما البعض. فالتعبير، على سبيل المثال، عن الميل أو عدم الميل الشخصي لعمل فني محدد لا يمنعنا بالضرورة من سبر غور الأبعاد الشكلية والبنائية والسميائية لهذا العمل، كما أنه لا يتناقض بالضرورة مع استشراق مكامن تأثير والتأثير البنيوي للعمل في الزمان والمكان والديموغرافيا والتقنيات المتصلة به وتأثيرها به.

ب-في المفهوم العام للأيدولوجيا:

إذا أخذنا بالاعتبار أن ردود الفعل والعلاقة بين الفنون والإنسان ترتبط بمدى تأثيرها وتأثيرها ومساهمتها في رفد التاريخ الإنساني واجترار، أو تحفيز، التعبيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (بطريقة مباشرة أو غير مباشرة) فيه، وأن الفنون مثلت دائماً جزءاً عضواً من

والأيديولوجيا تعمل من خلالنا بشكل أساسي
"كتابيين" أو Subjects

لها يجري تكوين أساس هويتنا ونظرتنا إلى
المجتمع والحياة والدين والتاريخ والسياسة
وغيرها ضمن عمليات تفاعل معقدة ودائمة
الصراع والحركة مع، وضمن، الواقع المادي
الذي نولد منه وفيه ونعيش ضمنه. وبالتالي،
فإن الأيديولوجيا تعبر في النهاية عن علاقة
"وهمية" تحدد كيف ننظر إلى نفسنا
وعلاقتنا بالعالم، ونقبل بها وندخل في لعبتها
لأننا في الدرجة الأولى لا نميز هيمنتها علينا أو
لا نعترف بوجودها.

ومن أهم خصائص الأيديولوجيا أنها في
الوقت الذي تحاكيها وتحدد عمليا الأطر العامة
لتفكيرنا منذ ولادتنا، فهي تضيف على هذا
التفكير أيضا صفة "التطبيع الذاتي" أو
(Internalized)

فمن خلال ما يطلق عليه لويس ألتوسير
توصيف "جهاز الدولة الأيديولوجي" أو
(Ideological State Apparatus)

والذي يضم في ما يضم التراكمات الفكرية
التي تطبعنا، توهمننا الأيديولوجيا بأن تلك
الأفكار هي بالفعل أفكارنا نحن وأننا نحن الذين
اخترناها واخترنا تبنيها بمحض إرادتنا
واستقلاليتنا.

فعلى الرغم من أننا ندخل "بوابة الحياة" ونحن
مفعمون بأوهام "الإرادة الحرة والمستقلة"،
فإننا في الواقع ندخلها مثقلين بأحمال
أيديولوجية ضخمة كنا قد راكمناها وتطبعنا
بها ثم طبعنا معها. وهي لا تعدو كونها جزء
من مكونات الإرث غير المحدود والمهيمن
على الحيز الأضخم الذي يرسم في النهاية
شكل

ومضمون
ردود أفعالنا
ومشاعرنا
وأسلوب
تعاطينا مع ما

والتي تتوافق مع أشكال معينة من الوعي
الاجتماعي. فنمط إنتاج الحياة المادية هو شرط
العملية الاجتماعية والسياسية والعقلية للحياة
بوجه عام. وليس وعي الناس هو الذي يحدد
وجودهم، بل على النقيض، وجودهم
الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم." (1987،
263)

من الواضح أن هذه الصيغة تركز في النظر
إلى الفكر الإنساني كحيز "يعكس"، أو يعيد
إنتاج، البنية الاقتصادية للمجتمع ويلعب الدور
الأساس في "تحديد وعيه". وبناءً عليه، فهي
تشدد على مركزية حركة القوى الإنتاجية
للاقتصاد في المجتمع (الأشخاص العاملين
بشكل أساسي، وكذلك الأدوات المادية
للإنتاج)، ودورها المحوري في تحديد شكل
ومستوى وعي المجتمع وتقليباته. غير أن
التفسير المبسط لهذه الصيغة، قد يفضي إلى
جدلية ترى في الثقافة والأيديولوجيا مثلا
كمجرد "انعكاس سلبي"، أي غير مؤثر أو فاعل
في التغييرات على علاقات الإنتاج المادية.
وهذا بالطبع تفسير اختزالي للتعريف لا يعبر
عن الفهم الجدلي للعلاقة في ما بين
الأيديولوجيا والبنية الاقتصادية للمجتمع.

فالبنية الأيديولوجية التي ندخلها، بغض النظر
عن إرادتنا ونفرض من خلالها أساس شكل
ومحتوى نظرتنا إلى نفسنا وإلى العالم الذي
يحيط بنا، هي أيضا بنية دائمة الحركة وعلاقتنا
بها، أي تأثرنا بها وتأثيرنا فيها، هي علاقة
شديدة التعقيد ودائمة التغير.

والأيديولوجيا ليست قوة هلامية تعمل
كالسحر، بل هي تنبثق عن الواقع المادي
المتحرك الذي ولدنا داخله ونتواجد ضمنه
خلال فترات مختلفة من حياتنا. كما أنها
تكتسب قوتها وإعادة تكوينها من خلال مادية
وجودنا وتفاعلنا مع، وداخل، الواقع الاجتماعي
والثقافي والسياسي الذي نحن جزء منه.



مساهمات ألتوسير في التحديد العلمي لفكرة
الأيديولوجيا، كانت حجر الأساس في تطور
النظرية السينمائية كما نعرفها اليوم

مرحلة مفصلية ربما تكون الأكثر خطورة في تاريخ البشرية. فالقرنان اللذان رافقا نشوء السينما وتطورها حتى اليوم شهدا، وما زالا يشهدان، على مرحلة وصلت فيها القوى التطبيقية الرأسمالية (في مرحلتها الإمبريالية) إلى التحكم بالعالم من خلال قوى وتقنيات تدميرية (حربية وغير حربية) غير مسبوقه. وهذا التحكم أصبح يجعل من "الإنسان" رهينة لدى هذه القوى التطبيقية التي تهيمن على مقدراته ومصيره، والقادرة عمليا على تدمير البشرية والبيئة التي يقطنها الإنسان مئات مضاعفة من المرات.

توسعت اتجاهات التحليل الأيديولوجي للسينما (كأحد أهم المفاصل النظرية لتطور النظرية السينمائية)، وذلك بالتدرج من التركيز على الاقتصاد السياسي للثقافة ومن ضمنها السينما (مدرسة فرانكفورت كان لها دور مركزي في ظهور وفي تطور هذا الاتجاه)، مروراً بالتركيز على الموضوع/القصة والقيمة العامة للفيلم، ثم إلى تحليل النص السينمائي ودراسته في إطار الأشكال الأيديولوجية لتركيبته اللغوية والنصية، ثم مروراً بدراسة أطر المشاهدة والتلقي وكيفية مساهمتها في بلورة الموقع الاجتماعي للعمل الفني.

فمنذ بدايات تكونها، وحتى يومنا هذا، شهدت السينما على نشوء وتطور توجهات نظرية ركزت بشكل أو بآخر على دورها كفاعل وكمفاعل أيديولوجي في حياة الانسان المعاصر. وبالتالي، فإن محاولة فهم أو تقييم تطور التنظير السينمائي بمعزل عن استيعاب تفاعله المستمر والمتعدد الأشكال مع مفهوم "الأيديولوجيا" لا يفصل فقط بين هذا التنظير وواحد من أهم مصادره النظرية تاريخياً، بل إنه يعيق وإلى حد كبير قدرتنا على استيعاب الخصوصيات المتعلقة بكل من الأطر التي ميزت التنظير السينمائي في مراحل مختلفة من تاريخه.

يحيط بنا أو ما يمر عَرَضاً أو يدخل في نطاق عالماً. ويشمل هذا الإرث كل ما تكسب لدينا من أفكار وتوجهات وتوجسات عائلية، وتعليمية، وقانونية، ودينية، وذات علاقة ببيئتنا الاجتماعية، ولغتنا، وإعلامنا، وفنوننا. إضافة لكل هذا، تتفاعل علاقتنا مع هذه المكونات من خلال "مصفاة" شخصيتنا الخاصة والتأثيرات الواعية واللاواعية على هذه الشخصية / الكيان الفيزيولوجي بالعلاقة مع كل ما أحاط ويحيط بها خلال رحلتها ومحطات حياتها المتعاقبة.

إذاً، بغض النظر عن نوايانا، فنحن محكومون أيديولوجياً، في النهاية، بالتفاعل مع السينما، كمشاهدين "تابعين" (subjects)

وذلك حتى قبل أن ندخل إلى قاعات العرض، أو نشغل جهاز الكمبيوتر لمشاهدة فيلم سينمائي. أي أن تقييمنا لما نشاهده في هذا السياق هو بالضرورة يمثل في أساسه رؤية متناغمة مع الأيديولوجيا التطبيقية المهيمنة على المجتمع والعالم الذي نعيش فيه والذي تهيمن "مسلّماته" وتأثيراته على الحيز الأوسع من رؤانا الفكرية العامة الأساسية. كل هذا يعني أن القطبين الرئيسيين في معادلة الممارسة السينمائية (القطب المكوّن والقطب المتلقي والاستيعابي وما بينهما)، كلها محكومة بنفس الأسس التطبيقية للبنية الأيديولوجية السائدة ودينامياتها. إذ كما ندخل نحن الحياة (بمعناها الأوسع والأشمل)، ندخل أيضاً السينما من خلال بوابة الأيديولوجيا لتتفاعل مع ما نشاهده سلباً وإيجاباً أو بلا اكتراث.

ج- الأيديولوجيا كرافد أساسي للقراءة العلمية للسينما:

ومع تطورهما ضمن سياق تاريخي بدأ في نهاية الألفية الثانية وما زال مستمرا مع بدايات الألفية الثالثة، فُرض على السينما (شاءت ذلك أم أبت)، أن تضطلع بحيز أساسي من رُفد وتكوين معالم البنية الأيديولوجية للإنسان وبالتالي في تحديد اختياراته الفكرية ضمن

فهذه الأطر، وإن كان بعضها قد اتسم في مراحل تاريخية معينة ببعض الاستقلالية النسبية العامة، أو بالقدرة على "التحديد" النسبي لبعض الأدوات المهيمنة داخل "السينما السائدة"، فهي بمجموعها أو بمفردها، وبشكل أو بآخر، لعبت وما زالت تلعب دوراً رئيساً في تحديد شكل ومحتوى الفيلم السينمائي والثقافة السينمائية بما يتلاءم مع، أو على الأقل لا يخالف، المصالح العامة أو الاتجاهات الفنية، الأخلاقية، أو السياسية للطبقة الرأسمالية المهيمنة. وهذا لا يستبعد تلك المعبرة عن التوجهات "الليبرالية" داخل هذه الطبقة، والتي ساهمت تاريخياً في امتصاص التنشجات الطبقية والسياسية التي كانت تطبع مراحل الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تعيشها المجتمعات الرأسمالية سواء في دول المركز أو في الأطراف.

بيد أن تفاعل الأيديولوجيا مع السينما والثقافة بشكل عام (وعلى الرغم من خضوعه في النهاية لسيطرة مصالح وتصورات الكتل الاقتصادية والاجتماعية المهيمنة) يتسم أيضاً بتعقيدات وتفصيلات تجعل من الهيمنة الأيديولوجية فيه محطة مفتوحة ومتأثرة دائماً بتحديات وصراع التناقضات فيما بين الطبقات المهيمنة نفسها، وفيما بين تلك الطبقات وتلك المهيمن عليها والفئات الاجتماعية الأخرى المهمشة. فواقع كوننا "تابعين" أيديولوجياً لا يعني أننا غير قادرين على التفاعل المستقل نسبياً مع واقع الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة.

والتنظير السينمائي استفاد بوضوح من تحليل طبيعة الهيمنة الرأسمالية

(Capitalist Hegemony)

خصوصاً ما يتعلق منها بتطوير فهم دور الأيديولوجيا في الصراع الطبقي. فالتطوير النظري للزعيم الشيوعي الإيطالي أنطونيو غرامشي لمفهوم "الهيمنة" كساحة لا تلغي واقع الهيمنة الطبقية لرأس المال ولا تقصي



فيلم "معركة الجزائر" (١٩٦٦) لجيلو بونتيكورفو كان من أهم محاولات "السينما الثالثة" لفرز نفسها كبديل للسينما السائدة

في صلب كل هذه الاتجاهات النظرية التي تناولت طبيعة ودور السينما كان هناك موضوع الثقافة في مرحلة الرأسمالية المعاصرة، والسينما كجزء أساسي في الواقع الجدلي لهذه الثقافة، وكيف أن القوى المهيمنة في علاقات الإنتاج الاقتصادية، هي التي تحسم في النهاية (overdetermines) المعالم العامة لأشكال إنتاج وتسويق وتلقي السينما. وبالتالي، فإن الطبقة المهيمنة داخل نظام العلاقات الرأسمالية هي التي ترسم في النهاية الأطر والأشكال الأساسية الأكثر نفوذاً في فرض الهيمنة الأيديولوجية العامة للسينما كمارسة ثقافية وكنظام عام فاعل داخل النظام الرأسمالي. من هنا كان وما يزال تردد مقولة أن فيلماً، أو مجموعة أفلام لن تغير بحد ذاتها نظاماً سياسياً أو اقتصادياً سائداً.

والحيز الأكبر من الأهداف المعلنة للتنظيرات السينمائية حتى اليوم ركز على دراسة وتقييم ورسم العلاقة مع ما هو متعلق "بالسينما السائدة". ومفهوم السينما السائدة ممكن أن نربطه بالشكل العام المهيمن على الصناعة السينمائية بوجهها العام، والذي يعتمد على واحد أو أكثر من أطر الإنتاج، أو التوزيع أو التسويق أو العرض السينمائي، السائدة سواء على المستوى المحلي أو العالمي.

تناقض مصالحها الطبقية مع مصالح الطبقات العاملة حتى في إطار هيمنتها الطبقية العامة، كان له دور هام في فهم وموضعة الممارسات السياسية والثقافية البديلة أو المغايرة أو المتميزة طبقياً عن تلك الهيمنة.

والواقع الجدلي للصراع ضمن أطر الهيمنة الطبقية، عبرت عنه بدورها، وبأشكال مختلفة منذ ستينيات القرن الماضي، ما اصطحح البعض على وصفه بالسينما "البديلة". والتعبير الأصح علمياً برأيي هو السينما "غير السائدة"، لأنه يصف المحاولة "الواعية" لهذا النوع من العمل أو (Conscious) الممارسة السينمائية لاستبعاد بعض الأدوات السائدة أو المهيمنة في تكوين شكل أو محتوى التواصل السينمائي.

وبالرغم من أن تاريخ السينما شهد ملامح عديدة لبزوغ ممارسات سينمائية مغايرة، سواء على صعيد المضمون أو الأسلوب، والتي استطاعت الصمود في وجه محاولات المنع الصريح أو المحاصرة أو التهميش أو التجاهل، فإن البنية الأيديولوجية العامة للسينما السائدة بقيت في النهاية قادرة على استيعاب هذه التمايزات، وعلى استعادة المبادرة لإعادة تأكيد هيمنتها العامة في هذا الإطار.

كما كان يجري هذا (وما يزال) عبر الاتجاه لمحاولة "تحييد" أو استيعاب تلك التمايزات السينمائية من داخل نطاق البنية الأيديولوجية المهيمنة وذلك عبر:

أولاً: استيعاب المضامين أو الأفكار "المغايرة" أو "البديلة" في إطار مقولات الديمقراطية البرجوازية التقليدية حول "احترام وتقبل التنوع والرأي الآخر"، والخطاب الليبرالي "المنفتح" للسينما الأميركية والأوروبية في تعاملها مع قضايا المهمشين اجتماعياً أو المرأة أو البيئة بشكل عام (وكلاهما يمثل جوهرًا تنفيسياً في وجه الفهم الطبقي الثوري البديل لطبيعة بعض تلك التمايزات).

وثانياً: استيعاب المكونات "المغايرة" في الشكل والأسلوب السينمائيين كديناميات "تجديدية" يمكن الاستفادة منها ضمن البنية المهيمنة للسينما السائدة أو كمكمل لها (مساهمات أيزنستين، "الواقعية الجديدة"، غودار، أو السينما التجريبية، وغيرها هي أمثلة تاريخية أساسية هنا).

إذاً، فإن أهم مرحلة في تاريخ تطور النظرية السينمائية وانتقالها من التعاطي الأحادي مع محتوى وشكل النص الفيلمي (وفيما بعد بالعلاقة مع الصانع أو المؤلف السينمائي)، بدأت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. ومنذ تلك الفترة اتجهت تدريجياً الأبحاث والدراسات السينمائية بعيداً عن بعض الجذور الأقدم للتنظير السينمائي والتي ركزت على مناحي دراسة اللغة السينمائية، المخرج، أو النوع السينمائي.

وشهدت نظريات ومنهجيات دراسة السينما توسعاً تدريجياً وتراكماً في قراءتها لطبيعة العلاقة بين العمل السينمائي من ناحية، ومكونات الاقتصاد السياسي للعمل وللصناعة، ومتغيرات التقنية على اختلافها، وديناميات المشاهدة والعرض والتلقي،



تركيز سيرجي أيزنستين على "القطع" مع الحكاية السينمائية على الطريقة الفيلميكية، رسمت أساس مفهوم القطع السينمائي كتعبير عن ما يمكن للسينما أن تقوم بإعادة تركيبه كإعادة رصد علمي للواقع الاجتماعي والسياسي

التحليل النفسي وماركس، فهم كانوا يميلون إلى النظر نحو هذا المكون بنقيس يميل إلى الحصرية، مما كان يفسح في المجال أمام وضع هذا القراءة المحددة في تعارض مصطنع (على سبيل المثال لا الحصر) مع تقييم مضمون أو موضوع العمل السينمائي.

أي أن المنظرين البنيويين في حينه ركزوا على البنية اللغوية (وامتداداتها في التلقي النفسي للمشاهدة السينمائية كما توسع كريستيان ميتز في درسها)، ليس كأمثلة أو أطر محددة لأشكال عديدة ومحتملة لعمل الأيديولوجيا في الممارسة السينمائية، بل كتجسيديات حصرية لشكل عمل الأيديولوجيا في هذا الحيز الأساسي من ثقافتنا المعاصرة. وكذا فعل فيما بعد أولئك الذين شددوا على ديموغرافيات العلاقة بين السينما من ناحية، والمشاهد أو المتلقي أو أشكال التقنيات الفنية، أو والاقتصاد السياسي للإعلام والاتصالات، حين رفض بعضهم الأخذ بالاعتبار الأطر اللغوية والنفسية والسياسية للممارسة السينمائية.

بيد أن نماذج قراءة مكونات علمية محددة داخل وحول الممارسة السينمائية (الكلاسيكية منها والأكثر حداثة)، لا تمثل بالضرورة منهجيات منفصلة عن بعضها أو متعارضة فيما بينها، وإن كانت تتسم في معظمها بالتركيز على أطر وأهداف محددة لأهداف وأولويات أبحاثها. بل إنها تعبر موضوعيا في مجموعها عن تراكمات قراءات متقاطعة ومتنوعة وأكثر جدلية لتلك الممارسة.

إن توسع اتجاهات ومحاولات الفهم العلمي للسينما بامتداداتها المتنوعة على مدار أكثر من قرن، شكل أكثر الأطر تماسكا للفهم النظري للسينما كواحدة من أهم ركائز الثقافة الشعبية المعاصرة وأكثرها نفوذا في رسم معالم الثقافة في مرحلة الرأسمالية المعاصرة. ومن ناحية أخرى، وعلى الرغم من محاولة البعض تصوير هذا التوسع كدليل افتراق عن الفهم الأيديولوجي لها، فإن التوسع والتراكم المستمر لمنهجيات قراءة السينما

من ناحية ثانية. كل هذا أتاح المجال أمام ظهور دراسات أكثر تفصيلا وشمولا في مقاربة واقع الثقافة السينمائية بأطرها الأوسع، وكذلك في رصد تفاعلاتها مع عدة عوامل اجتماعية وجغرافية وتاريخية وديموغرافية تمثل (وإن بأشكال ومستويات متباينة) حيزا فاعلا ضمنها. ومع مساهمة هذه التطورات في رسم أهداف أكثر تحديدا للجوانب العديدة للممارسة السينمائية، بقي من الواضح أن هذه التعددية كانت في النهاية تُبلور نقاشات أكثر علمية وتراكم أبعاداً غير مسبوقة وأكثر تعقيداً لفهمنا الأيديولوجي لكيفية تفاعل السينما مع واقعنا الاجتماعي.

لكن، على الرغم من أن القراءة الأيديولوجية للسينما قد مثلت أحد أهم الأطر التي تم من خلالها تطوير النظرية السينمائية على مدى قرن ونيف من ظهور السينما، فإن هذا التقييم اتسم ضمن مراحل معينة بنزعة "تجزئية" (Fragmentary)

لدى استعماله وتطبيقه على أرض الواقع.

فبالرغم من أن معظم المدارس والنماذج البحثية أو الدراسية عن السينما قد استلهمت أو ارتكزت بشكل عام على العلاقة التي تربط بين الأيديولوجيا والسينما، فإن العديد منها ركز اهتمامه على أطر ومكونات منفردة لهذه العلاقة، وباعتبار أن كلاً منها يمثل عاملاً "حاسماً" ومقرراً لشكل أو أهمية العلاقة الأيديولوجية مع السينما. وبالتالي، فإن ميل العديد من المنظرين للتعامل مع واحد، أو مع بعض، من هذه العناصر بطريقة تفضيلية أو حصرية عن العناصر الأخرى أدى إلى قصور في فهم العلاقة الجدلية بين هذه المكونات ككل من ناحية، وتأثير تقاطعها الفردي والجماعي على طبيعة السينما كعامل أيديولوجي شديد التعقيد والنفوذ في عالمنا المعاصر، من ناحية أخرى.

على سبيل المثال، حين اتجه منظرو الستينيات والسبعينيات نحو تقييم البنية اللغوية للسينما وتقاطعات ذلك مع نظريات

علاقات وأطر اجتماعية وتاريخية مضاعفة ودائمة التحول.

وبالتالي، فإن أي فيلم يخرج إلى الحياة (أو في أي مرحلة من تكونه) يتحول إلى محور لدمج ومراكمة تفاعلات أيديولوجية متنوعة ودائمة الحركة.

وهذا الدمج التراكمي الدائم التحول يشمل ويتخطى الديناميات الأصلية المحدودة لأي عمل سينمائي. وبغض النظر عن نوايا الفيلم وأهدافه، وحتى لو لم تتجاوز تلك الأهداف الرغبة في التعبير عن "رؤية شخصية" أو "خاصة" تجاه موضوع محدد، فإن ديناميات الكتابة والتعبير والشكل والإنتاج والتسويق والتوزيع والعرض والمشاهدة وردود أفعال المشاهدين أو النقاد، على تنوع مواقعهم وأهوائهم والإرث الأيديولوجي الذي يحملونه، هي التي تضفي في النهاية بمجموعها وبتراكماتها المعقدة، هوية وتفاعلاً أيديولوجياً حياً وعميقاً التنوع في وقعه على ما يقوله، على سبيل المثال، فيلم سينمائي بسيط يتناول قصة العلاقة بين طفل وقطته.

إن الفهم الأكثر تكاملاً من الناحية العلمية للسينما وللممارسة السينمائية، إذًا، لا بد وأن يتضمن استيعاباً للأطر التاريخية للتشكيلات والمؤسسات والأدوات التي ترفد عمليات إنتاجها وتوزيعها والدعاية لها وأدوات تلقيها وتداولها، وأشكال ارتباطها وتفاعلها ضمن البنية الأيديولوجية للمجتمع و"مسارته" المادية التاريخية بشكل عام. إذ كيف يمكن الفصل اعتبارياً بين التشكيل "الجمالي" لأي فيلم أو مجموعة أفلام أو ثقافات سينمائية، وبين النطاق الأوسع لعمليات التمويل والإنتاج والتوزيع والدعاية في مرحلة تاريخية معينة؟ وكيف يمكن فصل العملية التكوينية للفيلم "كإبداع" عن البنية والبيئة الأيديولوجية التي يقبع ضمنها المبدع (سواء كفردي أو كمجموعة) الذي شرع بهذا المسار المعقد؟

"كممارسة ثقافية" خلال العقود الثلاثة الماضية ساهم في تعميق فهمنا للسينما كمكون حيوي فاعل على مستويات أيديولوجية عديدة ومتشعبة في حياتنا المعاصرة.

وكون هذه النماذج لمكونات الفهم العلمي للسينما تمثل أجزاء ضمن وحدة معرفية جدلية، فهي بتطورها المستمر تعيد تأكيد أهمية وألوية دراسة سوسيولوجيا الثقافة السينمائية باعتبارها مهمة متميزة عن علم اجتماع يعزل المؤسسات والتكوينات والعلاقات التواصلية بعضها عن بعض. فضمن الربط المنهجي للتوجهات العلمية في البحث السينمائي نقدم أيضاً أساساً لفهم أعمق وأكثر شمولية للسينما كواحدة من أهم الممارسات الثقافية في عصرنا.

لذلك، فإن التوجه العلمي المنفتح على دراسة كافة المكونات المؤثرة والمتأثرة بالسينما كممارسة، تفسح في المجال أمام استيعاب أعمق وأكثر جدلية لطبيعة وأشكال التفاعل الأيديولوجي (نظرياً ومعرفياً) مع هذه الظاهرة الاجتماعية النافذة. ويسهم هكذا توجه على وجه الخصوص في رسم خطوط أكثر وضوحاً في تمايزها مع الاتجاهات الأحادية السائدة في البحث والنقد السينمائيين، والتي لا ترى في السينما أكثر من ممارسة ترفيهية أو "كبضاعة استهلاكية" أو "كفن نخبوي"؛ وكلها اتجاهات ساهمت بترسيخ النظر إلى السينما كعامل "محايد" (بنية وفعالية) في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والأيديولوجي في العالم الرأسمالي المعاصر.

في النهاية، فإن السينما هي ممارسة ثقافية أيديولوجية مركبة تولد ضمن لحظات اجتماعية وتاريخية ومكانية محددة، وتصوب (إرادياً أو لا إرادياً) باتجاه التواصل مع أطر اجتماعية وتاريخية ومكانية واسعة أو محددة في آن معاً. وامتداداً لهذا التواصل الأولي تتفاعل هذه الممارسة بشكل تراكمي مع

د- تطور دور البحث السينمائي وموقع المثقف العضوي الثوري:

على الرغم من أن الكثير من المساهمات النقدية "المغايرة" نجحت في الاستفادة من استعمال تقنيات التواصل الجديدة واستطاعت مشاركة أفكارها وأبحاثها مع أوساط سينيفيلية وسياسية أوسع، فإن المظاهر المعبرة عن التغيرات النظرية المفصلية في أولويات دراسات وأبحاث السينما على الصعيد الأكاديمي لم تتمكن بعد من أن تحقق أي تغيير يذكر في فرز تيار بديل قادر على فرض وجوده وهويته المستقلة إلى جانب الأطر المهيمنة التي تحكم وتحدد خطاب التعاطي مع السينما والأعمال السينمائية في وسائل التواصل الاعلامي والاجتماعي، وحكما ليس ضمن تلك التي تهيمن على الخطاب والممارسات داخل الفعاليات والمؤسسات الرئيسية للثقافة السينمائية (مهرجانات، منصات، ورشات).

وبخلاف بعض المتغيرات التفصيلية والمبعثرة ضمن ظروف معينة، بقيت منهجيات التعاطي مع السينما في وسائل التواصل الجماهيري السائدة محصورة، إلى حد بعيد، في التركيز على تقييم ديناميات القصة والقيمة والتصوير والقطع والصوت والتقديم والمؤثرات التقنية وما شابه، وذلك بالإضافة إلى إعادة تدوير مقاربة دور المخرج والنوع السينمائي كأهم عناصر ومرجعيات قراءة العمل السينمائي وتقييمه. وعلى الرغم من أن قوة هيمنة هذه المنهجيات تتمايز آتياً وتبعا لبعض التغييرات والسياقات الوضعية الطارئة من وقت لوقت، لكنها تبقى في النهاية المحور الأكثر تأثيرا على المقاربة الجمعية السائدة للسينما كممارسة ثقافية شعبية معاصرة.

كما قلنا سابقا، إن كل عمل فني، بما في ذلك الأعمال السينمائية أو الدرامية، هو ابن اللحظة التاريخية التي يولد ويقارب العالم من خلالها. فلا وجود للعمل السينمائي بمعزل عن الواقع المادي لتلك اللحظة التي يخرج من

أحشائها إلى النور ويبدأ من خلالها رحلة تفاعله مع الحيز الاجتماعي الأوسع الذي يحيط به والذي يصبح هو أيضا جزءا عضويا منه. وتستمد هذه اللحظة حياتها وقوتها داخل العمل من خلال محتوى وقضايا ولغة وخطاب ومشاعر يتناولها ذلك العمل بالعلاقة مع أزمنة وأمكنة محددة تشمل، في ما تشمل، أفكاراً هي وليدة لبيئة زمنية ومكانية معينة، أو ظروف إنتاج، أو مساهمات فردية وجماعية، أو أشكال تسويق، أو أطر مشاهدة وتلقّي وتفاعل ضمن بيئات تاريخية وجغرافية معينة، مشتركة ومتباينة في آن معاً.

بالتالي، فإن محاولة قراءة أي عمل ثقافي من دون الأخذ بالاعتبار مكونات هذه اللحظة التاريخية وأشكال تفاعلها، يختزل عملية النقد في تحليلات مجتزأة تقدم انطباعات خاصة عن حيثيات العمل، سواء بالنسبة للمضمون أو الشكل أو الأسلوب أو الأداء التمثيلي أو الحرفية أو التقنية وما شابه. مثل هذه التوجهات اعتدنا رؤيتها في الأعمال النقدية لمعظم من اصطلاحنا على وصفهم تقليديا "بالنقاد"، ونجدها تهيمن في الصحافة والاعلام ومعظم مواقع السينما العربية والعالمية.

فماذا عن دور الباحث والناقد الثوري (بمعنى المشتبك علميا وسياسيا مع ما هو سائد أيديولوجيا) ضمن هذه المعادلة، وما الذي يحدد مكونات هذا الدور؟ وهل أن عمل مثل هؤلاء الباحثين والنقاد المعنيين بالتواصل العضوي الأوسع (بمعنى التواصل الذي يطال ويتجاوز حدود الأكاديمية والتخصص) بإمكانه تخطي المعادلة التي تفضي إلى نقض الهيمنة الأيديولوجية في القراءة "الشعبية" للسينما؟ بالطبع لا. فنحن نبقى في النهاية "تابعين" ومكونات عضوية لهذا "الكل" المفعم بطبيعته بالتناقضات الثانوية والمركزية. وهذا محكوم في النهاية بالتغيرات الأوسع في البنية الطبقيّة العامة للاقتصاد والمجتمع.

يصبح أسيرا للسرد القصصي لحكايات الأفلام و/أو المشاركة الانطباعية لمشاعره تجاه شكل وأسلوب الأعمال التي يتناولها، وعلى مستوى أوسع، تجاه ما يحدث ضمن الأوساط السينمائية. وهذا يكرس من ناحية هيمنة القراءات السينمائية التقليدية ("الانتقائية") بمعنى غير المنهجية (ويسهم من ناحية أخرى في تهميش إضافي لدور القارئ والمشاهد العادي أو المهتم الجدي بالسينما. بدوره، يكرس هذا حصر القارئ/المشاهد في موقعه، الأيديولوجي كمتلقٍ "تابع"

عوضاً عن أن يكون متفاعلاً مع ما يحصل في هذا الحيز الثقافي الفائق الأهمية في حياتنا المعاصرة.

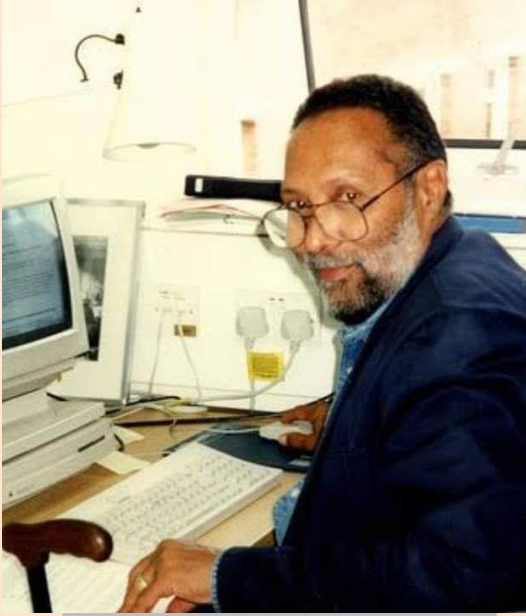
وأخذاً بالاعتبار أن تفاعلنا ودخولنا الوضعي إلى عالم السينما يلونه ويحدد شكله حجم عمق تأثيرنا بكل الأتقال الأيديولوجية التي ترافق مسيرات حيواتنا، فإن الأساس في أي ممارسة نقدية أو بحثية علمية ثورية في السينما لا بد وأن يساهم بشكل أو بآخر في التعزيز النسبي لقدرتنا كما لقدرة المشاهد على تقصي وفرز مكونات الهيمنة الأيديولوجية للطبقة السائدة في الممارسة السينمائية بكافة أشكالها وبمعانيها الأوسع (إنتاج، تمويل، لغة، توزيع، دعاية، إعادة تدوير، تلقي). وبالإضافة إلى أن الممارسة النقدية والبحثية غير المحايدة تعزز من القدرة على فهم واستيعاب المكونات والمفاعيل الأيديولوجية للعمل السينمائي، تعزز هذه الممارسة أيضاً عملية الإضاءة على مكامن وأطر إبداعية محتملة أو جديدة ولممارسات سينمائية فكرية وسياسية بديلة و"مستقلة" نسبياً عن ديناميات الهيمنة الأيديولوجية للطبقات الرأسمالية الحاكمة ... وكما يشهد تاريخ السينما نفسه (وامتداداً، تاريخ الدراسات والنقد السينمائي)، فعلى كل مفرق تطور مفصلي كانت تكمن محاولة لدفع السينما وعلاقتنا بها باتجاهات جديدة ونحو أفق غير مسبوق. وكانت تعبر عن هذه الحالات محاولاتٍ لسينمائيين ثوريين (سواء كجهد واعي

وهل يعني هذا، إذاً، أنه من غير الممكن التعاطي مع السينما (كما غيرها من مواضيع البحث الاجتماعية والاقتصادية) بما يفضي إلى استنتاجات معرفية "علمية" تجاهها، ومشاركة ذلك على مستوى شعبي واسع بما يعنيه هذا من مقارعة مباشرة مع خطاب الأيديولوجيا السائدة في ما يتعلق بالسينما وما تمثله اليوم؟ أيضاً لا.

إن العمل لفتح بعض الآفاق المستقلة نسبياً لحركتنا ولتقييمنا لواقع الهيمنة الأيديولوجية يغتني ويتطور مع النضوج الدائم لقدرتنا على رصد وتمييز ما هو أقل أو أكثر تأثيراً بإفرازات الشحن الأيديولوجي السائد. وفقط ضمن هذا السياق يصبح الحديث عن النظرة أو التقييم "الموضوعي" لأي ظاهرة اجتماعية تاريخية (بالمعنى العلمي للتعبير وليس بمعنى "الحيادية") ممكناً

وبغض النظر عن ارتهاننا العام أيديولوجياً بواقع البنى التطبيقية المهيمنة على وسائل وعلاقات الإنتاج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكذلك بما يصفه الفيلسوف الماركسي الفرنسي لوي آلتوسير "بجهاز الدولة الأيديولوجي"، فإن أشكال تعاطينا مع الأيديولوجيا المهيمنة ودرجة "تناغمنا" معها تتباين وتتبلور تبعاً لعوامل عديدة منها الفردي ومنها الجماعي. ومن بين هذه التباينات تلك التي تحدد شكل ومحتوى رؤيتنا وتقييمنا وكيفية تعاملنا مع هذه الهيمنة. وبالتالي، فإن الاستقلالية الفكرية النسبية لتعاملنا مع هذه الهيمنة تكمن في قدرتنا على التمايز النسبي مع واقعنا "كتابع" (فسجين الرأي، مثلاً، يبقى مستقلاً نسبياً في فكره وذلك على الرغم من الهيمنة المادية الأشمل للسجان فوق جسده ومصيره).

إن مهمة الناقد أو الباحث السينمائي الثوري لا تكمن في تقديم تقرير "محايد" كما يزعم العديد من "النقاد" أو الباحثين (عمّا نتابعه على شاشات السينما ونرصده في واقع الثقافة السينمائية حولنا. فالتوجهات التي تزعم "الحياد" تجعل الناقد في كثير من الأحيان



مساهمات الباحث الماركسي ستيفارت هول في ربط غرامشي مع القراءة المعاصرة للثقافة، غيرت وجه القراءة الأكاديمية لامكانيات تحدي الاطر السائدة للايديولوجيا في الثقافة

النسبية للمتابع، بما في ذلك المتابع غير المتخصص، على تقصي إفرزات الهيمنة الطباقية السائدة داخل الممارسة السينمائية (إنتاج، تمويل، تقنيات، توزيع، دعابة، إعادة تدوير، تلقي...)، وامتدادا لذلك عبر تجليات تلك الهيمنة وأشكالها الأيديولوجية.

هذا التوجه يؤسس لأرضية أقوى لدراسة المكونات التفصيلية للممارسة السينمائية ليس كبدايل لبعضها البعض، بل باعتبارها امتدادات للبنية الأوسع للتفاعل الثقافي والأيديولوجي لواقعنا المعاصر. فما طرحه لجهة واقع الوحدة النظرية الجدلية لمكونات البحث العلمي لا تفرض تناقضا منهجيا مع الفصل البحثي المؤقت لمواضيع أو مكونات محددة ضمن الإطار العام للبحوث السينمائية بهدف البحث المتخصص والأكثر تفصيلا، أو تحديد أولويات معينة لتلك البحوث. بل على العكس، فإنه يتكامل معها ويزيد من قدرتنا على تعميق فهمنا واستيعابنا لها.

أو غير واعٍ)، لفرز أو لإبداع تعابير أكثر استقلالية (نسبيا) عما هو سائد سينمائيا، سواء على مستوى المضمون، الأسلوب والشكل، الصناعة، التسويق، أو على صعيد التعامل مع تحديات التقنية والتلقي والمشاهدة.

وكما نعلم، فمن ضمن مثل هذا الحيز الإبداعي المبني على تلمس أطر خارجة عن هذه الهيمنة الأيديولوجية (في الشكل والمضمون وديناميات المشاهدة) والمشتبكة معها، تمكن سينمائيون مثل آيزنستاين، فيرتوف، رينوار، آيفينز، ويلز، دي سيكا، غودار، فيسكوتتي، كوراساوا، بونويل، بازوليني، برتولوتشي، سولاناس، كوبولا وعشرات غيرهم (كل بطريقته الخاصة وضمن خصوصية اهتماماته) من تطوير معالم إبداع جديدة للسينما على مدى تاريخها. ومن خلال هذه الآفاق الإبداعية التي كانت تتفتح وتتفاعل أو تطرح بشكل أو بآخر خرقا لأحد مظاهر ومسلطات ما هو سائد أيديولوجيا (فكريا، أخلاقيا، بنية وأسلوبا، إنتاجا، أو تلقيا)، استطاع هؤلاء وغيرهم المساهمة في توسيع قدرات وآفاق السينما على التفاعل مع الانسان ليس بمحدودية واقع سلبية "تبعيته" الأيديولوجية العامة، ولكن أيضا كمتفاعل وفاعل إيجابي (ينسب متفاوتة) ضمن جدلية الصراع التي تطبع هذه التبعية.

إن تهميش التاريخ والأيديولوجيا في القراءات النقدية الصحافية والإعلامية السائدة، جرى ويجري في مقابل التوسع الواضح والمستمر في اتجاهات التحليل الأيديولوجي في أوساط البحث السينمائي الأكثر جدية، وضمنه الأبحاث الأكاديمية. وأحدا بالاعتبار أن رؤيتنا وتفاعلنا مع عالم الأفلام لا مناص من أن يلونها واقع تآثرنا بالثقافة الأيديولوجية السائدة التي ترفد مسيرات حيواتنا وتفاعلنا مع المحيط الثقافي الذي نعيش ضمنه، فإن أي ممارسة نقدية علمية جدية تجاه السينما لا بد لها أن تسهم بشكل أو بآخر في تعزيز القدرة

لكن، هل يعني هذا أنّ على الناقد السينمائي بالضرورة مقارنة كل حيثيات وتفاعلات العمل لرصد تقاطعاتها مع تجلياتها الأيديولوجية الداخلية (ديناميات مضمون وشكل العمل) والخارجية (أطر إنتاج وعرض وتسويق وتلقي العمل)؟ ليس بالضرورة. فالناقد بإمكانه التركيز على معاينة زاوية أو عدة زوايا داخلية أو خارجية محددة في تناوله للعمل السينمائي في تقاطعها مع لحظة تاريخية محددة (كلحظة إصدار العمل، أو لحظة عرضه بعد سنين في مكان لم يعرض فيه من قبل، أو ما شابه).

تجسد اللحظة التاريخية نفسها وتبلور حضورها وقوتها في أي عمل ثقافي (سواء بشكل مباشر أو غير مباشر)، من خلال المحتوى والقضايا واللغة والخطاب والمشاعر والطروحات التي يتناولها العمل السينمائي بالعلاقة مع أزمنة وأمكنة محددة تشمل في ما تشمل أفكارا ورؤى وتوصيفات لها امتداداتها ومفاعيلها الأيديولوجية.

وبغض النظر عن طبيعة وشكل علاقة العمل السينمائي بالبنية الفكرية والاجتماعية السائدة، فإن ما يفرزه العمل ذاتيا وعبر تلقفه الاجتماعي يبقى في النهاية جزءاً من بنية أيديولوجية مرتبطة ببيئة زمنية ومكانية، وظروف إنتاج، ومساهمات فردية وجماعية، وأشكال تسويق، وأطر مشاهدة وتلقي وتفاعل مشتركة ومتباينة في آن واحد. بالتالي، فإن أي قراءة لعمل سينمائي لا تأخذ بالاعتبار مكونات اللحظة (أو اللحظات) التاريخية الخاصة بها وبطبيعتها ومفاعيلها الأيديولوجية، تتحول إلى قراءات انتقائية غير مترابطة لحيثيات تفصيلية منعزلة تتناول المضمون أو الشكل أو الأسلوب أو الأداء التمثيلي أو الجرفية أو التقنية وما شابه، وتقتصر على تحليلات وأبحاث انطباعية مبعثرة لا قيمة علمية لها.

على المستوى المنهجي، فإن تناول الناقد للعمل السينمائي من زاوية محددة تعني ربطه للعمل من خلال أطر محددة لتفاعل بنيته الأوسع (مضموناً أو شكلاً أو تلقياً) مع ما هو سائد أيديولوجياً في مرحلة معينة. أشكال هذا الربط تتميز بتمايز الأعمال (وحتى داخلها أحياناً)، ويمكن للناقد التركيز عليها تبعاً لثلاثة تعريفات عامة نستوحيها هنا مما أوجزه ستيوارت هول في إطار تحديده للأطر للعامّة لقراءة الأعمال الثقافية:

أولاً: يمكن للناقد دراسة مكامن تناغم العمل وتكامله مع ما هو سائد أيديولوجياً ومع ما يمثله من (Dominant Reading) تكامل أو إعادة تدوير لما يشكل في مراحل معينة "تفكيراً طبيعياً ومقبولاً من الأكثرية" (التعبير الذي يستعمله غرامشي هو (Common Sense).

ثانياً: مقارنة العمل لناحية انفتاحه أمام تفسيرات أيديولوجية مغايرة تسمح بقراءته ضمن روحية "تفاوضية" أو مقايضة (Negotiated Reading)

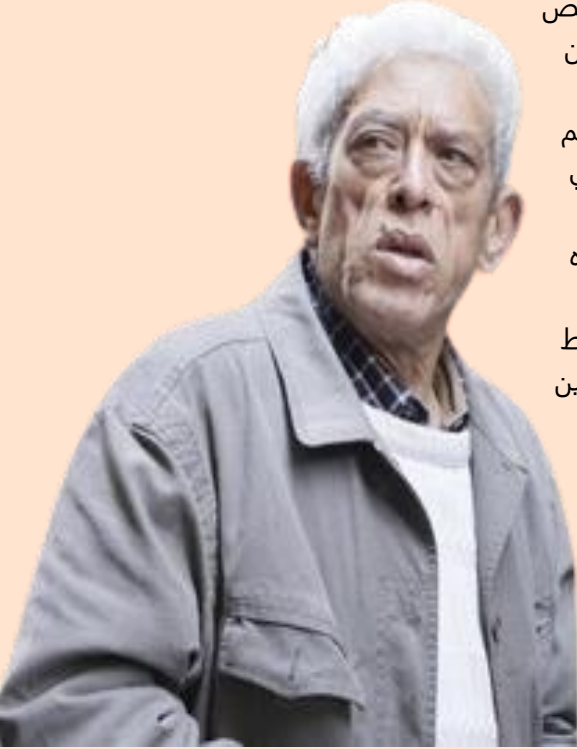
مما يكشف تناقضات داخلية في بنية العمل قد لا تجعله متطابقاً بالضرورة وبشكل ثابت ما هو مهيمناً أيديولوجياً. وثالثاً، يمكن للعمل أن يتضمن مكونات تجعله يفتح في المجال وبشكل واضح أمام القراءة والتفاعل السلبي تجاه البنية الأيديولوجية السائدة، وبالتالي يقوم الناقد برصد تلك المكونات التي تجعل من اشتباكه مع الأيديولوجيا السائدة أكثر صدامية ووضوحاً (Oppositional Reading)

كل هذا يفتح في المجال لسبر غور نماذج لأعمال سينمائية شديدة التباين أو التشابه في معالمها، لكن كل منها يكتسب وقعا خاصا في معالم تفاعله الأيديولوجي مع المسار الثقافي للسينما (وبطبيعة الحال، مع واقع المجتمع والعالم في لحظات تاريخية معينة).

ضمن الربط النظري للقراءة النقدية
بالأيديولوجيا، يمكن تقديم نماذج لتوجهات
معرفية تؤسس لفهم أعمق وأكثر انفتاحا
للسينما كواحدة من أهم وأخطر الممارسات
الثقافية في عصرنا. وضمن هكذا قراءة يفتح
الناقد الثوري الطريق أمام الآخرين، ليس فقط
لدعم قدرتهم على قراءة وتحليل جوانب عديدة
للترابط العضوي المتنوع والواسع بين
الممارسة السينمائية والبنية التاريخية
الأيديولوجية للمجتمع، بل أيضا بما يساهم
في تطوير الفهم الاجتماعي والسياسي
العلمي للديناميات المعقدة للهيمنة
الأيديولوجية وتوسيع استيعاب المجتمع
للطبيعة التطبيقية للثقافة السائدة وسبل
مجابتها ثوريا وتقويض فعاليتها على أرض
الواقع..

سينما داوود عبد السيد.. العجز والواقع والسلطة.

محمود عبدالحكيم



كاملة لأنه متلصص
محترف وعاجز عن
مشاركة كبيرة.
عاجزون آخرون هم
الشيخ حسني في
الكيت كات
وصراعه مع عجزه
الواقعي بشئى
الطرق، في محيط
أغلبه من العاجزين
كذلك (منهم
ابنه)
والمصطدمين
بسلطة المال
والتجارة،
والمواطن
الروائي عن
الكتابة في
مواطن

ومخبر وحرامي إذ يواجه عقماً إبداعياً لا يعالجه
سوى انطلاق حسّي.

ويصطدم في واقعه بسلطتيّ المخبر
السياسية والحرامي الأخلاقية للسخرية،
وكلاهما مصاب بعجز: جنسي لدى المخبر
نعرفه مبكراً، مع كامل قوته، وفي الإبصار
نتيجة عاهة سببها المواطن للحرامي في ثورة
غضب بعد إحراق الأخير روايته بدعوى حفظ
الأخلاق.

يواجه البطل في مشروع داوود عبد السيد
عجزاً إما موروثاً أو جلبه واقع مؤسف. لم يهتم
مجمل مشروعه كثيراً بإجراء "تشریح اجتماعي"،
كما قد يوحي أول أفلامه الصعاليك (وأعتقد
أنه يصعب تصنيفه أحد الأفلام الناقدة
للانفتاح الاقتصادي كما هو شائع)، بقدر ما
تحزى الأثر "الوجودي" للمجتمع على الفرد. لا
نبالغ إذا قلنا أن سينما داوود عبد السيد هي
بامتياز سينما الفرد في مواجهة الآخر
والمجموع: فردانيته وأزمته الخاصة- الوجودية
والمترتبة غالباً بالوعي والأساس الثقافي
والقيمي والحسّ، ولا يصعب استنتاج أن
الشغل الأكبر لهذا المشروع السينمائي هو
حرية هذا الفرد، المغترب دوماً بين تلاطمات
الخاص والعام والنفسي والاجتماعي
والسياسي. ما أفضى إلى خلاصة واحدة ممتدة
لم يكفّ داوود عن بلوغها أي سؤال الحرية،
مجرداً.

حتى في "سارق الفرحة"، الذي تدور أحداثه في
مجتمع من المهمّشين، يواجه البطلان عجزهما
العملي عن الزواج في مواجهتهما وتفاعلهما
مع المتحولين طبقياً من أبناء حيّهم، وآخرين،
في إطار شاعري يرى مركّب العجز في الجميع
ربما، دون رصد طبقي أو طرح همّ اجتماعي
عام. وفي الخلفية، العدسة الأدقّ وهي عدسة
عاجز آخر، ذي عاهة مستديمة في إحدى
الرجلين، يراقب الجميع ولديه رواية شبه

جميعها، بسيولة، في سيناريو لاهث. البطل المجرّد والباهت بلا تفاصيل، ولا زمن محدد للأحداث، يلتقي وسط ركود وتقليدية حياته وتوقّع ميلاد أول أبنائه بشخصية ملغزة، مطلقة القدرة والنفوذ والثروة والمنعة والتقلّب والشجن، تجرّه بالمعنى الحرفي إلى سلسلة - بلا حكمة واضحة - من الوقائع والرحلات الصغيرة، مع أماكن وشخوص، تجعله يعيش كل ما تطرحه الحياة من حركة وعنف وتناقضات، وتجعلنا نكتشف عجزه عن تقبّل حياته وعن تحقيق الرضا أو السعادة العادية الحقيقية. الجموح والانطلاق اللذان تثيرهما القوة هما المفجّر إذن، وما يواجهه "الإنسان" في حياة الحرية تلك هو الواقع وجودياً وذو اعتبارية كبيرة تعيده إلى العجز، ربما عن فهم معنى كل ذلك ومعنى حدوثه

للفرد المعين بالذات، وفيه تظهر السلطة، ضابط الشرطة: الشخصية الحاضرة دوماً في مشروع الأستاذ، مباشرة أو مجازاً كالمخبر وأفراد الشرطة



القادرين على القمع والممارسين له.

ربما لم تظهر السلطة يوماً لدى الأستاذ، في المعادلة المذكورة، إلا رمزاً للقمع والسيطرة والتعنّت، باستثناء مرتين، الضابط "صديق المواطن" القديم في مواطن ومخبر وحرامي، المحبّ للفن والفلسفة مثثراً بتصوّف أجوف باستحالة وجود أي سلطة كاملة أخلاقياً أو غير فاسدة، ولم يساعد المواطن في ما تعرّض له من ضرب وسرقة وتضييق من أحد المجرمين، قبل وبعد لقائهما صدفة، وفي أرض الخوف، حيث أن البطل ضابط أصلاً، حين تواجه السلطة سؤالاً عميقاً عن مبرر وجودها نفسه: هل تبرر محاولة تحقيق الخير للجميع ممارسة "شرّ" ما عملياً؟ هل تستأهل تجربة الوجود نفسها، بما فيها من تحقيق للذات وللتصوّر

وعدا عن عجز البطل في البحث عن سيد مرزوق الذي سيرد ذكره، جاء يحيى في رسائل البحر عاجزاً عن الكلام الطبيعي، متلعثماً، وعن ممارسة الطب رغم دراسته وعن تقديم بديل عملي أفضل لمن يستغل حبيبته- العاجزة بدورها ولكن الأكثر عمليّة منه، وفي قدرات غير عادية عاجزاً عن بلوغ نتيجة مرضية لبحثه الأكاديمي الصعب عن نقيض العجز أي القدرات الخارقة، وعن تحقيق ذاته، ويلتقي مجموعة من المنعزلين تجنّبوا مواجهة حقائق الحياة. هو الواقع الضاغط دائماً والقلق، وما السعي وتلبية النداءات والتوق والأهداف سوى محاولات لتجاوز العجز القائم والمتجدد في مواجهة الواقع، أي تحقيق الحرية.

واقع يأتي دائماً بصفته "ورطة" هي مأساة البطل، التي تعقدها السلطة وتمثّل جزءاً منها في آن، فتصادر حرّيته أو تعرقل مساعيه أو تتطقل على وجوده أو تقمعه مباشرة أو تأخذ شكل الزحف الاستهلاكي

التجاري على حسابه. الواقع في كامل المشروع منقّص جاهز حافل دوماً بالمتاعب والصدف السيئة، ولا مرادف له على مستوى المضمون، بهذا الاتّساع، سوى الوجود حد ذاته. والسلطة، أي سلطة، تسرق وتدمّر وتستولي على الممتلكات بل والقلوب والعاطفة أحياناً، ولا تخضع لمساءلة أخلاقية حتى لأنها تحتكر الأخلاق أيضاً.

ملفت للنظر أن يقول الأستاذ أنه يعتبر البحث عن سيد مرزوق فيلمه الوحيد المحتوي على أخطاء، وكذلك مفتاحاً لباقي أفلامه (التي كتبها جميعاً عدا أرض الأحلام). وهذا منطقي لا تناقض فيه، هو أكثر أفلامه انطلاقةً وجموحاً في الخيال والسرّد حد حشد مفردات مشروعه

العضوية: السلطة، بتنوّع أجنحتها واحتوائها على نقيضها المفترض أي الفوضى والإجرام، شكّلت بيئة الفعل أساساً وتضع كل الشروط فلا يمكن إلا أن تبتلع المواطن وإن كان مبدعاً، وتستطيع أيضاً استيعاب قوّة غضبه ثم استعادته بإعادة تقديم نفسها واستغلال ضعفه وشعوره بالارتباك والذنب، تضمن لنفسها مكاناً في كافة المعادلات (حتى العاطفية) وتقدّم نفسها بشكل جذّاب أو فاتن الذكورية يمكنه تطويع حتى الأطراف النقيضة لها، وتستخدم انتهازيتها والسياسة والعنف والصلاحيات الأمنية والتشريعات القائمة



بسهولة بالغة للوصول إلى السيادة، أي تحقيقها لذاتها الشمولية التي تحتوي ولا تُحتوى.

ويتحوّل البطل الروائي الشغوف بالحياة والتجربة والخلق إلى ظلّ شاحب مستسلم لتقليدية المعادلة العامّة، بلا "قدرات غير عادية" من أي نوع، وفي الخلفية يغتنى الحرامي الفجّ المهيم: "ليه بقى مانكونش واحد ومافيش مابيتا فرق؟ شمال زي الجنوب والغرب هو شرق.

عن الضرورة والدور في الحياة- وكلها مثاليات، اتّساح اليد في عالم "سفلي" وتغيير الذات إلى أخرى نقيضة؟ يضيع البطل حياتياً فاقداً لذاته أو هويته الأصلية، بعد أن فُقد ما أرسله لرؤسائه من تقارير خلال انغماسه في عالم الإجرام ولا شيء يثبت أن عمله كان للمصلحة العامة، وفقد نزاهته التي اختبرها رؤسائه مسبقاً بالأساس لفحص جدارته بالمهمة. عودة إلى سيد مرزوق، قد يكون الأستاذ قال ما قاله عن الفيلم لأنه أدرك بعد إنجازه، بسنوات غالباً، فالتصريح جديد نسبياً أنه حاول فيه أن يقول كل شيء وخدم رمزية رآها بوضوح كبير خارج الشاشة لكنها تُرجمت إلى شكل سينمائي ربما افتقر للوضوح والتماسك، أو ذهب للمباشرة حين طرح، مثلاً، أن الأصفاد التي استخدمها الضابط لتقييد البطل إلى كرسي لمرحلة من الفيلم كانت مفتوحة طوال هذا الوقت: السلطة مع وجودها حقيقةً تخذعنا بشأن حجم قوتها وتلعب على استكائة وإحجام ومحدودية خيال في داخلنا.

قد يكون أرض الخوف 1999 تجربة داود عبد السيد الأكثر تميزاً على المستوى الفني ودرّة مشروعه السينمائي. ولا عجب أن يتوسّط، تقريباً، عمر المشروع زمنياً بخلاف تجربة البحث عن سيد مرزوق المبكّرة، إذا وضعنا في الاعتبار فترة مرت بلا أفلام للأستاذ من 2001 إلى 2010. تتمثّل الأسئلة في أرض الخوف واضحة وحادة وذات تكثيف بسرد محكم وغير تقليدي، والبطل رغم محدودية خياراته وعجزه عن أن يكون الضابط المثالي وتساؤلاته عن ذلك يجيد تحمّل المسؤولية ويؤمن برسالة سامية، ويجيد كذلك التعامل مع "الواقع" الذي اقتحمه للعب دور محدد بأمر رؤسائه، أي مجال تجار الممنوعات. قبل أن تسقط الحكمة الخيرة من الرحلة برمّتها وبيتلعه هذا الواقع تماماً، مع سقوط ما يُفترض في السلطة من كفاءة ودقّة كانا ليضمنا للبطل بقاء تصوّره عن نفسه على الأقل. ولم يكن مستغرباً أن ينتهي الفيلم التالي مواطن ومخبر وحرامي، بعد نهاية أرض الخوف التي شاهدناها، بذهاب الشخص الثلاثي إلى تماهٍ تام حدّ

إنها تحلم!

نص قصصي: محمود فنون

جاءت ابنتها إليها. هي في السابعة والثلاثين من عمرها، جاءت مبتسمة على غير عاداتها حينما تبصر أمها بعينيها ..

إنها والأم ما إن يقع بصرهما على بعضهما حتى تتفجر ينابيع الدموع من عيونهما، وتأخذ الأم تشهق وبالكاد تجد هواء يدخل إلى رئتيها، وترتخي يداها وتشعر وكأن الموت يدهمها ..

إنها في الثامنة والسبعين، ولكنها لا تزال تذكر حملها ولحظة ولادتها وكأنها اليوم، هي ليس البكر، هي البطن الخامس، فقد تعطلت ولادتها لبضع سنين "ثم جاءت إرادة الله وأعادت القدرة على إنتاج الحياة الى رحمها"، وإلا لكانت ابنتها هذه رقم ثمانية ربما. إنها أم ولود، بل تحب الانجاب.

جاءتها هذه المرة مبتسمة.. ابتسامتها مشوبة بالحزن، فمها يفتر عن البسمة، ولكنها مغالبةً بدرجة مكينة من الكفهرار.

تحير وجه الأم، فلا هي اغرورقت عيناها بالدمع ولا هي شاركت ابنتها البسمة المشبوبة بالحزن الساكن عميقا في القلوب ..

وفي محاولة لإزالة حيرة أمها، أخذت تؤشر بيدها صوب الشمال، ولكن لسانها علق في حلقها مع درجة عالية من جفاف الريق، وتقلصت ابتسامتها قليلا وأصبحت أقرب إلى الجمود، كأنها تبتسم تكلفا للصورة ..

ولكن قلبها يدق يكاد يعبر عن قليل من الأمل.. عن قليل من التفاؤل الحالم.. الذي تولد عن شوق متصاعد ينمو بكثافة في أعماقها.. ينمو بما يملأ قلوب نساء الأرض جميعا.

الأمل؟.. التفاؤل؟.. الأمل؟.. الشوق؟ أيهما يضرب جذوره عميقا عميقا في نفس الأم الفلسطينية؟ الأم.. الزوجة.. الأخت.. البنت.. العممة.. الخالة؟

إن الشوق هو نتاج الحب، هو نتاج الرغبة الحارة في نفس المحب للقاء حبيبه البعيد.. في حالة من انقطاع التواصل بأشكاله جميعها، مما يرسم على الوجه مسحة راسخة من الحزن الآدمي، فيجعل خروج البسمة وكأنها مقتلعة من دخيلة الانسان، وكأنه يخجل من نفسه إذا ارتسم على سحنته المتألمة شيء غير الألم الساكن في الاعماق.

سنوات وسنوات من الحزن والألم والشوق، وبحار من الصبر تتولد من مساحة صغيرة صغيرة من الأمل.

مساحة تتولد من صورة النقيض الجميل للواقع، نقيضا تعيشه حلما في يقظتها، تعيشه نفسيا بخيالها، بل تصنعه، وتصنع كل خيوطه وتنسجه عالما آخر ..

عالم يفيض بأنهار من خمر ومن عسل لذة للشاربين، في جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن شامخة للساكين، قدر شموخ الروح الفلسطينية... شوارع فسيحة تحمل أسماء الشهداء جميعا في عالم الكفاية هذا، المتحرر من كل قيد، المتحرر من الغربة وفراق الأحبة، المحاط بظلال الأشجار الباسقة، لذیذة الثمر، ناعمة الهواء، تفوح منها روائح عطرة وأجواء سحرية، تعمق الحب وتقوي روابط الإنسان بالإنسان وتمسح الحزن عن أرواح أمهات المناضلين.. أمهات الشهداء والمعتقلين الشامخات فخرا واعتزازا بتضحياتهن وذكرى أبنائهن العطرة، الصابرات، المحتسبات، الرافعات رؤوسهن ..

قلبها يدق يكاد يعبر عن قليل من الفرح، ولكن كيف؟ كيف تستطيع أن تقدم ما أتت به راضية لأمها، وقد انعقل لسانها وجف حلقها حالما شاهدتها وتلاقت بينهما العيون؟

لقد تخيلت طاحونة هائلة تدور عكس عقارب الساعة، وجاءت هي لتديرها مع عقارب الساعة..

هي جاءت راضية بغير حساب، كل ما دفع من فكرها حالما سمعت بالخبر، أن تبشر به أمها العطوف المشتهية.. ولكنها لم تظن أنها بحاجة لتجلو تركيبها راسخا من صدأ قلبها هي أولا، كي يتراقص القلب قليلا بنشوة الحلم باللقاء..

- ما الذي يجري يا بنيتي؟ لقد حيرت قلبي. ثم تدفقت الدموع ساخنة على وجنتيها المتغضنتين.
- سوف ترينه أخيرا.. لا تبكي يا أمي. واحتضنت أمها وجرت من عينيها أنهارا ساخنة من الدمع، وأخذت تقبل أمها بحرارة ودموعهما تختلطان.

- ماذا؟ كيف؟ من؟ ما تقولين؟ لقد اختلط عليها السؤال، وقد خطر ببالها أشياء كثيرة، ولها أبناء في الغربة وفي السجن. ثم ما الذي ستراه؟ مستبعدة التفكير بزيارة السجنين لطول أمد القطيعة والحرمان .

- يحيى يا أمي سترين يحيى.. يحيى..

- يحيى؟! من؟ يحيى.. يح.. كيف.. كي؟ هل سيفرجوا عنه؟

ازداد الأمر تعقيدا على الابنة. لقد جاءت لتنقل بشرى، نعم بشرى، وبشرى غالية، ولكن الأم صعّبت عليها الأمور، أن الأمر يتعلق بالزيارة وليس بالإفراج. لكن قلب الأم قفز مع سماع الإسم ليس إلى الزيارة بل إلى..

- لقد سمحوا بالزيارة..

تنهدت الأم، وحاولت لملمة نفسها ثانية..

إن قلبها مليء بالشوق ليحيى ولغير يحيى، ومليء بألم الفراق، بالإضافة لكل أشكال المعاناة في قطاع غزة، وبسبب انسداد الأفق لامرأة في نهاية العقد الثامن، قضت عمرها تحلم بالعودة إلى مسقط رأسها الذي لم يبارح خيالها قط .

في ليلة العرس كانت صور القرية تتداخل مع جماليات العشق وخيالاته.

- هل تذكر يوم لحقت بي إلى البئر وطلبت مني شربة ماء؟

- قلت لي اشرب. ها هي البيرة أمامك. ولكنني لحظت أنك أدرت وجهك عني بطريقة لعوب.

- كنا صغارا.. ثم اردفت بدلال: كنت أعلم أنك تتقاتل مع الأولاد بسببي.. ليتنا هناك.. ليت..

تذكرت ذلك وتذكرت يوم ولدت يحيى، وتسلسلت الأفكار والأحداث في رأسها الموضوع على كتف ابنتها.. حتى يوم انتزعوا يحيها من أحشاء أحشائها، وساقوه معتقلا، إلى حيث لا تعلم، بل ولم تعد تراه منذ لحظتها.

يوما يوما انقضت السنون وساعة ساعة انقضت الأيام. "اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون".

رفعت رأسها عن كتف ابنتها التي لم تعد تدري ماذا تفعل أو تقول، وأمسكت بوجهها بكلتا يديها الاثنتين ضاغطة نصف ضغطة، ومسلطة عينيها في عينيها الاثنتين.

- قولي.. ماذا قلت؟.. ماذا عن (وتهدج صوتها) يحيى؟

- اهدأي يا حبيبتي.. اهدأي. لقد سمحوا بزيارة المساجين من القطاع. وقد صدر قرارهم بذلك.. سترينه قريبا.. وأول العيث قطرة.. وهذه درجة أولى.. سيأتي بعدها الإفرا..

- متى؟ متى يا حبيبتي. وأخذت تلمم ابنتها في فمها وتضعها إلى احضانها وتتلدذ بها مستبشرة، وقلبي كمروحة ابتدأت الدوران ببطء ثم عادت وتوقفت..

- لا أمان لهم.. لا أصدق ذلك.. إنهم ينكثون وعودهم.. ربما يتراجعون في اللحظة الأخيرة.. إن قلبي المنكوس لم يتفائل يا بنيتي.. ودائما تتتابني الحسرة لأنني قد أموت قبل أن أكحل عيناى بمرآه الحبيب .

- سترينه.. لن ينكثوا.. لقد توسطت المخابرات المصرية ..

- وما شأن المخابرات المصرية في الوساطة.. فليحمننا الله من هذه الوساطة.. بعد أن كانت مصر أم الدنيا، صارت اليوم تتوسط بيننا وبين اسرائيل!

- لا مصر ولا غيرها.. إن إضرابات المعتقلين ونضالاتهم هي التي نجحت في الوصول إلى اتفاق بين المعتقلين وسلطات الاحتلال، لم يكن دور المخابرات المصرية أساسيا، كان بريدا.

- المهم .. ما أخبار الزيارة.. متى.. وماذا عليّ أن أعمل؟ هل نقوم بالتسجيل في الصليب الأحمر كالعادة؟

تداخلت الأسئلة في رأسها واستذكرت كل مراحل حياتها ..

كانت تسير الهويئا في الطريق.. كانت تحلم وهي تمشي فوق الرمال بتناقل بائن ..

من ينظر في وجهها يتسلل إليه شيء من حزنها وألمها المتلازمين.. لم يبق وقت طويل للولادة.. كانت خائفة.. لم تكن هذه ولادتها الأولى بل إنها ولّادة.. كانت تحلم بأنه يسير إلى جانبها ويسندها كلما تمايلت على الرمل.. تتخيله من شدة اهتمامه بها وحرصه عليها وهما يسيران جنباً إلى جنب، فيظنها تميل إلى السقوط، فتشعر بانقباضة قلبه من الخوف عليها فيسندها يكاد يحملها، بل يكاد يلصقها بجسده ليكونا قطعة واحدة.. تسللت ابتسامة فرحة إلى تقاطيع وجهها الجامدة قطعتها صرخة ألم حادة تلتها صرخة أخرى ثم صرخات متصلة ..

لم تكن بعيدة عن غرفة الزينكو التي تقطن فيها هي وما فرّخته من كائنات حية ..

تجمعت الجارات على صراخها الذي يزلزل الأرض من شدته.. هدأت قليلا ..

- إنها الولادة.. أخشى أنها أنت قبل أوانها.. بقي لي أكثر من أسبوع قالت بحزن

- ستلدين بخير.. أنت قوية.. ربما هناك خطأ في الحساب ..

- حماتي ليست في غرفتهم.. فقد شاهدتها تخرج.. هي التي أشرفت على ولادتي في المرات السابقة

- لا يهم، فأم سليم قابلة ماهرة. يقال أنها تعلمت في مستشفى في مصر، وقد أشرفت على ولادة نساء كثيرات ..

" اذهبي وأخبريها يا خالة ". طلبت من شابة صغيرة .

دخلت من باب الزينكو واستلقت على ظهرها، وبالكاد أغمضت عينيها طلبا للراحة.. تخيلته يطرق الباب..

- كيف أتيت.. كيف عرفت؟

- لقد شعرت بتقلصات مؤلمة في بطني.. أنت حبيبتني.. أدركت أنك تتألمين.. أقسمت أن أحضر ولادتك فأغمضت عيني وفتحتهما وإذا بي أمام باب دارنا وأطرقة تأدبا و..

- حبيبي أنت.. كنت أتمنى وأتمنى أن تكون بجانبك بل تخيلتك بجانبني ..

- إني دائما بجانبك .

- ولكنك.. آه.. آه أنت.. لم تكن.. معي.. الجارات هن.. أمسكن بي ..

- ماذا تقولين يا امرأة؟ سألت إحداهن

- يا ويللي عليها فهي تهلوس من شدة الألم .

فتحت عينيها ثم اكفهر وجهها، وأخذت تتلفت هنا وهناك، ثم عاجلها المخاض والصراخ ساعة من الزمن أو يزيد قبل أن تهدأ وكأن شيئا لم يكن .

- مبروك.. هذا يحيى. قالت حماتها وقد حضرت الولادة وساعدت أم سليم.

- الله يبارك فيك ولك أنت أيضا، فأنت قلت بأنك تشتهين ولدا ويكون على اسم جده المجاهد... رحمة الله عليه ومثواه الجنة ..

كانت تتذكره جيدا فهو قد فارق الحياة قبل بضع سنوات .

قالت زوجته: إنه يموت من الحسرات.. إنه يموت خارج بيته ولم تفارق ساحة دارهم المغتصبة خياله أبدا..

قال بأنه ما حلم في ليله مرة واحدة قط إلا ويرى نفسه في قريته لم يغادرها أبدا. كانت العودة حلمه الأبدى، بل زاده اليومي..

بعد حرب 1967م وبعد أن اشتدت المقاومة الفلسطينية ضد اليهود، شعر بفرح غامر وزاد تفاؤله بشكل واضح ولكن هذا التفاؤل كان مشوبا بقلق وحيرة.. فقد شعر بمثل هذا قبيل الحرب ولملم بعضا من أغراضه، واشترى فأسا أعجبتة واشترى أنواعا من التقاوي ...

ولكنه كان يقول: "قالوا لن يكون لنا نصر إلا تحت راية لا إله إلا الله، فهل يعقل أن نتصر على يد هؤلاء.. ولكنهم أبطال ويقاتلون، والعدو يحسب حسابهم!"

كثيرون كانوا يثيرون نقاشا حادا وجدلا متصلا.. بعضهم يقول: "النصر من عند الله ولا يعطيه الا لعباده الصالحين، الذين يرفعون القرآن.." هكذا قال الإمام.

وبعضهم يقول: "أنه لا يجوز لنا ان نقاتل إلا تحت راية الإسلام وبقيادة الخليفة المسلم أمير المؤمنين"..

وآخر يقول: "كيف نتصر ولا زالت الأندلس تحت حكم على غير ملة الاسلام، وأن تحريرها فرض عين على كل مسلم ومسلمة".

وآخر يقول: "إن موتى هؤلاء الذين يدعون التحرير ليسوا شهداء بل فطائيس.. كيف يسلم نفسه للموت دون أن يكون تحت راية لا إله إلا الله .."

وآخر يقول: "قبل أن يعم الدين والصحة الدينية لن ينطق الشجر والحجر ويقول "يا مسلم ورائي يهودي"، وهذا لا يكون قبل أن يخرس البارود وتعود حرب السيف"..

ويجادلهم آخرون بعقم هذه الأفكار واستحالة أن يعود القتال بالسيف.. حتى أن أحدهم متعلم قال: ب"أن الشجر والحجر لن ينطقا أبدا وإنما الكلاشن كوف هو الذي ينطق، وهو الذي سوف يجبر اليهود على لملمة متعلقاتهم والرحيل"..

والبعض كان يدعمون فصائل المقاومة، وآخرون يقفون على الحياد ..

تذكرت كل هذا وقالت في نفسها: "لقد جاءت مرحلة الدين والقتال تحت راية لا إله الا الله ولم نتصر كذلك، هل هناك راية أخرى لله سبحانه وتعالى؟ إنني أرى قيادات تنشأ من العدم وتكبر، بينما نحن تتراجع، ويقتل الأمل والحلم في قلوبنا "هؤلاء الزعماء.. لا يصلحون"

وتذكرت ما كان يقول والدها يوم رحلوا من البلاد "القيادات خانتنا، والله ما كانوا على مستوى القضية، بينما كنا نغني لهم وكأن الغناء والهتاف باسمهم نوع من العبادة.. كنت أعتقد أن عمق الوفاء لهم يعطيهم قوة وصلابة، ولم أكن أعلم أنهم يسيرون على أرجل من قش.. أما ملوك العرب فقد صدق الشاعر الشعبي الذي قال فيهم :

ظنيت النا ملوك تمشي وراها رجال
تخسى الملوك إن كان هيك الملوك أنذال
والله تيجانهم ما يصلحولنا نعال .."

وتفأل بشكل هائل قبيل حرب عام 1967 م ثم وبعد الحرب انعقل لسانه ولم يكن ينطق كثيرا سوى أنه كان يخاطب شخصا آخر يدعوه للذهاب للحصاد قبل "السّموم".

هي لم تتذكر! هي لم تنس شيئا أبدا.. إن كل تفاصيل عمرها حاضرة في مخيلتها .

كان ابنها البكر مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكانت اخته الاصغر تتعاطف معه فانسأقت الأم داعية لهم بالتوفيق. وكان واحد من أخوتها مع قوات التحرير الشعبية والآخر مع حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح. وتقسم أبناء الحارة على هذه الفرق الوطنية، وأغلبهم مع الجبهة، وكان قد ارتفع صيتها ودعايتها بفعل نجاح العديد من العمليات العسكرية ضد الاحتلال وبفعل مناصرة العديد من

رجال المجتمع الغزي لها، ولأنها امتداد لحركة القوميين العرب التي كانت تحظى بشعبية واسعة قبل الاحتلال أصلاً، وقد ذكّرتها بنتها مرة بأنه ظهر لهم رموز متميزون .

وقد تميزت في نهاية ستينات القرن الماضي وبداية السبعينات بنشاطها العسكري الكثيف هي وفتح مما أقلق الاحتلال نوعاً ما قبل أن يتسلم شارون إدارة القطاع، وكانت قوات التحرير الشعبية قد صفت تماماً والتحق كادراتها في السجون بحركة فتح .

هي تذكر كل ذلك وقد وعته أكثر فأكثر مع مرور الزمن، وتتذكر الانتفاضة الفلسطينية الكبرى عام 1987م، ووعت ظهور حركة المقاومة الإسلامية حماس. يومها قالت لها ابنتها ببرود:

"ها هم تحولوا من المجمع الى المقاومة.."

فردت عليها: "يعني ستكون مقاومة باسم الاسلام ..."

سمعهم قريب لهم ورفع صوته بافتخار :

"بل قولي ها هو الاسلام يتسلم الراية، وقد قرب الوعيد، وسوف ينطق الشجر والحجر ويقول يا مسلم ورائي يهودي تعال فاقتله.. إن النصر قريب.. وتحرير كل فلسطين سيكون على أيدي هؤلاء.. إنهم مخلصون ولن يتنازلوا عن شبر واحد من فلسطين .."

- "لا تسمعي هذا الكلام يا أمي فهذه تخاريف. إن الشجر والحجر لا ينطقان".

وقد جلسن بعد بضع سنوات واستعدن ذكريات مثل هذا اليوم، حيث لم يتحرر شبر واحد من فلسطين لا على أيدي هؤلاء ولا على أيدي أولئك.. ولم يعد التنازل عن أراضي 1948 مقصورا على قيادة المنظمة ..

لقد استعادت بناء كل تجربتها الماضية وبأدق التفاصيل وتذكرت يوم اعتقل ابنها تحت عنوان تحرير فلسطين وعودة اللاجئين ولكن يا حسرة.. وفجأة شعرت بوخزة خفيفة في صدرها ..

ستذهب لزيارته إذن.. ستذهب وهي تحمل ما يثاقل العالم من الأشواق والحنين لفلذة كبدها، ولكن فكرها قد تشوش إلى حد بعيد. لقد أخذ ينتابها شيء كما لو كانت في وضع مأساوي.. إن روحها قد تمزقت.. تضحيات وراء تضحيات.. بطولات يتبعها بطولات.. وحلم العودة وبرغم من عمقه وتجذره إلا أنه أخذ يتكلس في روحها ..

"لا بد أن ينجلي الصدا" قالت في نفسها "ولكن متى يظهر الناس الذين ..."

نادت على ابنتها وأدخلتها فورا في تفاعلاتها النفسية كما لو كانت أصلاً تتحدث بصوت مسموع.

"ما العمل.. جدك.. أبوك.. أخوتك.. أخوالك.. ورايات سوداء وحمراء وخضراء وكل ألوان قوس قزح.. وكل هذا لم ينفع مع هؤلاء الملاحين.. كل ما قدمنا من تضحيات وتكسرت الرايات ولم يبق سوى الزعماء حفظهم الله وهم بصحة جيدة.. كيف؟ لماذا؟ ما الذي جرى؟.. وفوق كل هذا قسّموا الوطن بينهم بدون حياء وكان البلاد محررة .."

تفاجأت البنت ولكنها لم تندرج معها في الحديث..

قرب اليوم ..

أزف الليل..

اقتربت الساعة ..

هي لم يغمض لها جفن.. إنها تعيش معه لحظة بلحظة.. هي لا تريد أن تغمض عينيها.. هي تراه أمامها.. هي تتحسسها. وتخيلت كما لو سمحوا لها ان تلاقه بدون شبك الزيارة فضمته إلى صدرها المشتاق بلوعة وحزن ولهفة، دمعت عيناها... مسحت دموعها... دفنت رأسها تحت اللحاف بالرغم من الحر الشديد والرطوبة العالية، كي تعيش لحظاتها بسرية تامة ودون أن يراها أحد فيقطع عليها خلوتها الحبيبة ولقائها الحبيب..

احتضنته ونامت والبسمة مشرقة على وجهها ...

وعندما أحضروا لها الطبيب ليكشف عليها قال في نفسه "إنها تحلم! هذا الفلسطيني يعيش حلمه حيا وميتا!.. وغطى وجهها

في ذكرى الحدث المر

ياسر شعبان



الاستعمار لتكون في خدمته وخدمة مصالحه، وهو ما جر عليه عدااء حلف واسع في الداخل والخارج.

ومن ناحية كونه وطنياً، فهو صراع مباشر مع الاستعمار "منظومة النهب العالمية"؛ ففي محاولته لبناء مركز صناعي جديد يشترط اقتطاع حيز ضخم من مناطق نفوذ منظومة النهب تلك لصالح ذلك المركز، إنما هو يدخل في عدااء مباشر مع الاستعمار وأدواته في المنطقة بالضرورة، فإقامة الوحدة وتجزير التصنيع يعني جرف كل الكيانات والطبقات

والمرتكزات العميلة والرجعية لصالح الطبقات والكيانات الشعبية والوطنية والتقدمية.

ولذلك، فإن العداوة المفرطة لشخص عبد الناصر تتمركز حول ما يمثله عبد الناصر على المستويين، الوطني والطبقي، من خيارات تعادي بشكل صارخ سياسات الاستعمار وأعدائه من الطبقات الملتحقة عضواً به

إن الصراع الدائر حول شخصية عبد الناصر هو صراع طبقي ووطني في آن واحد.

فهو من ناحية كونه طبقياً، فقد عبر عبد الناصر في أفضل تجلياته الثورية عن انحيازه للطبقات الشعبية "رغم عدم تجذر سياساته". ورغم ذلك، فقد قطع في سبيل إعادة هندسة المجتمع المصري شوطاً بعيداً، وحاول إنجاز ما تأخر إنجازه لمدة 100 عام وهو التصنيع والوحدة وتحسين شروط المعيشة للجماهير في خضم تحقيق شرطيّ الحداثة.

ذلك ما أدخله في مواجهة مع إقطاعيي مصر لإعادة توزيع ملكياتهم العقارية الشاسعة على الملايين من معدميّ الريف المصري، ومع الرأسمالية الوطنية الجبانة والكسولة عن الاستثمار في ميادين الصناعة القاعدية، لإعادة تدوير وتوجيه الرأسمال في خطة تصنيع طموحة، وما يتطلب ذلك من الناحية الجيوسياسية وعلى المدى البعيد من وضع الحيز الجغرافي المناسب الذي يفي بإمداد المركز الصناعي الناشئ في مصر بالسوق والمواد الخام تحت سيطرة القاهرة، ليس بمنحى استعماري ولكن بإقامة دولة كبرى بنفس حجم روسيا أو الولايات المتحدة أو الصين تصبح ثمار إنجازاتها في متناول أيدي جماهير ذلك الحيز الجغرافي الماموثي على قدم المساواة.

هذا ما أزعج نار صراع حتمته الضرورة التاريخية ضد الطبقات الرجعية المتحجرة في مجتمعات المنطقة والتي تمثل النواطير الأبدية لحراسة بنية التخلف فيها، تلك النواطير التي استخدمها وأعاد هيكلتها

فسلام عليك أيها الروح النبيل يوم كان ألمك
بحجم ألم جغرافيا تمتد من المحيط للخليج
ومن البحر للرأس ويتعداد النفوس المفجوعة
التي ملأت هذا البراح المكاني الذي تطلع يوما
إليك قائدا للتحرر والتقدم والخلاص من نير
الاستعمار.

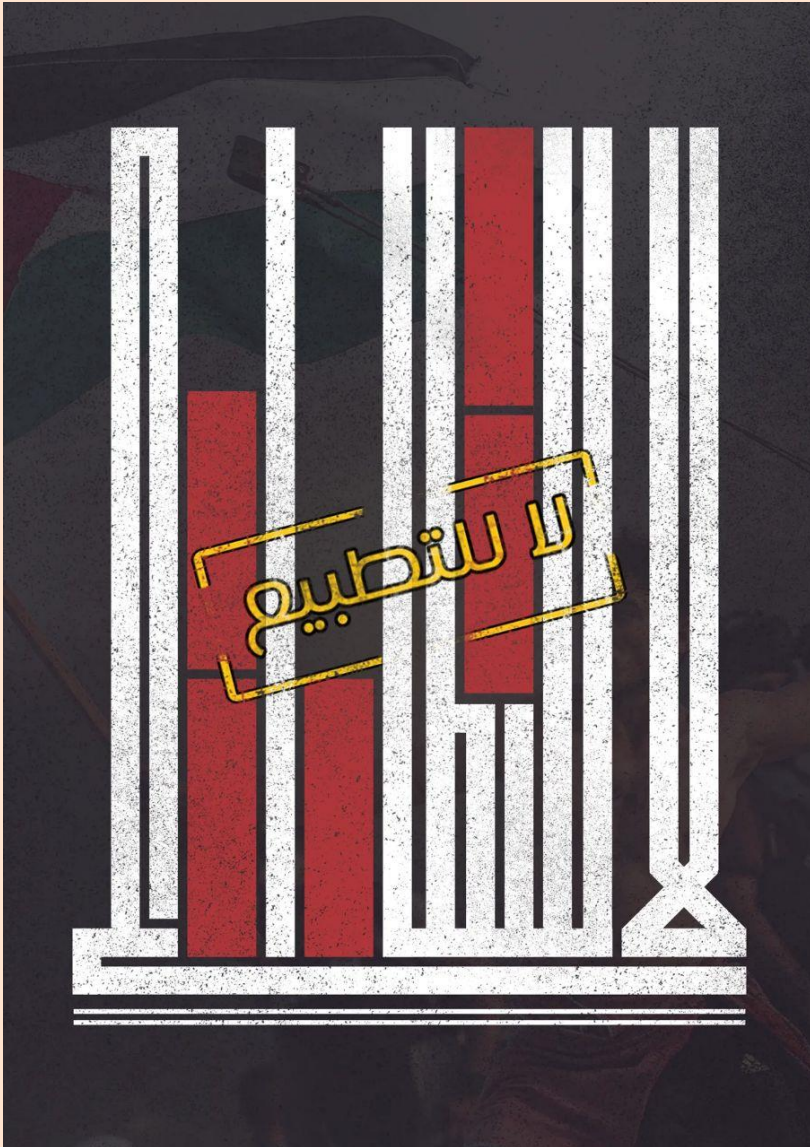
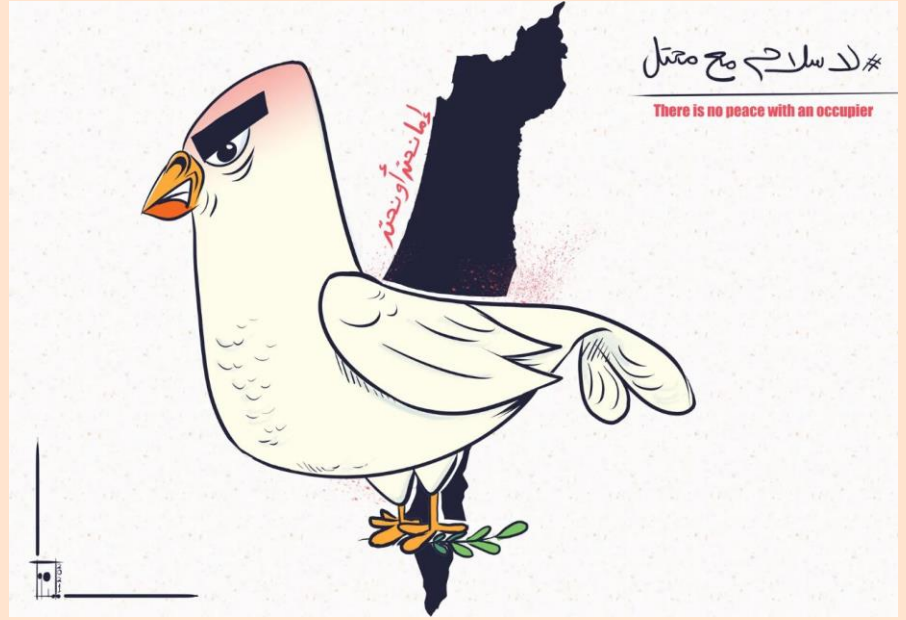
سواء في الداخل المصري أو في الإقليم
العربي أو في إفريقيا ومع الكيانات الوظيفية
المفتعلة لخدمة المنظومة الناهية.. الكيان
الصهيوني أو مشيخات الغاز.



إن عبد الناصر في التحليل النهائي هو
الممارسة العملية الوحيدة لسلطة وطنية
عبرت بشكل حقيقي عن طموحات الطبقات
الشعبية في مصر والعالم العربي والإفريقي،
وذلك ما يفسر شراسة محاولة نزعته من ذاكرة
الأجيال الجديدة عبر تحويله لشخصية تكتنف
تصرفاتها ومواقفها النزق والتسرع والطيش
والجهل.. أي شخصية منزوعة الحكمة
والبصيرة. وبالتالي، يسقط في مخيلة الحاضر
كنموذج يمكن استقاء الدروس منه أو كنموذج
من الواجب تكراره ويبقى في الذاكرة الجمعية
كحالة تاريخية تثير السخرية أو الرثاء في
أحسن الأحوال.

نقول ذلك في يوم الانكسار المخزي لمشروعنا
الوطني، ذلك الانكسار الذي كان من الممكن
تفادي وقوعه على هذا الشكل لو أحسنت
النخبة الحاكمة "ساعة النازلة" تفعيل
الإمكانات التي امتلكتها الدولة المصرية
وقتها. لكنّ عثرة عبد الناصر الأعماق هي أنه
جفف كل روح تقدمية في دولا ب دولته
وجيشه وتركهما جثة ترعى فيها جراثيم وديدان
اليمن الرجعي الذي دار دورته وقدمه هو
شخصيا قربانا ثمينا على مذبح العودة لحظيرة
منظومة النهب الغربية.

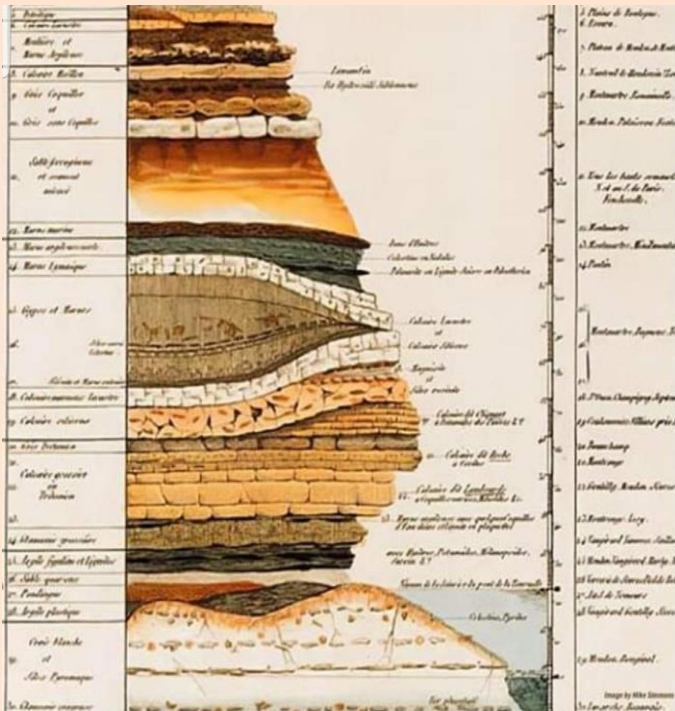




كاريكاتير: محمد نور

صورة وتعليق

الصورة لجزيرة صغيرة امام السواحل الايرلندية.
 هذه الجزيرة تعد بمثابة مسطرة زمنية لمدى يتجاوز ملايين السنين
 وهي تشكل دراسة لتاريخ الطبقات الصخرية الجيولوجية
 ويعد الـ lithostratigraphy
 أحد فروع دراسة طبقات الأرض في علم الجيولوجيا، ويختص بدراسة الصخور
 والطبقات الصخرية والحجرية. وتعني كلمة
 Litho: صخرة
 وتعني كلمة strata: طبقات.
 وينتمي إلى تلك الدراسة أيضا علم التأريخ الجيولوجي، والجيولوجيا المقارنة،
 وعلم الصخور.





الصورة لماكينة الطباعة الحجرية

TWINSKAN NXE: 3400C

وهي تطوير لنسخة

NXE: 3400B

باستخدام طول موجي يبلغ 13.5 نانومتر فقط (نطاق الأشعة السينية تقريبا) ، يمكن لتقنية الطباعة الحجرية بالأشعة فوق البنفسجية الفائقة (EUV) الخاصة بشركة ASML الهولندية القيام بأشياء كثيرة على نطاق صغير.

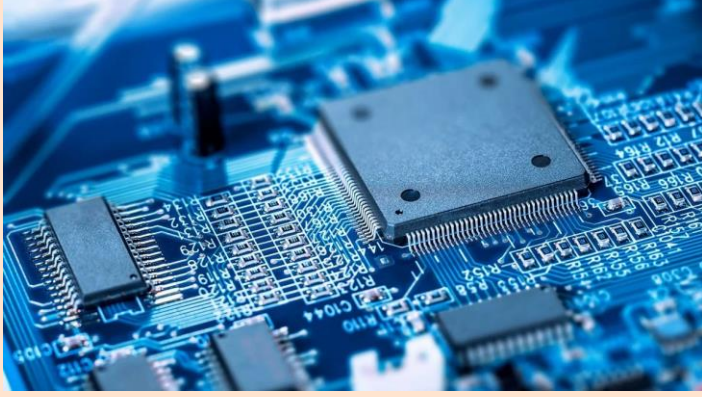
تعمل EUV على دفع قانون مور إلى الأمام وتدعم تصميمات الترانزستور الجديدة و بنيت الرقائق وستدعم إنتاج 7 و 5 نانومتر في العقدة الواحدة وهي تكنولوجيا ممنوع على الصين الاستحواذ عليها أو استيراد ماكيناتها من هولندا .

وتصدر هولندا تلك الماكينات إلى تايوان و كوريا و اليابان و أمريكا بشكل حصري حيث يتم احتكار إنتاج الشرائح دون ال 12 نانومتر ، ويستلزم بناء مصنع واحد من 3 : 4 سنوات لذلك نشهد أزمة شح اشباه الموصلات بعد أن تحوطت الصين وقامت بالتعاقد على إنتاج الشركة التايوانية TSMC لمدة 3 سنوات قادمة .

نجحت الصين في الوصول إلى توطين إنتاج شرائح بتكنولوجيا 12 نانومتر وامامها الكثير لكي تصل إلى تكنولوجيا ال 3 أو 2 نانومتر.

ويذكر أن فارق ال 7 نانو هذا يعني الكثير من حيث حجم الرقائق وسرعة انتقال البيانات وهو أمر ممنوع على الصين الوصول إليه وفق تقسيم العمل الدولي.





الصورة لمعالج دقيق مصنع بتكنولوجيا

١٢ نانوميتر.

فكم سيكون حجمه وكفائته في حال

انتاجه بتكنولوجيا ٥ أو ٣ نانوميتر؟

بكل تأكيد اصغروا خف بمقدار لا يقل

عن ٥٠٪



IG: The World Of Science

You are looking at the first man-made biological leaf. It can absorb water and carbon dioxide to produce oxygen just like a plant.

أول ورقة خضراء من صنع الإنسان تمتص
الندى وثاني أكسيد الكربون لتنتج
الأوكسجين

اشتباك عربي

الهوية والهدف

موقع عروبي دوره ومهمته المقاومة والنقد وبلورة وتعميق وعي نقدي
موقع عروبي باتساع هذا الوطن، ويحمل همومه والدفاع عن حقوقه
وطموحاته

وعليه، فهو موقع علمي تقدمي اشتراكي يضع التحرر والتحرير والتنمية في
طلیعة ما ينشر سواء المقروء أو المرئي أو المسموع

وعليه، فاشتباك يشتمل على الأدب، الفن، السياسة، الاقتصاد السياسي،
منجزات العلوم، علم النفس، الرسم، النحت ومختلف أعمال ونتاج الفكر
البشري، وبهذا المعنى فالموقع يرتكز على رؤية تاريخية ومقارنة

ولأن الوطن العربي في حقبة التحرر القومي والاجتماعي فإن اشتباك موقع
يواجه أنظمة وطبقات التبعية سواء، الأمر الذي يعني بالضرورة تركيز العمل
على استعادة المواطن العربي من أنياب الإمبريالية والصهيونية والأنظمة
التابعة وأدواتهم من قوى الدين السياسي

لذا، سيجد من يتابع اشتباك مدرسة في النقد والرد والصد والتوجيه